

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر - 2 -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص: علم الاجتماع الثقافي

الحركة الطلابية الجزائرية في الفترة (1927-1962)

الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نموذجاً
دراسة لعينة من الأعضاء الفاعلين في الإتحاد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي

تحت إشراف الأستاذ:
الدكتور حسين عبد اللاوي

إعداد الطالبة:
قديد هنده

السنة الجامعية 2011 - 2012



الإهداء

إليك أيتها الجزائر العزيزة الحرة ...

إليك أيتها البلد الأم التي ضحّت من أجلها الأجيال

لتزِيل عنها ذل الإستعباد وتكسر القيود

وتعيد لها الحرية والكرامة

إلى شهداء الجزائر والشرفاء من المجاهدين...

إلى جميع الطلبة الجزائريين الذين ضحوا، و دفعوا الثمن غاليا من أجل أن تتحرر الجزائر

إلى من علّمني حب الوطن و العلم و الحياة...

إلى من كان لي قدوة في صبره و ثباته و عطائه و تضحياته...

إليك والدي الحبيب أطال الله في عمرك

إلى نبع المحبة و الحنان المتدفق في عالم الروح...

إلى أمينة أسراري، إليك أُمي الغالية حفظك الله

إلى أعز شخص في الوجود أخي "هشام"

إلى السنابل التي تنبت عطاء او تجود سخاء أخواتي:

نبيلة، منيرة، فضيلة، خولة، عبلة، لطيفة، رحيل، شهد و ملاك

إلى الأقارب والأصدقاء

إلى رفيقتي البحث الأستاذة فاطمة والدكتورة فتيحة

أهدي جهدي المتواضع راجية من المولى عز وجل أن يتقبل مني ذلك



شكر و عرفان

الحمد لله واهب النعم، الذي عَمَّ بالقلم، عَمَّ الإنسان ما لم يعلم، وأفضل المحبة والإكرام والصلاة والسلام على سيد الأنام، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له " فإنه عرفانا بالجميل، لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور: حسين عبد اللاوي، لإشرافه ورعايته لهذا البحث، ولما بذله من جهد فجزاه الله عني خير الجزاء ونفعه بعلمه.

كما لا يفوتني تقديم الشكر والإمتنان إلى كل من مدّ لي يد العون، و إلى المبحوثين الفاعلين في الحركة الطلابية الوطنية، خالص الودّ و التقدير على كرم الإستقبال والمساعدة.

وأسأل الله الكريم، أن يتقبّل هذا العمل بعد أن وفقّ إلى إتمامه، وأن يجعله خالصا لوجهه، وبيارك فيه، والحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ-د

الفصل الأول: البناء المنهجي للدراسة

تمهيد	03
1. أسباب اختيار الموضوع	04
2. أهداف الدراسة	06
3. إشكالية الدراسة	09
4. فرضيات الدراسة	09
5. تحديد المفاهيم	09
6. المقاربة النظرية للدراسة	14
7. الدراسات السابقة	21
8. منهج الدراسة	35
9. تقنيات الدراسة	36
10. صعوبات الدراسة	39

الفصل الثاني:

وضعية المجتمع الجزائري أثناء الإستعمار الفرنسي ، وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

تمهيد	40
المبحث الأول: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية أثناء الإستعمار الفرنسي	41
1- آثار النظام الإقتصادي الفرنسي على النظام الإقتصادي الجزائري التقليدي	41
2- الوضعية الإجتماعية أثناء الاستعمار الفرنسي	43
3- السياسة التعليمية أثناء الاستعمار الفرنسي	45

4-	إنعكاس السياسات التعليمية الفرنسية على الطلبة الجزائريين	61
5-	بروز خريجي المدارس العربية والفرنسية وأثره في تكوين النخب	65
	المبحث الثاني: عوامل تكوّن الحركة الطلابية	69
1-	العوامل الخارجية "الدولية"	69
1-1-	الحرب العالمية الأولى: 1914-1918م	69
1-2-	مؤتمر بروكسل و بروز الفكر النضالي	70
1-3-	بروز التنظيمات الطلابية الفرنسية، وتأثيره في بروز تنظيمات جزائرية موازية	71
2-	العوامل الداخلية "المحلية"	72
2-1-	تأسيس جامعة الجزائر وتضييق الخناق على الطلبة الجزائريين	72
2-2-	هجرة الطلبة الجزائريين إلى الخارج	73
2-3-	الإحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر وتحريكه للعمل السياسي المقاوم	74
2-4-	الهجرة الجزائرية نحو أوروبا	74
2-5-	نمو الوعي الوطني للمدارس الجزائرية	75
2-6-	ميلاد التنظيمات الطلابية الفرنسية	77
	المبحث الثالث: بروز النخبة المثقفة في الجزائر والتوجه إلى العمل الطلابي	78
1.	بداية تبلور الوعي الوطني في الحركة الطلابية من جامعة الجزائر	78
2.	تبلور مفهوم الحركات الطلابية	79
	المبحث الرابع: التنظيمات الطلابية الجزائرية في البلاد العربية ودورها في القضية الوطنية	82
1-	الطلبة الجزائريون في تونس	82
2-	الطلبة الجزائريون في مصر	87
3-	الطلبة الجزائريون في سوريا	89
	خلاصة	91

الفصل الثالث:

بروز التوجهات الطلابية الجزائرية وتأثيرها على المطالب السياسية

تمهيد	92
المبحث الأول: الحركة الطلابية في فرنسا وميلاد الفكر النضالي	94
1. الطالب الجزائري في الجامعات الفرنسية.	94
2. الجمعية الودادية للطلبة المسلمين إفريقيا الشمالية (A.E.M.A.N).	95
3. جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين (AEMNA)	100
4. جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا (AEMAF).	106
5. الإتحاد العام للطلبة الجزائريين بباريس (UGEAP).	107
المبحث الثاني: الطلبة الجزائريون ودورهم في العمل السياسي والثوري	109
1. الطالب الجزائري بين القلم والسلاح.	109
2. مساهمة الطلبة في النضال السياسي.	110
3. إحتكاك الطلبة الجزائريين بالطلبة المغاربة.	112
المبحث الثالث : بروز التوجهات الفكرية والأيدولوجية داخل الحركة الطلابية، وتأثيره على العمل السياسي	115
1- الطلبة الفرنكفونيون الجزائريون وثورة التحرير.	115
2- التيار الشيوعي الإندماجي	116
3- التيار الفرنكو- إسلامي	117
4- التيار الوطني الإستقلالي	120
خلاصة	126

الفصل الرابع:

الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ودوره في تجسيد المشروع الوطني

تمهيد	128
-------	-----

المبحث الأول: الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كتنظيم طلابي	129
1- ظروف تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين	129
2- مبادئ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.....	138
3- برنامج الإتحاد وأهدافه في خدمة عدالة القضية الجزائرية.....	140
المبحث الثاني: هيكلية الإتحاد العام ضمن التنظيمات الجماهيرية وعقد المؤتمرات.	140
1-المؤتمر التأسيسي بباريس 8-14 جويلية 1955.....	141
2-المؤتمر الثاني بباريس 1956.....	143
3- دور إضراب 19 ماي 1956 في قلب موازين الإتحاد العام	145
4- المؤتمر الثالث بباريس 1957 وحل الإتحاد "UGEMA"	149
5-المؤتمر الرابع بتونس من 26 جويلية إلى 1 أوت 1960	150
المبحث الثالث: وضع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بعد الإستقلال.....	154
1-الجملة الأولى من المؤتمر الخامس للإتحاد، سبتمبر 1962 بالجزائر	
ومعركة حذف "الميم".....	155
2- الجملة الثانية من المؤتمر الخامس من 11 أوت 1963 بالجزائر.....	159
خلاصة.....	162

الفصل الخامس:

التعريف بالمبحوثين وعرض المقابلات

المبحث الأول: التعريف بالمبحوثين.....	164
المبحث الثاني: عرض المقابلات مع المبحوثين.....	178

الفصل السادس:

تحليل وتفسير النتائج على ضوء الفرضيات

تمهيد	235
-------------	-----

236	المبحث الأول: عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى
251	المبحث الثاني : عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية
260	المبحث الثالث: عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة
276	الإستنتاج العام
292	الخاتمة
297	قائمة المراجع
	الملاحق

فهرس الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	يبين عدد الطلبة الجزائريين والفرنسيين المسجلين، في التعليم العالي سنوات 1920، 1930 و 1938.	54
02	يبين عدد الطلبة الجزائريين المسجلين، في جامعة الجزائر ما بين 1915 إلى غاية 1962.	55
03	يبين عدد الطلبة الجزائريين المسجلين، في جامعة الجزائر، بالإضافة لعدد الطالبات ابتداء من السنة الجامعية 1940-1941.	56
04	يبين عدد المتحصلين على الشهادات من الجزائريين، خريجي المعاهد والكليات بفرنسا والجزائر.	67
05	يبين نسبة الطلبة الجزائريين الذين يدرسون، في جامعة الجزائر مقارنة بالطلبة الأوروبيين.	141
06	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (1)	164
07	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (2)	165
08	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (3)	166
09	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (4)	167- 168
10	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (5)	169
11	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (6)	170
12	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (7)	171
13	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (8)	172
14	يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (9)	173

مقدمة:

شكلت الحركة الطلابية أثناء المرحلة الإستعمارية موضوع جدل واسع، في الكتابات والدراسات التاريخية وذلك لتعدد مصادر تكوينها وثقافتها، فمن التيار الإصلاحى إلى التيار الاندماجى فالتيار التحررى، وتتبئ هذه التشكيلة عن ميلاد النخب الجزائرية المتكونة في مختلف الجامعات خاصة منها الفرنسية، التي جاءت بعد التراكم المعرفى الذي أفرزه الغزو الإستعمارى، المهيم منذ احتلاله الجزائر على منابع المعرفة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائرى، بهدف تمزيقه عن مرجعيته الأصلية التي حاولت النخبة المثقفة التصدي لها.

ويلاحظ أن هذه المقاومة ترجع لسنوات سبقت ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ومن هنا ظهر أن العمل الطلابى في الجزائر قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد القرن الماضى، مثلما جسده التنظيمات الطلابية التي امتازت بها الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

خصصنا بالذكر في دراستنا هذه الحركات الطلابية التي لم تكن بمنأى عما يحدث في المجتمع الجزائرى، حيث أنهم تجرعوا وعانوا ويلات المستعمر، فحالهم كان سيئا مقارنة بالطلبة المعمرين، وقد ساهم هذا المناخ في ظهور وتكوين جمعيات طلابية مختلفة المشارب ذات الوعى الوطنى المجدد للمشروع الثقافى، الداعم تحديدا لقضايا الطلبة الجزائريين والقضية الجزائرية.

وقد توحدت الصفوف الطلابية بتأسيس ما عرف لاحقا بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تحت لواء جبهة التحرير الوطنى كوحدة طلابية وقاتلية.

إن الإعلان عن ميلاد هذا التنظيم الطلابى لم يكن بالشىء اليسير، ولكنه ظهر إلى الوجود بعد مناقشات حادة تمت خلال اللقاءات التحضيرية، التي تركزت حول تسمية الإتحاد، الذي حمل بين طياته مدلول التوجه الأيديولوجى الجديد لجموع الطلبة، خاصة ما تعلق بالصراع حول الإنتماء الفكرى والعقائدى، فميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يمثل نقطة تحول حاسمة في تاريخ الكفاح الثورى الجزائرى، وتجسيد المشروع الوطنى الذي رأت فيه فرنسا ضربا لمصالحها، لذلك عمدت إلى تضيق الخناق على الطالب الجزائرى وتجريده من

ثقافته العربية الإسلامية ومن لغته العربية، وعليه تبنى الإتحاد خيار فرض شخصيته الجزائرية، والمطالبة بإحيائها والدفاع عن تراثه الثقافي الذي ورثه عن الحضارة العربية الإسلامية.

لقد أرسى الإتحاد لنفسه أسسا تنظيمية ظهرت عبر المبادئ الكثيرة التي تبناها في إطار المشروع الوطني، سطرت هذه المبادئ عبر المؤتمرات التي عقدها الإتحاد، وقد حاولنا بعد الدراسة النظرية والميدانية، استكشاف أهم المقومات التي تبناها الإتحاد، ومن أجل الوصول إلى هذه الحقيقة، تبيننا الخطة التالية ، حيث أننا عمدنا إلى تقسيم الدراسة إلى بابين، الباب الأول خصصناه للجانب النظري وقد ضمّ أربعة فصول، الفصل الأول خصص للبناء المنهجي للدراسة وذلك بذكر أسباب اختيار الموضوع والهدف من القيام بهذه الدراسة ومن ثم عرض الإشكالية وفرضيات الدراسة وتحديد المفاهيم، ثم تطرقنا للمقاربة النظرية للدراسة والدراسات السابقة وأهم المناهج والتقنيات المعتمدة في الدراسة، وأخيرا الصعوبات التي واجهتنا أثناء إجراء هذه الدراسة.

بينما خصصنا الفصل الثاني، لوضعية المجتمع الجزائري أثناء الإستعمار وتأثيرها في تكوين النخب السياسية، بالتعرض في المبحث الأول للأوضاع الثقافية والاجتماعية أثناء الاستعمار الفرنسي، من خلال التنقيب في السياسة التعليمية المعتمدة أثناء مرحلة الإستعمار الفرنسي والتعليم العربي - الإسلامي، ثم انعكاس السياسات التعليمية على الطلبة الجزائريين وبرز خريجي المدارس العربية والفرنسية وأثره في تكوين النخب.

أما في المبحث الثاني فتناولنا الظروف الدولية المساعدة على بلورة الفكر الطلابي المناهض للاستعمار، وأهمها الحرب العالمية الأولى ما بين 1914-1918م وعقد مؤتمر بروكسل وبرز التنظيمات الطلابية الفرنسية، وكلها ظروف ساعدت على ميلاد التنظيمات الطلابية.

وتطرقنا في المبحث الثالث إلى بروز النخبة المثقفة في الجزائر والتوجه إلى العمل الطلابي، من بداية ظهور التوجه الطلابي في الجزائر إلى تبلور مفهوم الحركات الطلابية، وكذا التنظيمات الطلابية في البلاد العربية ودورها في القضية الوطنية.

عرضنا من خلال الفصل الثالث، بروز الاتجاهات الفكرية والأيدولوجية الطلابية وتأثيرها على المطالب السياسية، وظهر في المبحث الأول دور تأثير التحرك الطلابي في فرنسا في ميلاد الفكر النضالي ووضعية الطالب الجزائري في الجامعات الفرنسية. كما عرضنا أهم التنظيمات الطلابية كجمعية الودادية للطلبة المسلمين بأفريقيا الشمالية وجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، بالإضافة إلى الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بباريس.

كما تناولنا في المبحث الثاني، دور الطلبة الجزائريين في العمل السياسي والثوري بين القلم والسلاح، ومدى مساهمتهم في النضال السياسي.

كما ورد في الفصل الرابع دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في تجسيد المشروع الوطني، وتم التطرق في المبحث الأول للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كتنظيم طلابي من خلال ظروف التأسيس ومبادئ والبرنامج والأهداف التي تبناها، وفي المبحث الثاني تناولنا هيكلية الإتحاد العام ضمن التنظيمات الجماهيرية وعقد المؤتمرات، بعرض أهم المؤتمرات من المؤتمر التأسيسي بباريس 8-14 جويلية 1955 فالمؤتمر الثاني بباريس 1956 وقرار إضراب 19 ماي 1956، ثم المؤتمر الثالث بباريس 1957 وحلّ الإتحاد "UGEMA"، ودور إضراب 19 ماي 1956، في قلب موازين الإتحاد العام والمؤتمر الرابع بتونس 1960.

وجاء في المبحث الثالث تحول الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، إلى الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين من صراع "الميم" إلى آخر مؤتمر الممثل في الجولة الثانية من المؤتمر الخامس 11 أوت 1963 بالجزائر.

أفردنا الباب الثاني للجانب الميداني، وضمّ فصلين وهما الفصل الخامس الذي شمل عرض البيانات المتعلقة بالبحث، بتقسيمه إلى المبحث الأول الذي عرضنا فيه البيانات الأولية، والمبحث الثاني عرضنا فيه المقابلات مع الأعضاء الفاعلين في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أما الفصل السادس فشمّل تحليل وتفسير النتائج على ضوء الفرضيات

التي شملتها الدراسة وعرض نتائجها، واستكملنا الدراسة باستنتاج عام ضمّ مختلف المحطات التي توقفت عندها الدراسة، وأخيرا أدرجنا خاتمة للدراسة مع قائمة تحليلية للمراجع المعتمدة وأهم الملاحق التي أفادتنا في البحث.

الفصل الأول

البناء المنهجي للدراسة

تمهيد:

تقتضي الدراسة العلمية الإلتزام ببعض الضوابط المنهجية، التي لا يمكن الحياد عنها لبلوغ الهدف المنشود من الدراسة، وتحقيق النتائج المرجوة منها ، ومن أجل هذا أفردنا فصلا كاملا لهذه الضوابط ، التي تبين بوضوح مسارات البحث وبعض مآلاته المتوقعة، ومنها بيّنا الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع و الأهداف التي ننشدها من خلاله، ثم بناء الإشكالية وطرح الفرضيات، ثمّ تحديد المفاهيم، وعرض بعض نظريات الحركات الإجتماعية والمتقف العضوي، ومقاربتها بموضوع بحثنا، الذي ينشد محاولة معرفة مدى مساهمة الحركة الطلابية الجزائرية، في بناء مشروع وطني ثوري أثناء الاستعمار، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، ثمّ تناولنا المنهج المعتمد والأدوات المستخدمة في جمع البيانات، كما تطلب الأمر تحديد مجتمع البحث و عينة الدراسة .

1-أسباب اختيار الموضوع:

ما من موضوع يطرح للدراسة إلا وثمة جملة من الأسباب، التي تدفع الباحث نحو هذا الموضوع دون غيره من الموضوعات الأخرى، وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع موجها بأسباب بعضها ذاتي، والبعض الآخر عاما تطبعه الموضوعية، من جملة هذه الأسباب:

1-1- الأسباب الذاتية:

- إهتمامنا بالموضوع منذ كنا نزاول دراستنا الثانوية لإعداد شهادة البكالوريا، وصولا إلى حصولنا على شهادة الليسانس، ومردده دافع نفسي عميق راجع إلى تأثرنا بالنضال الطلابي والثوري للوالد، أحد مجاهدي الثورة التحريرية والذي نعتبره قدوة ونبراسا لنا في حياتنا.

- إيماننا بدور العلم والمعرفة والثقافة الوطنية في تنمية المجتمع، وتحريره من قيود الإستعمار، فالمتعلمون المستنيرون يساهمون في توعية شرائح واسعة من المجتمع.

- رغبتنا الملحة في كشف بعض الجوانب التي ما زالت غامضة، بخصوص دور شريحة معينة من المجتمع الجزائري أثناء الحقبة الإستعمارية، والمتمثلة أساسا في شريحة الطلبة الجامعيين المتكويين في الجامعات الفرنسية والعربية، والذين شكّلوا نواة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

- تشجيع الأستاذ المشرف لنا لمواصلة التنقيب في هذا الموضوع، المتعلق بشريحة الطلبة الجزائريين أثناء الحقبة الإستعمارية، الأمر الذي زاد في حماسنا ورغبتنا للمضي قدما في سبيل إنجاز هذا البحث.

1-2- الأسباب الموضوعية:

- إقتراح الأستاذ المشرف في إحدى دراساته، القيام ببحث حول الموضوع، في أهمية دراسة تكوّن مشروع وطني لدى الحركة الطلابية، واقتراح إجراء مقابلات مع عدد من الأعضاء الفاعلين في الحركة الطلابية، وتحديد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، لمعرفة ظروف ومرجعيات تكوّن هذا المشروع، وماذا كان محتواه وأبعاده ، خلال ثورة التحرير الوطني .

- محاولة إبراز نوعية مساهمة الطلبة الجزائريين ومشاركتهم في القضية الوطنية، كحلقة من الحلقات المتميزة في تاريخ الحركة الوطنية الطلابية الجزائرية.
- الإستفادة من الشهادات الشخصية لبعض قيادات وأعضاء الإتحاد آنذاك، والذين هم على قيد الحياة عند كتابة هذا البحث.
- النقص أو قلة الدراسات السوسولوجية، التي درست الموضوع في إطار الحركة الإجتماعية للطلبة بمنظور أفقي فقط، كان لنا دافعا قويا من أجل كشف خبايا هذا الموضوع الهام، والذي يحتاج لدراسة من منظور سوسولوجي.
- محاولة كشفنا لذلك الصراع الأيديولوجي العميق الذي كان موجودا وبارزا قبل وأثناء الثورة التحريرية، والذي خلق خلافات ومواقف ووجهات نظر مختلفة، بقيت أوزارها متواصلة إلى يومنا هذا.
- إعتقادنا الراسخ بأنه في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر الإجتماعي، ما زال يكتنفها الغموض والالتباس في عدة جوانب، ولاسيما إذا علمنا أن أغلب ما كتب عنها، كان بأقلام فرنسية، احتوت الكثير من المغالطات التاريخية، التي تسيء إلى رموز الثورة وقادتها، محاولة بذلك استصغار دورهم من جهة، والتشكيك في نواياهم و أهدافهم الوطنية من جهة أخرى.

2- أهداف الدراسة:

- إذا علمنا أن البحوث الاجتماعية تنقسم إلى قسمين، قسم يهتم ويرمي إلى تطوير المعرفة العلمية ويسمى بحثا نظريا، وآخر يقصد من ورائه بلوغ أهداف معينة في الواقع الملموس، ويسمى بحثا ميدانيا تطبيقيا، ولما كانت دراستنا متصلة بإبراز دور الطلبة أو الحركة الطلابية، في ميدان النضال من الجانب السوسيو- ثقافي التاريخي، فإنّ أهداف الدراسة العامة تمحورت حول:
- معرفة واقع مساهمة المثقفين الجزائريين الممثلين في الطلبة، وانضوائهم في تنظيمات طلابية مختلفة من أجل بلورة المشروع الوطني للجزائر.
- محاولة إيجاد قراءة جديدة لتصنيف الطلبة، أو لبلورة المشروع الوطني لدى الحركة الطلابية، حسب المعلومات ومن خلال المقابلات مع مؤسسي الحركة الطلابية، والذي

تبيّن منها أن هناك مشروعاً وطنياً واضحاً، لا يعكس التصنيف الذي هو سارياً أو شائعاً، في كل الكتابات أو الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع .

3- إشكالية الدراسة:

خلص الباحث الفرنسي غي برفيليي " Guy Pervillé " في دراسته الأكاديمية الهامة، حول الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية خلال الفترة الممتدة بين 1880-1962، إلى نتيجة مفادها أن مساهمة الطلبة الجزائريين، في الحركة الوطنية وثورة التحرير الوطني جاءت متأخرة، ومفعولها كان متواضعا، وذلك أن منهم من ظلوا متمسكين ولفترة طويلة بفكرة الجزائر فرنسية، أو الجزائر فرنكو - إسلامية، ومن بينهم من لم يلتحق بالحركة الوطنية إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية، ويقول بهذا الشأن: "... يبدو أن نصيب حاملي الشهادات من الاستفادة باستقلال الجزائر، كان ذا أهمية أقل: فعامل السن قد فعل فعلته، بالإضافة إلى العزل الذي ضرب على زعماء الأحزاب القديمة، من طرف النظام السياسي الجديد، غير أن موقف حملة الشهادات اتجاه الحركة الوطنية، يشكل واحدا من العوامل التي ينبغي لفت النظر إليها، فنحن نعلم أن قسما كبيرا منهم، قد ظل لمدة طويلة يؤيد فكرة الجزائر - فرنسية أو الفرنكو - إسلامية، وأن قسما آخر قد التحق متأخرا....".⁽¹⁾

نفس النتيجة توصل إليها باحث آخر وهو عبد الله حمادي في دراسته تحت عنوان: " الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 مشارب ثقافية وأيديولوجية"، حيث أوضح في بحثه أن نضال الطبقة المثقفة الجزائرية، صارت أسيرة للثقافة واللغة الفرنسييتين وغنيمة المواجهة كما يسميها البعض، فيقول في هذا الصدد: "... بحكم تشبّع هذه الأخيرة بأبعادها الفكرية واللغوية تحوّل عملها النضالي، فصار لا يهدف في جوهره إلى مجابهة الطرف الإستعماري".⁽²⁾

لتطرح بذلك ثلاثة اتجاهات كانت متزامنة عند مناضلي الحركة الطلابية ، في كل مرحلة من المراحل، كما أن أغليبيتهم قد اتجه بالتتابع نحو ثلاث توجهات فكرية هي: الإدماج قبل سنة 1919، الإيديولوجية الفرنسية - الإسلامية في مختلف أشكالها من عام 1919 إلى غاية 1942، وصولا إلى الوطنية الجزائرية ابتداء من سنة 1943.

1- غي برفيليي، الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية 1880-1962، ترجمة: م حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 605.

2- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 " مشارب ثقافية وأيديولوجية" ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995، ص 92.

ويتبين أن الحركة الطلابية كانت بعيدة كل البعد، عن تحقيق أطماع " الإنتليجانسيا المسلمة والفرنكفونية في نوفمبر 1954، ثم جاءت حرب التحرير لتبسّط هذا المشهد، في تقليص تلك الثلاثية الى بديلين اثنين: الجزائر مستقلة أو جزائر فرنسية.

فالباحثان صنفا مناضلي الحركة الطلابية تصنيفا أيديولوجيا، وهذا التصنيف يكشف عن أن هناك تصنيفا للمشاريع الوطنية ، فمنها مشروع الفرنكفونيين أي المتكونين والمتخرجين من المدارس الكولونيالية الفرنسية، وهم المتشبعين بالثقافة الفرنسية، ومقومات هذه الثقافة شمولية مبنية على عناصر الشخصية الفرنسية، من لغة ونمط حياة ونظام تعليمي فرنسي تغريبي.

يقابله مشروعاً وطنياً آخر، نادت به الإنتليجانسيا المعربة ذات التكوين، في المدارس والمعاهد العربية، ومقومه الدين الإسلامي واللغة العربية.

إنّ هذه التصنيفات تهيكت على أساس المشاريع الوطنية المختلفة، اختلاف الفئات المتعلمة والمتقفة آنذاك، وعلى أساس قاعدة التصنيف الأيديولوجي، وكانت نتيجتها تشكل حقيقة تاريخية كشفت عن مدى مساهمة المثقفين الجزائريين، في بلورة المشروع الوطني الجزائري، وتحديدًا لدى الحركة الطلابية أو التنظيمات الطلابية الجزائرية، التي يتبين من خلال المعطيات التاريخية أنّ اقتحامهم: " لحقل الممارسة الثقافية الطلابية قد حدث بعد فشل تجربة الإعتماد على تنظيمات، تجمع الطلبة الفرنسيين والطلبة الجزائريين" (1).

إن هذه المشاريع المتنوعة والتي نشأت وبدت بوادرها الأولية، مع ميلاد أول تنظيم طلابي الذي كان له ارتباطا وثيقا بالحياة السياسية في الجزائر، خصوصا منذ ميلاد نجم شمال إفريقيا سنة 1926، وتأسيس فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين سنة 1927، وميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، ومن ثمّ رسمت التنظيمات الطلابية معالمها ونشاطاتها و تحركاتها، وعملها بالأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية، وناضلت ضمن مبادئ وأفكار التيارات السياسية.

ومن ضمن القضايا الأساسية التي خدّمتها الطلبة في مواجهة الإستعمار الفرنسي، ترسيخ مقومات الشخصية الجزائرية، التي عمل الاستعمار على طمسها ومحوها، كي يتسنى

1- حسين عبد اللاوي، مساهمة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية في الحركة الوطنية قبل 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ، 2007، ص38.

له تثبيت الذات الثقافية المستعمرة، حتى لا تقوى بعدها على التوحد وإعادة التشكل، ليفسح لنفسه المجال كي يحول هذه الشعب، والمجتمع إلى ثقافته الصليبية العنصرية، ويسلبه أرضه وعرضه وكل مقوماته الشخصية وهويته العربية الإسلامية.

ومن هنا كان لزاما على الحركة الطلابية، أن تحقق معادلة الربط بين الأصالة والمعاصرة، والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وكذا الإعتناء بمادة التاريخ العربي الإسلامي، والمطالبة بتحسين المناهج التعليمية، فالمجتمع الجزائري له خصوصياته التي تميزه عن باقي المجتمعات، والتي اكتسبها بفعل انتمائه التاريخي؛ هذه الخصوصيات هي الإطار الذي تدور فيه الأفكار والقيم والعادات وأنماط التربية، فالإسلام واللغة العربية ووحدة الإقليم والوطن، هي المبادئ التي جاءت أيضا في بيان أول نوفمبر 1954، مما يسلم إلى التاريخ دوره في تشكيل خصوصيات ثقافية عامة واحدة، حيث جاء هذا البيان في عنصر الهدف منه الإستقلال الوطني التام المبني على :

- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية، ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية⁽¹⁾.

- تحقيق وحدة شمال أفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي .

فالشخصية الوطنية الجزائرية تتحدر، من هذه المبادئ العامة لتعبّر عن الهوية الوطنية، والتي كانت أحد عناصر مشروع الحركة الطلابية الوطنية في نضالها، الذي ابتدأ مع ميلاد الحركة الطلابية سنة 1919، والذي كان ظاهره نقابيا، أما باطنه فهو مشروع وطني تبلور شيئا فشيئا في الجزائر، مع ميلاد جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا، في أواخر عشرينيات القرن الماضي، حيث ناضلت هذه الجمعيات الطلابية، مواكبة للحركة السياسية الوطنية، وبذلك تبلورت واكتملت عناصر هذا المشروع، عند تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بعد اندلاع ثورة التحرير، وكان هذا في شهر جويلية من عام 1955، حاملا معه القضية الوطنية، وعلى أساس هذا التسلسل المبلور للحركة الطلابية، التي قادها مجموعة من الطلبة الجزائريين، الذين شاركوا في صنع قراراته الأعضاء الفاعلين، منهم من لا يزال على قيد الحياة، وعلى ضوء تصريحاتهم نحاول أن نعيد تفكيك هذه

1- جبهة التحرير الوطني، بيان أول نوفمبر 1954.

القضية، التي حملوا لواءها ضمن التنظيم الطلابي، الذي شكّل جزءاً من المشروع الوطني الهادف إلى الاستقلال، وعليه طرح التساؤل العام الآتي:

- ما هي مقومات المشروع الوطني، الذي تبنته الحركة الطلابية أثناء الحقبة الإستعمارية؟
ومنه تتفرع الأسئلة الآتية:

1. هل يمكننا اعتبار النضال السياسي، مقوماً أساسياً لتوضيح هذا المشروع؟
2. ثم هل تعتبر اللغة العربية، مقوماً أساسياً لتكملة المشروع الوطني، الذي تبنته الحركة الطلابية؟
3. أم هل يمكننا اعتبار الدين الإسلامي، مقوماً أساسياً لتكملة هذا المشروع؟

4- فرضيات الدراسة:

1. إعتبار النضال السياسي مقوماً أساسياً لتوضيح المشروع الوطني، من طرف الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.
2. تعتبر اللغة العربية مقوماً أساسياً لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.
3. يعتبر الدين الإسلامي مقوماً أساسياً لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

5- تحديد المفاهيم:

5- 1 - المشروع:

يتميز المشروع عن التطلع العام، أو عن صياغة رغبة، بسمات ثلاث على الأقل: السمة الأولى: تحديد غاية دقيقة: "إننا نركض جميعاً وراء شيء من دون أن نعلم فعلاً ما هو، هذا ما كتبه فرنسوا مورياك؛ فالمشروع الفعلي يفترض تحديد هدف دقيق يعطي للأحلام شكلاً، أن تغيير الحياة ليس مشروعاً. خلافاً لذلك، يعتبر القرار بتغيير المهنة وتحديد هدف دقيق، في مهلة زمنية محددة من المراحل الأولى في المشروع الأصيل⁽¹⁾.

1- جان فرانسوا دورتييه، منهج العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص 990.

السمة الثانية: تحديد تصميم معركة. ما أن يصار إلى تحديد الهدف، فلا بد بعد ذلك من تقرير المسيرة المتبعة تجاه مشروع على مدى طويل، والذي يتطلب الجهد والثبات، ولا بدّ من تحديد المراحل الوسيطة وإيجاد الدعم اللازم، وتحليل أسباب النجاح والفشل بغية إعادة صياغة الأهداف عند الضرورة.

وينطوي كل قرار كبير على عقبات وعلى تشعبات وعلى نجاحات وفشل مرحلي، وعلى ضرورة مقارنة الطموحات مع الإمكانيات.

وفي التنظيمات، يفترض تطبيق المشروع لا وجوب وضع خطة عمل وحسب، بل إعداد إجراءات الإصلاح بهدف تقويم العمل وقياس النتائج الوسيطة⁽¹⁾.

السمة الثالثة: تحويل التكهن إلى فعل، إذ أن المشروع بطبيعته يفترض ارتباطا إراديا وتحركا عفويا⁽³⁾.

التعريف الإجرائي للمشروع: يقصد بالمشروع، تلك الأفكار والمبادئ والمقومات التي نادى بها أعضاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وقد تضمّن مجموعة من المقومات تقررت في المؤتمرات التي عقدها الإتحاد، ومنها المؤتمر الأول التأسيسي في شهر جويلية من سنة 1955، حيث أعلن الإتحاد عن المبادئ المتمثلة في مقومات الشخصية الوطنية، وهي اللغة العربية و الدين الإسلامي، مع اعتماد النضال السياسي والكفاح المسلح، كأداة ووسيلة لتحقيق الهدف الأسمى وهو الإستقلال التام، واسترجاع مقومات الشخصية الجزائرية الوطنية، وصولا إلى المؤتمر الرابع الذي انعقد بتونس سنة 1960، أين تبلورت معالم مشروع وطني، أكدته القرارات و المقترحات التي أوصى بها المؤتمر، تحت رعاية الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

5-2- اللغة العربية:

عرّف القدماء اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولم تستطع التعريفات الحديثة للغة أن تتجاوز هذا التعريف الموضوعي، غير أن تعريف اللغة بوظيفتها، يختلف عن تعريفها بحقيقتها وعلاقتها بالإنسان، فاللغة هي الإنسان، وهي الوطن والأهل،

1 - **نفس المرجع** ، ص 991 .

3- برنارد نوتكت ، **سيكولوجية الشخصية** ، ترجمة صلاح مخيمر و عبده ميخائيل رزق ، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1959، ص ص 2-1.

واللغة هي نتيجة التفكير، وهي ما يميز الإنسان عن الحيوان، وهي عثرة الفعل والعقل كالكهرباء يعرف بأثره ولا ترى حقيقته.

والأصل في اللغة أن تكون مسموعة فالإنسان، ينطقها بلسانه وشفثيه فيسمعها إنسان آخر بأذنيه، ولكن عندما عرف الكتابة بالرسم، أو بالحرف منقوشة على الحجر أو مكتوبة على الورق، أصبحت هناك لغة مقروءة أي أن الإنسان يقرأها بعينيه، وأصبحت هناك لغة إحداهما سمعية والأخرى بصرية⁽¹⁾.

التعريف الإجرائي للغة العربية هو: أن اللغة العربية هي لغة القرآن، وبالتالي فهي

لغة الإسلام الذي يدين به الجزائريون، ويتصل بواسطتها الفرد الجزائري، بمنابع الإسلام في القرآن والحديث والفقهاء، وغيرها من التراث الفكري والروحي للإسلام، يقول العلامة البشير الإبراهيمي: "...اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الرسمية، ولهذه اللغة حقان أكيدان على الأمة الجزائرية⁽²⁾، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين لأمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها، بحكم أن الأمة العربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا"⁽³⁾.

واللغة العربية في هذا الإطار، عدت ضمن مطالب L'UGEMA النضالية أثناء الحقبة الإستعمارية.

3- الدين:

إن للدين مكانة عالية لدى المجتمع البشري وفي أي عصر من العصور، إذ أن الفكرة الدينية كانت ملازمة للوجود الإنساني، وهي من أهم المميزات للجماعات البشرية منذ ظهورها، والدين في اللغة العربية ينطوي على عدة معاني متباعدة، الدين هو الملك وهو القهر وهو العادة والعبادة وهو السلطان .

أما الدين عند:

أ- إخوان الصفا: يعرفونه على أن شيئين اثنين أحدهما الأصل، وهو الاعتقاد في الضمير، والآخر هو الفرع المتبني عليه القول.

1- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون تاريخ، ص 106.

2- البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، دار المعارف بالقاهرة، ط2، 1963، ص16.

3- جريدة البصائر، السنة الرابعة، عدد 171، قسنطينة، 23 جوان 1939، ص 5.

ب- أبو العلا المودودي: عرّفه أنه النظام الشامل للحياة يخضع فيه الفرد لسلطة عليا، و يقبل طاعتها لأجل الثواب، ويخشى في عصيانها الذلة و سوء العاقبة.

-لغة: الشائع في الفكر المسيحي أن كلمة Religion ، تعني العلاقة المتينة بين النفس البشرية، والذات الإلهية المقدسة وهذه العلاقة ثابتة غير متغيرة⁽¹⁾.

-إصطلاحا: يعرفه تايلور: على أنه الاعتقاد بوجود كائنات روحية، ويعرفه جيمس فريزر أنه استرضاء القوى التي تتعالى على الإنسان.

التعريف الإجرائي للدين الإسلامي :

الدين الإسلامي يعتبر مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية، الذي نادى به الإتحاد في مطالبه النضالية، وقد شكّل هوية المجتمع الجزائري، وساهم في تماسكه رغم السياسة التي انتهجتها فرنسا، خاصة التنصير و التمسح.

5-4- النضال السياسي:

هو تعبير يدل على العمل السياسي، وعلى استخدام منطق العقل في الدراسات الإجتماعية، والتحليل العلمي للواقع المعيش، عبر العمل بأدوات تحددها المجموعة، أو مجموعة أحزاب متحالفة، ويهدف هذا الشكل من العمل السياسي، إلى تغيير واقع معين نحو واقع آخر، وتشمل الآليات المستخدمة في العمل السياسي أشكالاً من التعبير السلمي و منها:

1- إستخدام وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة للتغيير السياسي، وذلك لتشكيل رأي عام حول أهمية الهدف المنشود، وباستخدام لغة سلمية سياسية مرنة تستقطب التعاطف الداخلي والخارجي.

2- إستعمال جميع المؤسسات المتاحة، وذلك حسب الظروف والقناعات ونوعية المؤسسات، للتعبير عن الرأي والتحريض والدعاية للأفكار والمشاريع، التي تؤمن بها المجموعة المعنية.

1- ريمون بودون وفرانسوا بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة: سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 ، ص316.

3- العمل الدبلوماسي واستخدام تكتيكات ومناورات، بحسب الظروف والقناعات التي تمرّ بها الأوضاع السياسية.

4- إقامة ندوات واجتماعات، وإحياء مناسبات معينة، والاستفادة من أشكال أخرى من التذمر الشعبي، وتوجيهها نحو المطالب السياسية المحددة.

5- الإحتجاجات والتظاهر في الساحات العامة، وأمام مقرات معينة، ترفع فيها شعارات محددة تتسجم مع الأهداف، التي تسعى إليها المجموعة التي تدعو إلى الإحتجاج.

6- العصيان المدني، وهو أقوى حالات التعبير السياسي، وتشمل الإمتناع عن العمل المدني، وعرقلة المؤسسات الاقتصادية والإضراب الشامل، وهي مرحلة تسبق تحقيق الأهداف المتوخاة، وتشترك في تنظيمها، أوسع الأطراف المعارضة التي تنشأ التغيير المطلوب⁽¹⁾.

هذه الأشكال من العمل السياسي وأشكال أخرى من التعبير السياسي السلمي، متوفرة في أغلب الأحزاب والحركات السياسية، ويبقى العمل بها أو بإحداها مرتبطا بالظروف السياسية والإمكانات الذاتية، أو حتى بالمنطقة المعنية أو بمدى استجابة ، هذا العمل أو ذاك للمصالح العليا للمجتمع، ومرتبطة أيضا بالدراسات الجدية والعلمية لردود الأفعال والانعكاسات التي قد تنجم عن هذا العمل، أو التي قد تضر في محصلاتها بالقضايا الأساسية.

التعريف الإجرائي للنضال السياسي : نقصد بالنضال السياسي، هو مجموع الفعاليات السياسية والإجتماعية، التي ناهضت الوجود الإستعماري وقامت بتوعية الشعب، والدفاع عن حقوقه ومصالحه، وقد تطورت بشكل كبير، بعد الحرب العالمية الأولى، مجسدة في جمعيات وأحزاب سياسية حملت على عاتقها، مهمة توعية الشعب الجزائري والدفاع عن حقوقه، ومقاومة ومناهضة الإستعمار الفرنسي الكولونيالي، والتي جذبت إليها شرائح واسعة من المجتمع، و منها شريحة الطلاب الذين انضموا تحت لواء L'UGEMA ، وساهموا في النضال السياسي السلمي و المسلح .

5-5- الحركة الطلابية:

¹ - عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، دار الفارس للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 ، 1991، ص125.

هي ظاهرة اجتماعية وثقافية وسياسية في آن معا، فرضت نفسها على الصعيد العالمي، مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وتتميز الحركة الطلابية بأنها جزء من الحركات الإجتماعية الأخرى، ومن خصائصها، أنها ثورية احتجاجية، تتميز بروح التمرد والمجازفة، ورفض الواقع المعيش، والمطالبة بالتغيير الإجتماعي وتحقيق أيديولوجية معينة.

التعريف الإجرائي للحركة الطلابية: الحركة الطلابية في الجزائر، تشكلت مع أواخر عشرينيات القرن العشرين، وكانت دائما مواكبة للحركة الوطنية الجزائرية، ومشاركتها في اتخاذ القرار وتنفيذه، وسلكت نفس الإتجاهات والميول التي سلكتها الحركة الوطنية، بشقيها السياسي والمسلح، في مواجهة القوة الإستعمارية الفرنسية، فالنضال الذي قاده الطلبة، إنما هو تمرد على نظام رأسمالي - إمبريالي - عنصري، ومن الحركات الطلابية تناولنا في دراستنا الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

6. المقاربة النظرية للدراسة:

6-1- نظرية أنطونيو غرامشي والمتقف العضوي:

يقول غرامشي: "الوعي الذاتي النقدي، يعني تاريخيا وسياسيا خلق نخبة من المثقفين، فالكتلة البشرية لا تتميز ولا تصير مستقلة من تلقاء ذاتها، من دون أن تنظم نفسها بالمعنى الواسع، ولا تنظيم بدون مثقفين وبدون منظمين وبدون قادة"⁽¹⁾.

بهذا النص يضع غرامشي في الضوء العلمي، علاقة موضوع سوسيولوجية وهي علاقات الطبقات بالمثقفين، أي دياكتيك عملية تكوين الوعي الطبقي ككل، بوصفها عملية تحتضن علاقة عضوية بين منتجي الأفكار والتصورات والأنساق النظرية، والطبقات الإجتماعية وأوضاعها العيانية الملموسة، وما تفرزه من أشكال وعي حرفي اقتصادي. فغرامشي يقوم في إعادة تحليلية لمفهوم "المثقف"، بتدمير التصورات الميتافيزيقية عنه، وهذا يتجاوز أفكار "كاستقالية و"انعزال المثقف" عن الطبقات وصراعاتها، ليكُون بذلك وبصلابة وإبداع - لم يسبقه أحد إليه - عناصر علمية، لنظرية سوسيولوجية حول المثقفين، فهو المفكر السوسيولوجي للبنية السياسية والأيدولوجية.

1- جان تكسيه ، غرامشي: دراسة ومختارات، ترجمة ميخائيل إبراهيم ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1972، ص 164.

ارتبطت إعادة التفكير عند غرامشي بجملة من القضايا النظرية والتطبيقية، لتي طرحها صراع الطبقات سياسيا وإيديولوجيا، ذلك أن دراسة غرامشي للأيديولوجيا لا تنفصل منهجيا عن مشكلة المثقفين، ففهمها وتحليلها يستلزم فضلا عن تحليل بنية الطبقات الإجتماعية، معرفة بتوزيع المثقفين بشتى أصنافهم، ومعرفة بتكوينهم وروابطهم العضوية المختلفة مع الطبقات الإجتماعية الأخرى⁽¹⁾.

في سؤاله الجوهرى المركزى لغرامشي التالى: " هل يشكل المثقفون فئة اجتماعية مستقلة، أم أن كل مجموعة أو طبقة اجتماعية تلد وتفرز وتنتج مثقفيها ؟

يقول غرامشي: " إن كل فئة اجتماعية، ترى النور في بادئ الأمر، على أرضية وظيفة أساسية في عالم الإنتاج الإقتصادي، تخلق عضويا في نفس الوقت الذي ترى النور فيه، شريحة أو عدة شرائح من المثقفين، الذين يزودونها بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة في المضمار الإقتصادي فحسب، وإنما أيضا في المضمار السياسى والاجتماعى"⁽²⁾.

فالعنصر المكون لمفهوم المثقف، يتحدد في منظور غرامشي في حقيقتين:

- الحقيقة الأولى هي أن المثقف لا يعرف، على أساس التفرقة بين العمل اليدوي والعمل الذهني، بل على أساس المكانة والوظيفة الذي يقوم به هذا المثقف، داخل البيئة الإجتماعية ونظام علاقتها الاجتماعية، يصبح المثقف أيضا كل من يمارس عملا تربويا ثقافيا أخلاقيا، فالمناضل لحزب، والمعلم، والصحفي والأديب، مثقفون لكونهم يبذلون عملا ذهنيا⁽³⁾.

- الحقيقة الثانية: هي أن كل طبقة اجتماعية تلد، تحت تأثير نمو القوى المنتجة وانفجار نمط إنتاجي، وولادة نمط آخر، شرائح من المثقفين لا يقومون بوظيفة تمثيلها، بل يرتبطون عضويا، بقيادة الطبقة الأساسية لا يمارسون نشاطات فكرية متنوعة، بل يسلمون هذه المهام وتلك النشاطات، إلى وكلائهم المثقفين العضويين، هؤلاء الذين يعتبرون " منظمي " الوظيفة الإقتصادية للطبقة.

1- جان-مارك بيوني، فكر غرامشي السياسى، ترجمة أحمد طرابيشي، دار الطبعة، بيروت، ط1، 1975، ص 82.

2- عمار بلحسن ، أنتلجانشيا أم مثقفون فى الجزائر؟! !!، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1986، ص38.

3- لطفي الإدريسي، "المثقف العضوى- أنطونيو غرامشى"، مجلة المحور: علم النفس وعلم الاجتماع. 08 أوت 2012. (<http://pagead2.google-sy-indication.com>).

فالمثقف العضوي هو المثقف الذي تكون، علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشترك.

إن العلاقة العضوية هي قبل كل شيء، علاقة معترف بها معلنة منظرًا، ومرادها سياسيا من أجل الدفاع بطريقة جيدة، عن "التصور الجديد للعالم"، الذي تحمله تلك الطبقة الثورية الصاعدة⁽¹⁾.

ولتحقيق التصور الجديد للعالم والخاص بالطبقة الثورية، يجب أن تتم على مستويين، المستوى الأول هو تنظير الممارسة السياسية للطبقة الإجتماعية، وإنتاج معرفة بدورها ووظيفتها، أي القيام بعمل ثقافي يهدف لتأسيس تصور العالم المتضمن في الممارسات السياسية، ويتطلب هذا الإنطلاق من العقل السليم، والنواة العقلانية في الحس المشترك للطبقة، وتكوين فلسفة ورؤية للعالم، وإنطلاق أعضاء الطبقة لوعي واحد لمصالحهم ومصائرهم، واستقلالية حركاتهم ووحدة مهامهم التاريخية، التي يفرزها وصفهم داخل علاقات الإنتاج، وكشف إمكانية قدرتهم على تكوين طبقة اجتماعية لها شخصيتها التاريخية.

فعزلة الحس المشترك لإخراج نواة الحس السليم، من زوائد التأثيرات الأيديولوجية للطبقات السائدة وفضلاتها المتبقية، هي هذا العمل الذي يسميه غرامشي، وهو يتكلم عن المثقفين العضويين للبروليتاريا بـ "الإصلاح الثقافي"، وعزل العناصر المضادة والمتبقية من التجارب الماضية للصراعات الأيديولوجية، والناجمة عن التأثيرات التي تمارسها الطبقات الأخرى⁽²⁾.

أما المستوى الثاني فهو نشر وتعميم وإذاعة، تصور العالم وسط الطبقات الاجتماعية الأخرى، العمل الذي يتطلب بلورة نقد أساسي من طرف المثقفين العضويين، للأيديولوجيات الأخرى التي تشوه الوعي الطبقي الذاتي المستقل، عن طبقة اجتماعية التي يرتبطون بها عضويا.

بهذا الطرح يضرب غرامشي الأطروحات التالية، القائلة بـ "استقلالية" المثقفين عن الطبقات الاجتماعية، ورؤيتهم كطبقة أو كشريحة اجتماعية، منفصلة وحيادية في الصراع الطبقي، والتقدم التاريخي للمجتمعات. فالمثقفون لا يوجدون هكذا معلقين في الفراغ،

1- نفس المرجع، ص38.

2- سيار الجميل، "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير"، 2012/10/11، (www.sayaraljamil.com).

ومعتكفين في الأبراج العاجية يتفرجون من وراء قلاعهم الفكرية، على معارك وصراعات المجتمع، بعيدا عن شظايا الثورات الإجتماعية، وديالكتيك التناقضات وتصورات الناس، وغليان الإيديولوجيات، فهم يرتبطون أيضا وفي نفس الوقت بالتنظيمات التي ينتمون إليها، من جمعيات أو أحزاب لهم مواقفهم السياسية المختلفة.

وتعود هذه الإستقلالية النسبية أساسا، إلى نوعية وظائفهم كمنظمين ومربين وعلماء، وإلى طبيعة عملهم "الثقافي - الأخلاقي" الخاص بتنظيم وهندسة الوعي وتأسيس تلك الإنسجامية للوعي الطبقي، الشيء الذي يعطيهم حرية نسبية، تظهر في النقد والممارسة الفكرية الحرة⁽²⁾، كما أن وضعهم كوسطاء وكوسائل للطبقات، عن طريق تنظيمات ومؤسسات المجتمع المدني والسياسي، يسمح لهم بتكوين تنظيمات خاصة بهم، تتدرج وتتعدد انطلاقا من المستويات الحرفية الفنية، (الكتاب، المهندسون، المؤرخون، الأدباء مثلا)، إلى المستوى السياسي والفكري "أحزاب ونقابات فكرية عامة" لها مواقفها السياسية ومناضليها.

فالحركة الطلابية الجزائرية التي نشطت خلال الفترة الكولونيالية، ويمكن اعتبارها إنتيلاجانسيا صغيرة العدد، عانت كثيرا من اختلاف وتنوع واختلاط المراجع الثقافية والفكرية، ومن الإنقسام اللغوي. هاتان المشكلتان بقيتا بدون حل خلال تلك الفترة.

وستتوحد هذه الإنتيلاجانسيا الصغيرة، لا حول مشروع فكري وثقافي، بل حول مشروع الحركة الوطنية السياسي، الذي ستخضع له وستلعب دور أساسيا، منقذا ومطبقا للمشروع الوطني.

6-2- نظرية ألان تورين « Alain Touraine » في الحركات الإجتماعية :

تهدف الحركة الإجتماعية عند ألان تورين إلى تحرير الذات، التي تمثل عنده مفهوم "الفاعل الإجتماعي"، أي المفهوم الذي يجعل للعلاقة الإجتماعية بعدا أصيلا في الفكر، كما يؤكد تورين على أن الحركة الإجتماعية تكوّن عن إرادة ووعي الأفراد بذواتهم، في غنى عن تشكيل نقابة سياسية من أجل الدفاع عن مطالبهم.

يقول تورين: "الحركة الإجتماعية الجديدة لا تتشكل بالعمل السياسي والصدام، ولكن بتأثيرها في الرأي العام"¹.

¹ - Alain Touraine, Le retour de l'acteur, Fayard, Paris, 1984, P 10.

ويعدّ موضوع " الحركة الاجتماعية "، من أهم المباحث الأساسية التي اشتغل عليها آلان تورين، وتعني بالنسبة له تحديداً، أن ما يقوم به الفاعلون ليس مجرد ردود أفعال تجاه تكريس المؤسسات الاجتماعية عليهم، ولكنهم ينتجونها ويحددونها بتوجهاتهم الثقافية وبالصرعات الاجتماعية المنخرطين فيها.

فاحتفاء تورين بالحركة الاجتماعية، ودورها في الثقافة المعاصرة، جعله ينتقد كل من "ماركيوز" و " فوكو" و"لويس ألتوسير" و "بيير بورديو"⁽¹⁾، ويأتي ذلك حينما رأى هؤلاء أن الحركية الاجتماعية مجرد تمرد يتم على هامش المجتمع، دون تأثير كبير، بدعوى أن المجتمع المعاصر أصبح يميل أكثر فأكثر، إلى التسلط والمراقبة المحكمة، حيث أن الحياة الاجتماعية لم تعد إلا تجليات لسيطرة مطلقة.

يعتبر آلان تورين أن انتقادات "ماركيوز" و" فوكو" و" ألتوسير" و " بورديو" للحركة الاجتماعية، قد ينسحب عليها في شكلها ودورها الثقافي القديم المرتبط بالعمل السياسي، من فئة نقابية تطالب بحقوقهم، لكن آلان تورين يعتبر أن الحركة الاجتماعية الجديدة من وجهة: " لا تتشكل بالعمل السياسي والصدام، ولكن في تأثيرها في (الرأي العام)⁽²⁾، فهنا حسب تورين، يتحدث عن حركة اجتماعية جديدة لها تأثيرها المبالغ، وقائمة في تأسيسها على وعي وقناعة، بخلاف الحركة " المبادرة" أو المشكّلة بالعمل السياسي والمرتبطة بالمجتمع الصناعي أساساً.

تتميز الحركة الاجتماعية عند " تورين" بقدر معين من التنظيم والإستمرارية، الذين من خلالهما تسعى إلى الفعالية في إعادة إنتاج تاريخ الأنساق الاجتماعية، كما تتميز بكونها لا توجد في المجتمع الصناعي، ولا في المجتمع قبل الصناعي⁽³⁾.

ويشدد "آلان تورين" على أن الحركة الاجتماعية، هي التي من خلالها يمكن أن ندافع عن هويتنا واستقلالنا الذاتي، وحریتنا من الخضوع للسيطرة، لذا نجد " تورين" يلجّ بالدفاع عن الحقوق كأفراد بمبدأ المقاومة وشرعية السلوك، الذي يتمثل في الحركة الاجتماعية المستمرة، والتي من المستحيل السيطرة عليها.

1- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيش، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 28.

2- نفس المرجع، ص 35.

3- نفسه، ص 85.

ومن أجل ذلك يقترح " ألان تورين " تأسيس الحركة الإجتماعية، على ثلاثة مبادئ يعتبرها أساسية وهي كالتالي:

1- مبدأ الهوية: ويقصد بمبدأ الهوية ضرورة تحديد الهوية الذاتية، التي يمكن أن تكون متعددة مركبة، (مجموعة، طبقة، شريحة اجتماعية ...) وبمقابلها أيضا، يجب تحديد هوية الخصم، أي يجب أن تكون فكرة وقضية.

2- مبدأ التعارض: يفترض مبدأ التعارض، في الحركة الإجتماعية عند " تورين " تحديد الخصم، أي يجب أن يكون الخصم الذي قائمة عليه الحركة، واضحا وموضوعيا، بصيغة أخرى أن يكون لسؤال: لماذا الحركة الإجتماعية؟ جوابا معينا وواضحا مثلا: "الحركة العمالية ضد تنظيم العمل من أجل الاستقلال العمالي" (1).

3- مبدأ الكلية: ويقصد ألان تورين بهذا المبدأ، أن تكون الحركة الإجتماعية مكونة من وعي جمعي وبصيغة جمعية وشمولية لا أقلية فردية (2) ، وهذا من أجل النجاح في التأثير على الرأي العام، والحصول على الحقوق والمطالب ، وذلك لأنه وحسب تورين، إذا كانت هناك حركة كلية شمولية فمن المستحيل السيطرة عليها.

4- واستنتاجا من مبدأ الكلية، فالحركة الإجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل الوعي بالسيطرة على حقوقهم، وأن الحقوق لا يمكن أن ترجع إليهم ، لأن الحقوق لا يتمتع بها المحتجين.

هذا، بالإضافة إلى أن " ألان تورين "، اشتغل على الفعل الإجتماعي، والعمل النقابي، والحركة الطلابية، والحركات الجديدة لأنصار البيئة، ومناهضي العولمة المجازفة، والرأسمالية المتوحشة، كما نجده أنه شارك في الإحتجاجات ضد الحروب الإستعمارية (3)، التي خاضتها بلاده فرنسا منذ شبابه، قبل شعوره بالأخوة مع المثقفين والعمال، الذين كانوا يرفضون الديكتاتورية الشيوعية في المجر.

ويلخص ألان تورين هدفه من الحركة الإجتماعية الجديدة، تحديد إرادة الحصول على حقوق جديدة ، وفرض الاعتراف بالحقوق الواجبة المحتكرة عليهم، كما يلح ألان تورين

1- ألان تورين، برادينغا جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، 1997، ص 97.

2- ألان تورين، مرجع سابق، ص 101.

3- أرنست ماندل، "الحركة الطلابية الثورية" الفصل الأول من كتاب "الطلبة المثقفون والصراع الطبقي"، منشورات لابرش-1979، باريس، (www.webmaster.almounadil-ar.info).

بتأكيده على الانضمام إلى الحركة الإجتماعية الجديدة، التي تمثل كما سبق الذكر، الدفاع عن الهوية والمصالح الخاصة والنضال ضد الخصم.

فسوسيولوجية الحركات الإجتماعية لـ "تورين"، لا تفترض الصدفة والتعسفية، ولكن يجب أن تكون نضالية، و محررة للفاعل الإجتماعي، من تكريس النظام الإجتماعي وقيوده. فتورين يحدد أهمية علم الإجتماع، انطلاقا من النضال الدائم والمستمر على الوضعية الزائفة للنظام القائم وخطاباته البربرية.

ألان تورين أمّد الحقل السوسيولوجي بالعديد من الإسهامات، والمفاهيم العديدة من قبيل " الفعل الاجتماعي"، و " الحركة الاجتماعية"، و " المجتمع المبرمج" أو " ما بعد الصناعي" وبجهاز مفاهيمي ثري جدا⁽¹⁾.

7. الدراسات السابقة:

للدراسات السابقة أهمية كبيرة في البحوث الإجتماعية الإنسانية، ذلك أنها تسمح للباحث بالإطلاع على الدراسات المتعلقة ببحثه، والتي يمكن له أن يستفيد من مضمونها ومنهجية معالجتها، كما أنها تطلعه على النتائج التي توصل إليها غيره من الباحثين، فيتخذها منطلقا لبحث جديد يوصل إلى نتائج جديدة، مما يثري البحث العلمي في مناهجه ومعارفه، وقد عثرنا على بعض الدراسات المشابهة لموضوع دراستنا في بعض جوانبه، والتي لمسنا فيها بعض الفائدة لسيرورة البحث .

1. دراسة غي برفيلي (الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962):

هذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه درجة ثالثة، نوقشت بتاريخ 28 جوان عام 1980 بفرنسا، عنوانها: "الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962 الشعبية والوطنية، عند الطلاب والمتقنين المسلمين الجزائريون ذوي التكوين الفرنسي"⁽¹⁾.

1- عبد الرحيم العطوي، الحركات الاحتجاجية بالمغرب دفاتر وجهتي نظر، الدار البيضاء للنشر، الرباط، 2008، ص

حاول الباحث في دراسته هذه، تلمس تطور النخبة الجزائرية، من خلال قيامه بتحقيق حول مساهمة الطلبة الجزائريين، ذوي التكوين الثقافي الفرنسي في حرب الجزائر، باعتبار أنهم يمثلون بفضل ثقافتهم الفرنسية، شريحة اجتماعية يستطيع الطالب الفرنسي محاورتها بسهولة.

في الجزء الأول من الأطروحة يعرض الباحث بتفصيل وإطناب، ظهور هاته النخبة إبان الفترة الكولونيالية، بوضعهم داخل مجتمعاتهم، ويقوم بمقاربة بين تطور الحركة الطلابية والقضية الجزائرية، ابتداء من الحركة الوطنية وصولاً إلى الثورة التحريرية سنة 1954م.

في جزئه الثاني من الدراسة يعرض بكل دقة وتفصيل، مشاركة هذه الفئة من الطلبة المكونين في الجامعات الفرنسية، مشاركتهم في حرب التحرير الوطنية، من سنة 1955م إلى غاية سنة 1962م، وفي جزئه الثالث من بحثه الأكاديمي، يعرض أيديولوجية هذه الفئة في الإطار الشمولي لتطورهم، ومراحل تكوينهم السياسي الفردي، وفي طرح القضية الوطنية التحريرية، وقد اعتمدت الدراسة على منهج الملاحظة الوثائقية ، لأن تعامل الباحث كان قائماً مع مختلف الوثائق من كتب ونشريات ومجلات، إضافة إلى إعماده على الأشخاص الذين ساهموا، داخل الحركات الطلابية أو منفردين كطلبة، وأخذ عنهم ما تيسر له من معلومات؛ لم يكن في البحث حديث عن العينة ولكن الدراسة كانت شاملة، في تحليلها لمجموع الكتب والوثائق المتصلة بالموضوع ، في مختلف التخصصات وكذا خبرات الأشخاص وتجاربهم.

ما يلاحظه الباحث برفيلي أن الظرفية الاجتماعية، والسياسية التي برزت فيها النخبة المثقفة الجديدة، في غياب مجتمع مدني متطور، نتج عنه انفصال تلك النخبة عن الجماعة التي أنجبته لم يسمح لها بتشكيل قوة خاصة بها، بل فرض عليها الإنضواء ضمن مجموعة، من الحركات الثقافية والسياسية، التي لم تكن تعكس الواقع الاجتماعي الحقيقي لتلك النخبة ، بالرغم من أنها أتاحت لنفسها فرصة فذة لخوض تجربة ثورية شعبية.

ونلاحظ في هذه الدراسة: إبراز الباحث لدور فرنسا في مرحلة أولى، في نجاحها في عملية الإحتواء المعنوي لهذه النخبة، إلا أنها فشلت فشلا ذريعا في مرحلة تاريخية تالية، وقد حاول إبراز عوامل النجاح وال فشل.

والملاحظ أن هذه الدراسة لم تستثن ولا جمعية من الجمعيات الطلابية، التي تكوّنت في الجامعات الفرنسية في المرحلة التاريخية التي تناولها بالدراسة، ابتداء من الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا، إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ، وصولا إلى جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، وتناوله بالفحص والتمحيص لحركة هذه الجمعية، وصولا إلى نشأة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين؛ توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

- أن مساهمة هذه الفئة من الطلبة، في الحركة الوطنية وثورة التحرير الوطني، جاءت متأخرة ومفعولها كان متواضعا.
- فئة من الطلبة كانوا متمسكين ولفترة طويلة بفكرة الجزائر فرنسية، وأخرى متمسكة بالجزائر فرنكو- إسلامية .
- كان من بين الطلبة من لم يلتحق بالحركة الوطنية، إلا بعد اندلاع ثورة 1954م.
- الباحث صنّف تصنيفا أيديولوجيا، مناضلي الحركة الوطنية على المنوال التالي: الأيديولوجية الإستيعابية، التي عبّر عنه بن حبيلس، قبل سنة 1914، وكانت ترى أنه يجب على المسلمين، أن يكونوا مماثلين للفرنسيين ليكونوا أهلا للمساواة معهم.
- ثم جاءت الأيديولوجية الفرنكو- إسلامية التي كانت موجودة بعد سنة 1914، وكان فرحات عباس أحد رموزها، حين نادي بضرورة المساواة بين الأفراد والحضارات، وبحق التمتع بالجنسية الفرنسية وبآليات المجتمع المسلم معا تمتعا تاما، إبتداءا من سنة 1936 وبالأخص منذ 1943 حيث جاءت الحركة الوطنية، لتدّعي أنها تسعى إلى إحلال الثقافة العربية الإسلامية محل الثقافة الفرنسية الغربية، و التي فرضت على المجتمع الجزائري ما يزيد على قرن و نيف .

يختم الباحث دراسته بالملاحظات التالية :

- أن السياسة الفرنسية ارتكبت لمدة طويلة خطأ، يتمثل في تسليط النخبة على العامة وإرغامها على اختيار سياسة فرنسا الإستيعابية، وفكّ ارتباطها بمجتمعها والإعلان بصورة فردية، عن اختيارها المواطنة الفرنسية.

- أن المثقفين الجزائريين من ذوي التكوين الفرنسي، كانوا أقل تحملاً أو أقل تقبلاً من بقية أبناء شعبهم، للمحن القاسية لحرب التحرير الوطنية.

2. دراسة الأستاذ حسين عبد اللاوي: (1) (مساهمة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية في الحركة الوطنية قبل 1954)، من خلال مقارنة تمحورت حول ثلاث تساؤلات أساسية:

- التساؤل الأول : حول الظروف الإجتماعية التي تكونت في إطارها، فئة الطلبة الجامعيين الجزائريين المهاجرين، حيث يتساءل الباحث عن دوافع انتقالهم إلى فرنسا، ثم كيفية تشكّل و تكوّن مشروع تأسيس تنظيم طلابي خاص بهم ؟

- التساؤل الثاني: ما هي خصوصيات هؤلاء الطلبة، التي أثرت في تحديد مساهمتهم في الحركة الطلابية في فرنسا ؟

- التساؤل الثالث: كيف أن الظروف التي حكمت تجسيد هذا المشروع، في شكل مساهمة في حركة اجتماعية وطنية، حددت آليات تموقع كل الفئات الإجتماعية على نحو إندماجي كلي، و ليس في شكل تبلور تباين للمواقف بين هذه الفئات ؟

و من أجل الإجابة على هذه الأسئلة، اعتمد الباحث على تحليل محتوى مجموعة من النصوص المتوفرة، سواء تلك التي سبق نشرها في عدد من المراجع، أو تلك التي تم جمعها في إطار مشروع البحث.

و قد توصلت الدراسة إلى: أن مساهمة الطلبة الجزائريين، الذين تكونوا في الجامعات الفرنسية في تطوير الحركة الوطنية، وفي بلورة مشروع ثورة التحرير الوطني قد مرت عبر مراحل، تبدو طويلة مقارنة بمساهمة الفئات العمالية .

1- حسين عبد اللاوي، مساهمة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية في الحركة الوطنية قبل 1954، المرجع السابق، ص 78

كما توصل إلى أن بلورة دورهم، جاء كنتيجة لتكون وعي فكري و نخبوي، في ظروف التمييز بين إدراك الحدود بين الهوية المفروضة والهوية الفعلية .

- إن تكون الوعي الوطني لدى الطلبة الجزائريين، الذين كانوا يدرسون في الجامعات الفرنسية، قد جاء كنتيجة معاكسة لسياسة الإستعمار، الهادفة إلى تكوين إطارات جزائرية على أساس فصلها عن جذورها الثقافية و الإجتماعية، دون ضمان شروط اندماجها في المجتمع الإستعماري .

- إن تطور مساهمة خريجي الجامعات الفرنسية، في الحركة الوطنية و ثورة التحرير، جاء في شكل تكون وعي وطني، انطلاقا من مشاريع تعددية و ليس في شكل الإنضمام إلى المشروع الأيديولوجي الجاهز.

3. دراسة عبد الله حمادي (الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 " مشارب ثقافية وأيديولوجية) (1):

إقتصرت الدراسة على الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية، وهي تتقارب إلى حد ما في الإشكالية، وفي طرح الأفكار مع دراسة الباحث "غي برفيلبي"، والتي ذكرناها سابقا .

حيث يقسم الكاتب بحثه - ، الذي نشره في مجلة ينابيع وهي مجلة جزائرية في عددها السادس، تم نشرها في كتاب - إلى قسمين، القسم الأول تطرق فيه للسياسة التعليمية الإدماجية وطرق انتقائها المشددة، في تعليم الجزائريين بعدد ضئيل جدا، وعرض هذا الإنتقاء بجداول وإحصاءات اعتمد فيها على وثائق تاريخية.

في القسم الثاني من الدراسة، يعرض الباحث التنظيمات الطلابية الجزائرية الفرنكفونية، ثم يصنف الطلبة الجزائريين إلى طلبة مسلمين فرنكفونيين، وطلبة جزائريون فرنكو-لائكو شيوعيين، ثم طلبة فرنكو - مسلمين.

ثم يعرض الصراعات الأيديولوجية و الفكرية، التي كانت قائمة بين الإتجاهات الفكرية والأيديولوجية العديدة للطلبة .

1- حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 " مشارب ثقافية وأيديولوجية"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، 1995، 160 صفحة .

نلاحظ غيابا تاما لدراسة فئة الطلبة، الذين درسوا في المعهد والمدارس العربية، سواء في تونس والمغرب أو في المشرق العربي. الملاحظ أن هذه الدراسة في مجملها نسخة مطابقة، لدراسة الباحث الفرنسي "غي برفيليبي" المذكورة آنفا.

4. دراسة أحمد مريوش (الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير (1954)⁽¹⁾:

هذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر والحديث، تقدّم بها الباحث إلى كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة الجزائر - قسم التاريخ. طرح الباحث كثيرا من التساؤلات الجوهرية بل والمحرجة أحيانا، في تناوله موضوع الطلبة وحتمية التغيير، ومفاد هذه الأسئلة: ما هي جدوى تغييب شرعية المثقفين الجزائريين، الذين ساهموا بالأمس في البحث عن الحلول للقضية الوطنية الضائعة والمغيبّة؟ وما هي الفائدة من إبعادهم عن الاهتمامات الوطنية والكتابات التاريخية اليوم؟ وهل أن أولئك الطلبة أجبروا على التفاعل، مع التحول الجديد مع بداية القرن العشرين، مصداقا لقوله "إن الاستعمار يأخذ بين طياته بذور الاستقلال"؟ أم أن هذه الفئة المتمدرسة لم ترق في تكوينها السياسي إلى مستوى المنظرّ والمشرّع السياسي، الذي هندس البناء السياسي المنظم بعد الحرب العالمية الأولى، لذلك همشت هذه الفئة ولم يعترف بشرعيتها وبجهودها بعد الاستقلال، الذي شهد صراعات بين كوادر الثورة، تذكر بتلك الصراعات التي شهدتها التنظيمات الطلابية قبل الإستقلال.

إعتمد الباحث خلال إنجاز هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وعلى التحليل الثقافي، وذلك في تحليله للأوضاع والمواقف الثقافية وتقصيا للحقائق الاجتماعية. لجأ الباحث إلى الملاحظة الوثائقية، لأن تعامله كان قائما مع مختلف الوثائق من كتب ونشريات ومجلات، إضافة إلى اعتماده على الأشخاص الذين ساهموا، في تأسيس الحركة الطلابية بمختلف تنظيماتها وجمعياتها، وأخذ عن هؤلاء المجاهدين القدامى ما تيسر له من

1- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر و الحديث، جامعة الجزائر، 2006، 668 صفحة ، غير منشورة .

معلومات، وقد أرفق الدراسة في قسم الملاحق بقائمة اسمية، مع ذكر زمان ومكان مقابلته للطلبة المجاهدين، والمناضلين في الحركة الوطنية وثورة التحرير. بالإضافة إلى المراسلات التي تمت، بين الباحث والأشخاص المبحوثين من مؤسسي التنظيمات الطلابية.

كان في البحث حديث عن العينة، فالدراسة كانت شاملة في تحليله لمجموع المراجع والوثائق المتصلة بالموضوع من جهة، ومن جهة أخرى قام بمقارنات بين عينات عديدة، وبإسقاطات أساسية التي مكّنت الباحث من معرفة التاريخ الطلابي كما هو، في سياقه التاريخي لا كما يجب أن يكون.

ما يلاحظه الباحث في تناوله لموضوع الحركة الطلابية، أنه يكتسي أهمية قصوى في مسار تطور الجزائر المعاصرة، مثل مثيلاتها في كل من تونس والمغرب الأقصى، إقتصر الباحث على توضيح وإبراز محطتين أساسيتين، اللتان ميزتا النضال الطلابي وهما، مساهمة الطلبة في تفعيل العمل السياسي والدفع به قدما، لبناء عقلية جزائرية جديدة، استطاعت أن تتكيف مع الظرف الاستعماري، ومن الجانب الآخر، والذي لا يقل أهمية عن الجانب السالف الذكر، هو احتضان الطلبة للثورة ومساهماتهم في تدعيمها ماديا ومعنويا، بل يجزم الباحث أن التحضير للثورة المسلحة، لم يكن مجهولا لدى الشريحة المثقفة.

تناول الباحث في دراسته الأصول والمنطلقات، عالج فيها موضوع المثقفين الجزائريين وميلاد التنظيمات الطلابية، من حيث المفهوم والمكونات الفكرية والأيدولوجية، وظروف ميلاد هذه التنظيمات، وقد حاول الباحث إبراز مراهنات المدرسة الفرنسية وطروحاتها في تكوين جيل جديد فرنكفوني، متشبع بالمبادئ اللائكية، وبالمقابل تطرق أيضا للمكونات الفكرية والأيدولوجية، للطلبة المعربين في المؤسسات والجامعات العربية والإسلامية.

قدم الباحث نماذج من التنظيمات الطلابية في الجامعة الفرنسية، مع الوقوف عند جل الجمعيات الطلابية وأهم الأنشطة، والمؤتمرات التي عقدها والقضايا التي تطرقوا لها. عالج الباحث أيضا نشاطات الحركة الطلابية، في البلاد العربية مع الوقوف عند تطور مسار كل تنظيم.

تطرق الباحث إلى دور الطلبة في المجال السياسي والثوري، قبل ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأثناء وبعده على الصعيد الداخلي والخارجي، وأفرد في البحث

ثلاثة فصول كاملة لهذا الإتحاد، الذي أصبح عصارة كل التنظيمات والإتحادات والجمعيات التي كانت تنشط هنا وهناك، داخل الجزائر وخارجها، قبل أن تتوحد كلها في داخل هذا الإتحاد؛ توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- أن سياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر منذ بداية الإحتلال، ركزت على عامل التدمير الإقتصادي وتمكين سياسة الإستيطان.

- إستعملت الإدارة الفرنسية المدرسة كوسيلة فعالة في انجاح مشروعها الإستيطاني، من خلال البرامج والمشاريع التي وظفتها، من إدماج وتنصير وتجنيس الأهالي.

- بروز الوعي الطلابي الجزائري جاء في وقت مبكر، من عمر الحركة السياسية في الجزائر، بل ظهر قبل ميلاد الأحزاب السياسية الرسمي.

- تأسيس التنظيم الطلابي في الجزائر تزامن مع بروز، كثير من المتغيرات على الساحة الجزائرية، بمعنى أن الطالب الجزائري المثقف سواء التابع للمدرسة الفرنسية، أو المدارس الحرة، لم يكن بعيدا عن جل التحولات في الجزائر.

لقد ناصر الطلبة الثورة وكان العديد منهم، يؤمن بالمبدأ الثوري أكثر من قناعته بالعمل السياسي، خصوصا بعد يأس الحركة السياسية في تحقيق مطالبها، بعد مجازر 8 ماي 1945م.

والمميز في هذه الدراسة أن الباحث تناول فيه، كل فئات الطلبة بجميع اتجاهاتهم وميولاتهم الفكرية واللغوية في تكوينهم، سواء الطلبة الذين درسوا في الجامعة الفرنسية وتكونوا تكويننا غربيا مفرنسا، أو في الجامعات والمعاهد العربية والإسلامية وكان تكوينهم عربيا، أو كما يطلق عليهم بالمعريين، وتطرق لكل التنظيمات الطلابية التي نشأت وتطورت سواء في الجزائر، أو خارج الجزائر من بلدان أخرى، كفرنسا ودول أوروبية، وتونس، مصر، وسوريا والعراق.

فالدراسة كانت شاملة، والباحث نجح إلى حد بعيد، في إبراز دور الحركة الطلابية ومساهماتها، في الحركة الوطنية وثورة التحرير 1954م، حيث اتسم البحث ببناء منهجي جيد، بيّن فيه الباحث ماهية و مقومات الشخصية الوطنية، ومدى نجاح هذه الأخيرة في تحقيق هذا الهدف.

5. دراسة تركي رابح تحت عنوان (التعليم القومي في الجزائر والشخصية الوطنية) (1):

هذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة في فلسفة التربية، تقدّم بها الباحث إلى كلية التربية بجامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية عام 1974، عنوانها التعليم القومي في الجزائر و الشخصية الوطنية خلال الفترة 1931 - 1956 .

إنطلق الباحث من المرحلة التي تناول فيها بحثه، وهي مرحلة عسيرة على الشعب الجزائري، وتتميز بميزات خاصة أهمها الضغوطات الإستعمارية، و مؤامراتها على الشخصية القومية للجزائر من أجل تقويضها و القضاء عليها، و من ذلك محاولاته للفرنسة الكاملة بالقضاء على اللغة الأصلية للمجتمع الجزائري، و هي اللغة العربية ومحاربة التعليم العربي الحر، لأنه يشكل خطرا على الثقافة التي تحاول فرنسا نشرها، والتمكين لها في صفوف الشعب الجزائري، و هي الفترة ذاتها التي اشتد فيها الصراع بين الشعب الجزائري والإحتلال الفرنسي، حول الشخصية الوطنية و مقوماتها الأساسية، من لغة ودين وتاريخ و حضارة عربية إسلامية، و قد كان التعليم العربي الحر في الجزائر، من أهم الأسلحة التي اعتمد عليها الشعب الجزائري في هذا الصراع؛ وذلك بإنشاء المدارس والمساجد والنوادي على نطاق واسع، في جميع أنحاء الوطن بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعض الجمعيات الخيرية الأخرى في مختلف ربوع الوطن، والهدف من ذلك هو نشر التعليم العربي و بعث الثقافة العربية الإسلامية، و تعليم مبادئ الدين والتاريخ الوطني، من أجل المحافظة على الكيان الوطني والشخصية القومية للشعب الجزائري، وهو الأمر الذي ساعد على قيام نهضة عربية واسعة خلال هذه الفترة، مما أفشل خطط الإستعمار الساعية إلى القضاء على هذه الشخصية، والسؤال الذي طرحه الباحث في بداية هذه الدراسة، هو كيف عمل التعليم القومي على المحافظة، على مقومات الشخصية القومية للجزائر في الفترة "1931-1956"؟ و إلى أي مدى نجح في تحقيق هذا الهدف؟ .

لم يكن البحث موجها بفروض، لكنه كان يرمي إلى الإجابة على السؤالين اللذين وردا في الإشكالية عن كيفية عمل التعليم القومي، في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية، ومدى نجاح هذا الأخير في تحقيق هذا الهدف .

1- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، 442 صفحة .

لم يشر الباحث إلى التقنيات التي وظّفها في دراسته، ولكن المنهج التاريخي يفرض على الباحث أن يلجأ خاصة إلى الملاحظة الوثائقية، لأن تعامله كان قائما مع مختلف الوثائق من كتب ونشريات ومجلات، إضافة إلى اعتماده على الأشخاص الذين ساهموا في حركة التعليم، وأخذ عنهم ما تيسر له من معلومات، فضلا عن خبرته الخاصة كطالب في ميدان التعليم الحر، ثم كمساهم فيه بعد ذلك، ولم يكن في البحث حديث عن العينة، ولكن الدراسة كانت شاملة في تحليلها، لمجموع الكتب والوثائق المتصلة بالموضوع، في مختلف التخصصات وكذا خبرات الأشخاص و تجاربهم .

فيما يخص عرض الدراسة، فالباحث يلاحظ أن للشخصية الجزائرية ماضيا بعيدا في عمق التاريخ الجزائري القديم، غير أن دخول الإسلام إلى الجزائر، في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، أضفى على الشخصية الجزائرية بعدا ثقافيا وحضاريا جديدا، وهو البعد العربي الإسلامي، حيث تكوّن الشعب الجزائري نتيجة امتزاج العنصرين الأساسيين من سكان الجزائر: العنصر البربري القديم والعنصر العربي الحديث، الذي حمل الإسلام واللغة العربية إلى الجزائر، وقد كان نتيجة هذا الإشتراك في التاريخ والمصير، بعد اعتناق البربر الإسلام، وقد تحددت مقومات الشخصية الجزائرية حسب الباحث بناء على ما سبق فيما يلي:

1/اللغة العربية.

2/الدين الإسلامي.

3/التاريخ العربي الإسلامي للجزائر.

4/الثقافة العربية الإسلامية.

5/الوطن الجزائري.

و قد كان للتعليم القومي (الحر) دورا كبيرا، في الحفاظ على هذه المقومات، خلال هذه الفترة العصيبة، التي كان الإستعمار خلالها يسعى إلى طمسها، ودمج الجزائريين في الثقافة الفرنسية، بوسائل متعددة، منها الفرنسة والتنصير والإدماج السياسي والثقافي، و يتضح هذا الدور خاصة في التركيز على التراث الثقافي العربي الإسلامي، لأنه يشكل حسب الباحث الثقافة الوطنية والقومية للجزائر، وقد وضح الباحث في دراسته كيف أن مناهج الدراسة في اللغة والتاريخ والجغرافيا والدين، تمركزت حول المقومات الوطنية .

توصّلت الدراسة إلى أن التعليم القومي في الجزائر، حقق أهدافه بالحفاظ على الشخصية الوطنية من خلال ثلاثة أمور هي:

- 1- إيقاظ و بعث الوعي الوطني بين الجزائريين.
- 2- ربط الجزائر ثقافيا و حضاريا، بالثقافة و الحضارة العربية الإسلامية.
- 3- المحافظة على الشخصية الجزائرية.

لقد كانت الوسيلة في إيقاظ الوعي الوطني حسب الباحث، أن التعليم الحر اعتمد على مختلف النشاطات من برامج دراسية و أناشيد حماسية، وتمثيلات وطنية ومحاضرات دينية وسياسية واجتماعية وثقافية وغيرها، والتي كانت تلقى في المساجد والمدارس، وكان لها الأثر في التشكيل النفسي والعقلي والروحي، وغرس القيم الجديدة لمن كانوا واقعين تحت تأثيرها . وخلص الباحث إلى أن للتعليم القومي (الحر)، كان له دور في توجيه النضال الجزائري، في نواحيه السياسية والثقافية والعسكرية، توجيهها عربيا إسلاميا، يتفق مع مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية التي هي العربية والإسلام، بعد أن كان الصراع دائرا طيلة 132 سنة بين وجوديين:

الأول الوجود الفرنسي بكل اتجاهاته السياسية والثقافية والحضارية، والثاني الوجود العربي الإسلامي، بكل ميراثه الثقافي والحضاري الوطني ومستقبله السياسي. وأخيرا، يبدو من الدراسة أن الباحث لم يتقيد بالخطة المنهجية، المعهودة في العلوم الاجتماعية إلا بشكل سطحي، رغم أن بحثه كان أكاديميا، وتناول ظاهرة اجتماعية تاريخية، ويبدو ذلك من خلال عدم تبيان تقنيات جمع المعلومات، التي لم ترد البتة في دراسة الباحث، في حين انصبّ تركيزه على مضمون الدراسة أكثر من شكلها، من أجل ذلك غيَّب الحديث عن بعض التقنيات والخطوات المنهجية، وقد نجح إلى حد كبير في إبراز الدور، الذي قام به التعليم القومي الحر في الجزائر، من أجل الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية.

كما اتسم البحث ببناء جيد، حيث بيّن الباحث ماهية الشخصية الوطنية، ومرتكزاتها الأساسية من لغة ودين وتاريخ، ثم عهد إلى واقع التعليم القومي (الحر) في الجزائر، خلال فترة الدراسة فأعطاه حقه من النقد والتحليل والتفسير.

5. دراسة محمد السعيد عقيب (الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ومساهمته في الثورة 1955-1962م)¹:

هذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر والحديث، تقدم بها الباحث إلى كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر قسم التاريخ.

إنطلق الباحث في معالجته لهذه الدراسة من سؤال مفاده: ماهي المراحل التي أدت إلى تكوين الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين؟ وكيف استطاع الطلبة من خلاله المساهمة في الثورة، وماهي طبيعته وحجمه؟

إعتمد الباحث من خلال إنجاز دراسته على المنهج التاريخي التحليلي، ولجأ الباحث إلى الملاحظة الوثائقية، لأن تعامله كان قائما مع مختلف الوثائق من كتب ومجلات ووثائق أرشيفية؛ واعتمد في دراسته على الأشخاص الذين ساهموا في تأسيس الإتحاد، وأخذ عن هؤلاء المؤسسين والفاعلين ما استطاع من معلومات، أرفق الباحث قسم الملاحق بوثائق أرشيفية هامة، تخص المرحلة التاريخية قيد الدراسة.

قسّم الباحث دراسته إلى خمسة فصول هي:

الفصل الأول التمهيدي، تطرّق فيه لجذور الحركة الطلابية الجزائرية، بداياتها وعوامل ميلادها، وأهم التنظيمات التي ظهرت آنذاك متبعا لنشاطاتها المختلفة.

أما في الفصل الثاني فخصه، لتأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين والتحاق الطلبة الجماعي بالثورة، حيث تعرّض لعوامل التحول على الصعيد الطلابي، من التوجه النقابي والدراسي إلى التوجه السياسي، وكذا الصراع الأيديولوجي بين الطلبة، مرورا بالظروف المحيطة بتكوين الإتحاد، وعقده المؤتمر التأسيسي وصولا إلى إعلانه عن الإضراب اللامحدود.

وأفرد الفصل الثالث للحديث عن المجالات التي التحق بها الطلبة، إثر انخراطهم في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، ونشاط الطلبة خلال فترة الإضراب.

1 محمد السعيد عقيب، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ومساهمته في الثورة 1955-1962، مذكّرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2000، 188صفحة، غير منشورة.

أما الفصل الرابع، فقدم الباحث فيه إحصائيات عن أهم الجامعات والبلدان، الذي تواجد بها الطلبة الجزائريين، واصفا أوضاعهم الإجتماعية والدراسية، وعلاقتهم بالإتحاد من جهة، وبجبهة التحرير الوطني من جهة أخرى.

ثم تعرّض الباحث في الفصل الخامس، إلى عمل الإتحاد على الصعيد الخارجي، من نشاط دبلوماسي، وعلاقات أقامها مع المنظمات الطلابية العالمية، وأشار إلى مشاركات بعض الطلبة من مؤسسي الإتحاد، في المفاوضات الجزائرية الفرنسية "مفاوضات إيفان"، وختم الفصل بالمؤتمر الرابع للإتحاد لما له من أهمية في مسيرته.

وانتهى الباحث إلى أهمية دور هذه الفئة من المجتمع، التي ساهمت في الثورة التحريرية سياسيا وميدانيا، حيث كان تأسيس الإتحاد منعطفًا فاصلا لتجاوز الصراع الأيديولوجي، والتباين الفكري الذي كان موجودا في تلك الفترة الاستعمارية بقوة، لكن إنتصار الطلبة الوطنيين المرتبطين بمقومات الشخصية الجزائرية.

أفادتنا هذه الدراسة في بحثنا في جوانب عديدة، حيث مكنتنا من الإطلاع على بعض الوثائق الأرشيفية، والتي لم تكن لدينا ولم نستطع الحصول عليها من مراكز أرشيفنا الوطني، كذلك اطلعنا على شهادات بعض المؤسسين للإتحاد، استطعنا من خلالها إجراء مقارنات بين شهاداتهم (السابقة)، التي أدلوا بها في ظروف زمنية تختلف عن الفترة الحالية، وهل الذي صرحوا به سابقا بقي ثابتا في شهاداتهم الحالية ؟

على العموم دراسة الباحث محمد السعيد عقيب، وصلت إلى الإجابة على الأسئلة التي طرحها في إشكالية بحثه، ودعمها بإجابات موضوعية مبنية على وثائق تاريخية رسمية، وشهادات حية من أفواه صانعي ومؤسسي الحركة الطلابية.

6. دراسة لخضر عواريب (جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927 - 1955)¹

هذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر والحديث، تقدّم بها الباحث إلى كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، قسم التاريخ.

1 لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2006، 201 صفحة، غير منشورة.

تناول الباحث في دراسته موضوع نشأة جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ، الذي أبرز دورها في مواجهة المشروع الاستعماري، من خلال نضالها السياسي والثقافي، وكونها مجموعة من الطلبة، كان يفترض فيها ان يعيش الاستلاب الثقافي، إلا أنها على العكس من ذلك تصدت لهذا المشروع الإستعماري، ولتوضيح كل هذا ، قسّم الباحث دراسته إلى أربعة فصول :

الفصل الأول وهو تمهيدي خصّصه، للجذور التاريخية للحركة الطلابية في المغرب العربي قبل تأسيس الجمعية، مبرزاً نشاطاتها ومنتقلاً إلى الظروف العامة والخاصة. أما الفصل الثاني فخصّصه الباحث لتأسيس الجمعية، مبرزاً ظروفها وأهدافها وهياكله ، وتطور تنظيماتها، معرّجاً على مختلف الأنشطة التي مارستها.

ثم تعرض في الفصل الثالث إلى المؤتمرات الطلابية التي عقدتها الجمعية، ودرس كل مؤتمر على حدى، من حيث ظروف انعقاده وجدول أعماله وعمل لجانته، والإقتراحات والقرارات التي انبثقت عن هذه المؤتمرات.

أما الفصل الرابع فقد أفرده الباحث لدراسة، دور الجمعية في الحركة الوطنية الجزائرية، من خلال إبراز نشاطاتها السياسية وانخراطها المبكر في هذا المجال، وأنهى الفصل بموقف الجمعية من بعض القضايا، التي كانت تطرح على الساحة الوطنية، كفكرة الإدماج واللغة العربية والتاريخ والمرأة واستقلال الجزائر ووحدة المغرب العربي.

وأنهى الباحث الدراسة بخاتمة ضمننتها بعض النتائج أهمها :

- رغم تعدد نشاطات الجمعية إلا أنها كانت تصب في قالب واحد ، وهو فرض مطلب السيادة الوطنية.

- أن الجمعية كانت أداة للحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية، لطلبة المغرب العربي بباريس.

- كان اهتمام الجمعية بالطالب المسلم، والذي رغم الغربة التي كان فيها إلا أنه لم يعيش الإستلاب الثقافي، إذ كان يتلقى دروساً في اللغة العربية، تمكّنه من البحث وإلقاء المحاضرات.

- يستنتج الباحث أيضاً أن الجمعية دافعت عن الحضارة العربية الإسلامية، وصححت المفاهيم الخاطئة حول العروبة والإسلام لدى المثقفين الغربيين.

نلاحظ من هذه الدراسة أن الباحث بذل جهدا كبيرا، للحصول على الوثائق الأرشيفية التي مكّنته، من الوصول إلى نتائج موضوعية برغم قلتها. أثارت اهتمامنا هذه الدراسة لأنها تطرقت إلى تنظيم طلابي، وهو جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين والتي تناولناها في بحثنا، من حيث أننا اعتبرناها أنها كانت بداية نشأة مشروع وطني، محتواه مقومات الشخصية الجزائرية، التي تتمثل في اللغة العربية والدين الإسلامي، والهوية الثقافية ببعدها العربي الأمازيغي.

8. منهج الدراسة:

1- المنهج الوصفي التحليلي : الهدف منه دراسة الواقع الإجتماعي وتحليله وتفسيره، و يرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن موضوع ما، خلال فترة معينة للحصول على نتائج علمية يتم تفسيرها بموضوعية، وهو خطوة أولى لتحقيق الفهم الصحيح للواقع. وقد اعتمدنا على هذا المنهج وفق خطوات وهي:

- بناء الموضوع بتسليط الضوء على الظاهرة، المتمثلة في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، و تحقيق المشروع الوطني، ابتداء من سؤال الانطلاق إلى الفرضيات.
 - إكتشاف الطريقة الملائمة لجمع المعلومات عن الظاهرة ، وهنا تم اختيار المقابلة وتتبع سيرة المبحوثين ، والقيام بالتحليل الكيفي للمعلومات المجمعة ،...إلخ.
- إن خطوات المنهج الوصفي يمكن تحديدها في النقاط لتالية:

1-دراسة الموضوع بشكل أولي.

1-صياغة الإشكالية والفرضيات المرتبطة بها.

2-تحديد الافتراضات العامة للبحث.

3-تحديد عينة البحث.

4-تحديد أدوات جمع البيانات.

5-قياس صدق وثبات أدوات البحث.

6-صياغة نتائج البحث.(1).

1- عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص88.

2- المقاربة التاريخية:

تعمل هذه المقاربة على إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث التاريخية الهامة، وذلك انطلاقاً من جمع كل ما يتعلق بهذه الظاهرة (L'UGEMA) ، وقد قمنا بتتبع الظاهرة تتبّعاً تاريخياً، من خلال جمع الوثائق التاريخية حوله، (الوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية- التنظيمات السياسية، الحركات الطلابية"، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين... إلخ). أي تعرّفنا على ماضي نخبة الطلبة الجزائريين، كظاهرة كان لها حضوراً وفاعلية أثناء الثورة التحريرية، وبنينا حولها كل المظاهر المتعلقة بها، (كيف ظهرت، متى ظهرت، ماذا فعلت، ماذا كان دورها؟.. إلخ).

9. تقنيات الدراسة:

إعتمدنا في بحثنا هذا على تقنية المقابلة المعمّقة، وهي تقنية مباشرة تستعمل لمساءلة الأفراد بكيفية منعزلة ، تضمنت دليل أسئلة موجهة إلى مجموعة من المبحوثين، وقد بنيت على أحد أنواع المقابلات، المتعلقة بسيرة حياة المبحوثين، الذين تمت مقابلتهم. حيث يظهر أن السيرة الحية هي نوع من المقابلة، تستعمل بصفة خاصة من طرف المؤرخين، الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع، بهدف جعل شخص ما يروي كل حياته أو جزء منها، مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار الإجتماعي الذي عاش فيه...⁽¹⁾. وقد بنينا هذه التقنية على مخطط أو دليل مقابلة، تضمنت الأسئلة المطروحة على الأشخاص المستجوبين وبيّناها على النحو التالي:

- المحور الأول: التعريف بالمبحوثين و عرض المقابلات.
- المحور الثاني: أسئلة تتعلق بالنضال السياسي.
- المحور الثالث: أسئلة تتعلق باللغة العربية.
- المحور الرابع: أسئلة تتعلق بالدين الاسلامي.

إستعملنا المقابلة المعمّقة، كوسيلة أساسية لإنجاز هذا البحث، حول الحركة الطلابية الجزائرية أثناء الحقبة الإستعمارية، وقد جرت المقابلات في الفترة الممتدة من سنة 2010 إلى غاية 2012 ، وقد اعتمدنا على دليل مقابلة يحتوي على واحد و ثلاثين (31) سؤالاً،

¹- موريس أنجرس، مرجع سابق ، ص 197.

مفتوحا مطروحا على تسعة (9) مبحوثين، مع القيام بتسجيل صوتي للمبحوثين؛ تمّ مقابلتهم جميعا إما في منازلهم أو في أماكن عامة كالمكتبات، وكل المقابلات تمّت دون حضور شخص آخر غير الباحث والمبحوث*. وتفضلوا جميعهم بمنحنا مخطوطات و كتب ومجلات و مقالات، عبّرت عن مواقفهم اتجاه بعض المسائل التي تضمنتها أسئلة المقابلة.

وقد استنفدت منا وقتا كبيرا، حيث أن المقابلات، جرت في الغالب من لقاءين إلى ثلاثة، وقد أخذت منا الجهد الكثير وتحلينا بالنفس الطويل، فالمبحوثين في بعض الأحيان لديهم انشغالات عديدة كأن يسافر أحدهم إلى الخارج، وكنا ننتظره لحين رجوعه، ومعاودة المحاولة مرة أخرى لتحديد موعد لقاء آخر، وفي كل حالة كنا نقابلها كانت تساعدنا في الحصول على أرقام هاتف المبحوثين، الذين هم في أغليبيتهم على علاقة فيما بينهم كزملاء أو أصدقاء، و تسمّى هذه الطريقة بعينة الكرة الثلجية .

لم نستطع أيضا إجراء مقابلات مع كل الأعضاء، المؤسسين للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، و ذلك لأسباب عديدة منها أن الموت غيّب البعض منهم، و البعض الآخر المرض العضال ألزمه الفراش، و تقدّمهم الكبير في السن فغالبيتهم تجاوز الثمانين سنة حال دون لقاءهم، كل هذه الأسباب منعت إجراء المقابلة، فاكثفينا بالقدر الذي توصلنا إليه .

إعتمدنا في بحثنا على المعاينة غير الاحتمالية العرضية، كما تصفها أدبيات المنهجية السوسيولوجية، فقد كنا نطلب من كل حالة نقابلها، أن يساعدنا في مدنا بأرقام هاتف زميله من التنظيم الطلابي .

10- صعوبات الدراسة:

من المؤكد أنه في كل بحث صعوبات تواجه الباحث في مسيرة بحثه، ذلك أن البحث جهد ومشقة، وهو يتطلب من الباحث صبرا؛ رغم ذلك ثمة عراقيل قد تثبط العزائم، وتجعل الباحث يناقش في قرارة نفسه مواصلة العمل أو تركه، وكأي باحث لاقينا صعوبات عديدة في مسيرة البحث هذه أهمها:

* في بعض الحالات تحضر زوجة المبحوث لتقديم المشروبات والحلويات للباحث، لتغادر الجلسة، أو في حالات أخرى تكون الزوجة هي أيضا مناضلة، فتشارك لبعض الوقت في الحديث ثم تنسحب من الجلسة، مثل ما حدث مع المبحوثين رضا مالك، مسعود آيت شعلال، والأمين خان.

1- صعوبة الموضوع في تناخله، إضافة أنه لا يزال بكرة، فحدثته وقلة الدراسات والمؤلفات حوله، وحتى بعض الكتابات التي تناولته، ذكرته باختصار واقتضاب، فضلا عما ينقص ما أوردته المجلات والصحف التي تطرقت له، من خلال اللقاءات والحوارات لعدد من الشخصيات التي كان لها دورا في ذلك.

2- صعوبة الوصول إلى الوثائق التي تخدم موضوع دراستنا، نظر للإجراءات الإدارية المعقدة، وحتى التي تمكنا من دراستها، تحتاج إلى تمحيص وتقصي، مما يجعل الباحث يبذل جهدا مضاعفا، لانتقاء ما يخص موضوع دراسته.

3- تحفظ بعض الشخصيات التي أجرينا معها المقابلة، عن ذكر كل يعرفونه حول الموضوع، نظرا لحساسية بعض جوانبه وقضاياهم عندهم، وتعذر اللقاء ببعض منهم، لأسباب أحيانا ذاتية وأخرى صحية قهرية، وفي أحيان أخرى لأسباب زمنية، مما حال دون جمع أكبر عدد ممكن، من الشهادات الشخصية والآراء التي تخدم الدراسة.

4- أثناء لقاءاتنا بالمبحوثين وتسجيلنا لشهاداتهم حول موضوع البحث، وطرحنا عليهم الأسئلة المحددة في دليل المبحوث، كان من الصعوبة بمكان الإلتزام والتحكم في توجيه المبحوثين حسب أهداف المقابلة، فأغلبهم يخرجون عن إطار السؤال المطروح، ويطنبون في الحديث ويسترسلون في الكلام، وتجنبنا للإجراج، كنا نترك المبحوث يروي تجاربه و تجارب غيره من رفقاء السلاح، والتي استغرقت ساعات طوال، كانت بعدها العملية شاقة ومضنية عند تفرغنا لمحتوى التسجيلات، حيث أخذت منا وقتا طويلا ومضاعفا على مدة المقابلة نفسها، لأنه تمّ انتقاءنا للعبارات والتصريحات فقط، التي تخص محتوى دليل المبحوث، والإجابات التي تتناسب وتتلاءم مع الأسئلة المحددة في الدليل .

5- إمتناع بعض مسؤولي إدارات الأرشيف الوطني في الجزائر، عن تزويدنا بالوثائق، وفي حالة وجودها، يستعملون أساليب بيروقراطية، كملء استمارات للنظر في طلب الوثيقة الأرشيفية، التي سيستغرق أسابيع مع إمكانية رفض الطلب، وهذه نكسة من النكسات التي

ما زالت تصيب البحث العلمي في بلادنا، مع العلم أن البعض من هؤلاء الإداريين أكاديميين وباحثين وأساتذة.

الفصل الثاني

وضعية المجتمع الجزائري أثناء الإستعمار
الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

تمهيد:

عاشت الجزائر بعد دخول الإستعمار الفرنسي مرحلة تاريخية حاسمة ، كانت من أصعب المراحل الزمنية التي تلت سنة 1830، حيث عرف المجتمع الجزائري انقلابا حقيقيا في المفاهيم والتصورات والقيم والعادات والأخلاق...الخ. إذ حاول المستعمر مسح كل هاته المفاهيم الممتدة لألاف السنين في العقلية الجزائرية، واستبدالها بنموذج فرنسي يتعارض مع قيم الإسلام والعروبة.

وانطلاقا من هذا الطرح قام الإستعمار الفرنسي بزلزلة كيان المجتمع الجزائري، وذلك بتفقيره وتجويعه ونشر الأمراض والآفات ، ومحو كل الأدوار التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية، فحوّل المساجد إلى كنائس وهدم المدارس وبيوت القرآن، ونشر الأمية والجهل في أوساط الطلبة والتلاميذ ؛ كما صادر الأراضي ووزعها على المعمرين القادمين من أنحاء مختلفة، وبذلك ضرب الاستعمار الفرنسي، البنية الاجتماعية التحتية لمسحها لاحقا، وتعويضها ببنية اجتماعية تقارب في تصوراتها وأفكارها وطموحاتها فئة العبيد، الذين لا يطمحون لشيء سوى العيش بدون أي مطالب، تؤهلهم لأن يكونوا ذوي إستقلالية اجتماعية تامة.

ومن رحم هذه الأوضاع الداخلية والخارجية، برزت تيارات وحركات سياسية لمناهضة هذه الأوضاع، ومنها ميلاد الحركة الطلابية ذات التكوين المعرب والمفرنس، والتي كان لها دورا فاعلا في النضال السياسي المطلبي.

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أثناء الإستعمار الفرنسي.

1- آثار النظام الإقتصادي الفرنسي على النظام الإقتصادي الجزائري التقليدي :

لم يكن الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 بالأمر الهين ، نظرا للمقاومة الصلبة التي واجهها من طرف الشعب الجزائري، والتي استمرت أكثر من نصف قرن ، فكان أحمد باي عام 1837، والأمير عبد القادر في 1847، معركة القبائل ما بين 1852-1864، معركة الصحراء في الفترة 1854-1870، معركة الحاج محمد المقراني و الشيخ الحداد 1871، في الأوراس 1879، أولاد سيدي الشيخ 1881، بني شوهران 1914، و لكن تمكن الإستعمار في النهاية من القضاء عليها، نظرا لاستعمالها وسائل بالغة العنف والشدة، كتدمير القرى والمساكن، وإتلاف المزارع و مصادرة الأراضي والممتلكات و العمل على إدارتها، حتى أصبح الإقتصاد الجزائري خاضعا لإقتصاد فرنسا و مكملا له، وملييا احتياجات السوق الفرنسية .

إن تطبيق قوانين سيناتوس كونسولت " **Senatus Consult** " في 22 أفريل 1863، كان لها الأثر الأعمق على اقتصاد الجزائر، حيث عملت السلطة الإستعمارية على نزع الأراضي الزراعية من الجزائريين، و توزيعها على المعمرين الأوروبيين، الذين جاءوا من فرنسا وألمانيا ومالطا وكورسيكا، التي شجعتهم على الهجرة إلى الجزائر، التي كانت في تزايد و نمو مستمرين .

فحسب الدراسة الإحصائية التي قام بها المؤرخ الفرنسي شارل روبيير أجيرون، تبين أنه بين سنة 1871 و 1919 سلّمت للمعمّرين 870000 هكتارا، وخسر المسلمون سنة 1919سبعة (7) ملايين ونصف من الهكتارات، التي تقاسمتها فرنسا الاستعمارية مع الشركات الرأسمالية الكبرى. (1)

أما عن المهاجرين الكولون فقد أحصاها الدكتور رابح تركي فيقول : "...لم يأت عام 1839 حتى بلغ عدد الأوروبيين في الجزائر 25000 شخص، بلغ عددهم في عام

1 -Benjamin Stora , **Algérie –histoire contemporaine 1830-1988**, Editions Casbah, Alger,2004,P31 .

1866م 220000 شخص. وقد وصل عدد الأوروبيين المستوطنين في الجزائر عام 1948 ، إلى 931800 نسمة منهم 744000 شخصا ولدوا في الجزائر.. (1).

فأصبح لدى المعمرين قاعدة زراعية قوية، وبالمقابل كانوا يخدمون بها اقتصاد فرنسا، لكن الذي يهتما في الأمر، هو كيفية انعكاس هذا الإقتصاد الجديد على النظام الإقتصادي التقليدي للبلاد، فبعدها كانت أراضي القبائل الجزائرية تتميز بالملكية الجماعية، حيث كل عرش يسيّر أموره حسب حاجاته، على أساس تعاون القبائل والأعمال التضامنية بينهم خدمة له، أي تلبية للحاجات الجماعية، هدم هذا النظام واستبدل بنظام الملكية الفردية، حيث أصبح الجزائري أجيرا في أرضه، بعدما كان مزارعا مستقلا ففقد بذلك هويته و كيانه.

إتخاذ بعض التدابير التشريعية، وكذلك التقاف السكان، أدى أكثر إلى خوصصة الأراضي، وهدمت العلاقات القبلية، وأدى ذلك إلى أن القرويين أو الريفيين فقدوا هويتهم ثروتهم، وبالتالي أصبحوا فقراء... (2).

وبهذا إنتقل النظام الإقتصادي الجزائري، من نظام تقليدي واقتصاد معاشي إلى نظام رأسمالي ، يستهدف التصدير والمردودية والإنتاجية، لكن أية رأسمالية ؟ وهل تطورت بنفس الطريقة التي تطورت بها في أوروبا ؟

في الواقع الرأسمالية الجزائرية تختلف، عن الرأسمالية الأوروبية في نقاط عديدة، من جهة كونها رأسمالية زراعية فقط، لم تقم لا على الصناعة الخفيفة ولا المتوسطة ولا الثقيلة منها، وإن وجدت فهي مرتبطة بالنشاط الزراعي.

و كما هو معلوم، فلا يمكن وجود رأسمالية حقيقية دون وجود صناعة كذلك، إنه من المفروض، أنه في كل المناطق الذي يهيمن عليها النظام الرأسمالي تتواجد فيها الصناعة، لأنه نظاما يمتاز بالشمولية، لكن في الواقع حدث العكس، فقد تمّ اختيار بعض منها خاصة في مناطق المتيجة الثرية (3) .

1- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، راند الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 26.27.28.

2 -Harbi Mohamed, L'Algérie en perspective – la guerre d'Algérie 1954-2004 . la fin de l'amnésie – institution – acteurs ,Edition Casbah , Alger , 2004 ,P36 .

3- كريمة بوبكر، النخبة المثقفة الجزائرية أثناء الاستعمار وبعده في الجزائر – دراسة سوسيو تاريخية للمسار العلمي والعملية لحالة أبناء أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ماجستير في علم الإجتماع الثقافي، السنة الجامعية 2005 /2006 ، ص 20.

و بهذه الميزة وقع اختلال في تحقيق التحديث في هذه المناطق، حيث أصبح سكان هذه المناطق أكثر ميلا للعصرنة من المناطق الأخرى، كالجنوب مثلا، وهذا راجع لإحتكاكهم بمظاهر الحضارة كالمدرسة والمصنع، وهو الأمر الذي أثر على ثقافتهم وطبيعتهم ذهنياتهم .

وعليه إذا كانت الرأسمالية الغربية، ولدت عن طريق انفجار داخلي ، ناتج عن ديناميكية داخلية، حيث يعدّ النظام الإقطاعي وما انجرّ عنه من سلبيات، هو سبب هذا الانفجار، وللقضاء عليه وكانت الرأسمالية هي البديل، وكان هذا هو النظام الذي تمكّن من إحداث التطور الذي وقع في الغرب؛ فإنه في الجزائر كان نتيجة جلب أجنبي - فرنسي، تم زرعها في مجتمع له ديناميكية خاصة به، وله نمط إنتاج أيضا خاصا به، فنمط الزراعة الدخيلة أو المستوردة ولّدت ظواهر اجتماعية سلبية كثيرة، كان من المفترض تجنبها، أهمها البطالة والفقر وانتشار البيوت القصديرية، وما ترتب عنه من أوبئة وأمراض وانحلال خلقي .

ولذلك فإن عدم احترام قواعد الرأسمالية، جعل سيرورتها غير عادية، مقارنة بالرأسمالية الغربية، مما آل إلى عدم إحداث التطور في المجتمع الجزائري، وهو أمر مقصود طبعاً، و نابع من النوايا المبيتة للإستعمار الفرنسي، حيث كان يسعى لرواج اقتصاد فرنسا فقط، دون الإهتمام بتطوير الإقتصاد الجزائري - الأهلي - ، لأن تطوره يعني خلق منافس لها، وهذا ما تجنّبته فرنسا . (1)

لكن كيف أثر النظام الإقتصادي الجديد على النظام الاجتماعي الجزائري ؟ هذا ما سنحاول توضيحه لاحقاً.

2-الوضعية الاجتماعية أثناء الإستعمار الفرنسي:

عند الإحتلال الفرنسي للجزائر، كان المجتمع يعيش خاصية الإندماج والتضامن، والوحدة بين جميع فئاته، حيث كان النظام التقليدي القبلي هو النظام المسيطر، فالقبيلة كانت هي الوحدة الأساسية المشكّلة للأئظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إذ كانت تركز أساساً على الأسرة الممتدة وعلى رابطة الدم، وبعدّ الشيخ الأكبر (غالبا ما يكون

1 - Benjamin Stora ,ibid, P32 .

الجد)، دور المشرف والرئيس لها، أما السلطة فكانت جماعية، وترجع إلى مشايخ تلك القبائل، وبالمقابل كانت للزوايا مكانة خاصة في هذا النظام، بالإضافة إلى المسجد الذي لعب دورا كبيرا في مجال التعليم والعبادة، إذ يتم فيه تعليم القرآن والكتابة كمرحلة أولى، وكمرحلة ثانية تعليم الفقه والتفسير والنحو والقواعد والحساب، إضافة إلى موارد أخرى متوقفة على معارف الشيخ، والملاحظ هنا أن المسجد كان مؤسسة تعليمية، بالإضافة إلى كونها مؤسسة تعنى بالتنشئة الاجتماعية، انطلاقا من النواة الأولى التي تولي الاهتمام لهاته المؤسسة الدينية، وتدفع النشء للتحويل عن المدارس الفرنسية وأطروحاتها، والولوج في البرامج الاجتماعية التي تطرحها، الزوايا والمساجد وباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى، المساهمة في بلورة الفكر العربي الإسلامي الوطني، المناهض لأطروحات المسخ الفرنسي المنادي بفرنسة الجزائر، وذلك بإلغاء القيم الأصلية للجزائريين المتمثلة في الإسلام والعروبة. وانطلاقا من هذا الفطنة الواضحة للمجتمع الجزائري، لمحاربة مشاريع التحويل الإيديولوجي الفرنسي، قام الإستعمار بالشروع في العمل الممنهج لتحطيم البنية التحتية الجزائرية، فبدأ بربط اقتصاد الجزائر بفرنسا، وتطبيق سياسة مصادرة الأراضي، وتحويل الملكية الجماعية إلى ملكية فردية، وذلك لضرب مفهوم العروشية والقبلية، إذ أصبح الفرد داخل القبيلة لا يسعى لخدمة الجماعة، وإنما للعمل من أجل العيش وسد حاجاته الضرورية، إن قوانين سيناتوس كونسولت "Sénatus Consult"⁽¹⁾ وغيرها من مثل هذه القوانين، كانت مؤشرا على بداية انهيار مجتمع امتاز، ببنية سياسية واجتماعية واقتصادية متماسكة ومستقرة.

وبعد هذا الإجتياح العسكري والفكري للإستعمار الفرنسي، عرفت بنية المجتمع الجزائري تغيرات جذرية، تمثلت في تفكير الآلاف من الجزائريين وتجهيلهم، وتعريضهم للدمار والقتل والتتكيل والعبث بأعراضهم وممتلكاتهم؛ فأصبحوا يعيشون بواقع يتم بحلين، إما محاربة العدو بكل الوسائل المتاحة، وإما الفرار نحو أماكن بعيدة عن نيران المستعمر، وهذا ما حدث بالفعل، فبالموازاة مع اندلاع أكبر الثورات الشعبية بقيادة شيوخ القبائل والعشائر أمثال الأمير عبد القادر، الشيخ بوعمامة، الشيخ الحداد وغيرهم من القادة الذين تظنوا لمحاولات المسخ الإستعماري، فحاربوها بقوة السلاح، بالموازاة مع ذلك عرفت البنية

1 - Benjamin Stora, **ibid**, P32.

الإجتماعية، تحولات جديدة لم يعهدها الجزائريون، وهي ظاهرة الهجرة إلى الخارج للبحث عن الأمن والقوت، وقد أحصى الدكتور رابح تركي ذلك بقوله : "لقد بلغ عدد المهاجرين إلى فرنسا مطلع سنة 1842 خمسة آلاف جزائري بالنسبة لفرنسا؛ أما أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد هاجر الجزائريون قسرا للمشاركة في تلك الحرب، وبلغ عددهم سبعين ألف جزائري، وارتفع هذا العدد إلى 100 ألف جزائري سنة 1924 ، أما بعد سنة 1956 فقد تجاوز تعدادهم ستمائة ألف جزائري، انتشروا عبر جهات مختلفة لفرنسا وأوروبا".⁽¹⁾

3- السياسة التعليمية أثناء الإستعمار الفرنسي:

يعدّ التعليم قضية إستراتيجية يمكن الإنطلاق منها، لتفسير الأحداث التاريخية البارزة التي مرت بها الجزائر، منذ دخول الإستعمار الفرنسي، ولأنه يبقى مقياسا أساسيا لازدهار الأمم، وتحقيق الإستمرارية الحضارية، والإتصال بين ماضي الشعوب وحاضرها، ونظرا للظروف التي أسفرت عن السياسة التعليمية الإستعمارية، وما ترتّب عنها من نتائج السلبية منها والإيجابية، لاسيما انعكاسات على تشكيل الفئة المتعلّمة المثقفة، والتي لعبت أدوارا في غاية الأهمية في نيل الجزائر استقلالها.

سنتطرق في هذا المطلب لدراسة هذا الجانب، بنوع من التفصيل والتحليل لتبيان كيفية انعكاس هذه السياسة، على البنية الإجتماعية والثقافية، وخاصة الفكرية منها على المجتمع الجزائري، وكذا نتائجها على جميع الأصعدة، ومدى التغيير التي أحدثته على الطلبة الجزائريين خاصة.

تجمع العديد من مصادر التاريخية، أن نسبة المتعلمين مع بداية الإحتلال الكولونيالي، كانت تفوق مثيلتها في فرنسا ، حيث كانت تصل من " ألفين إلى ثلاثة آلاف في كل ولاية، يصلون إلى دراسة علوم الحقوق (الفقه) والشريعة ويحصلون على لقب علماء"⁽²⁾.

يرى الكثير من الباحثين أن نسبة الجزائريين، الذين يحسنون القراءة والكتابة في ذلك العهد، كانت أكثر من الفرنسيين "...أن 45% من الفرنسيين كانوا أميين حينذاك..".⁽³⁾.

1 - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس راند الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون سنة، ص ص 31-32.

1- بوفلجة غيات، التربية والتكوين بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص 22.

3 - بوفلجة غيات، نفس المرجع، ص 22.

أما إيفون تورين « Yvonne Turin » فقدرت نسبة الجزائريين المتعلمين بـ 40% وتقول في هذا الشأن: "...كل الأطفال يعرفون القراءة والكتابة، وكلهم قادرين على تجويد القرآن، في كل القبائل، وكل الأحياء كان هناك معلمون قبل الإحتلال الفرنسي...." (1).

وانطلاقاً من هذا الواقع التعليمي المتميز، عملت فرنسا على تحطيمه بدءاً من عدة عوامل، أهمها التركيز على سلبية التعليم الجزائري التقليدي، الذي لم يتفتح على النهضة العلمية والصناعية، التي أذنت إلى ظهور وسائل وتجهيزات عسكرية حديثة، وكذا الإزدهار السريع في مجالات التعليم والتربية والثقافة، فالتطور في هذا المجال قبل الإحتلال كان نسبياً.

ذلك لأن حكومة الدولة العثمانية في ذلك العهد، لم تنظف إلى التطور الصناعي الهائل الذي أخذ ينمو بسرعة فائقة، شمال البحر الأبيض المتوسط في مجالات التعليم والثقافة.

وما كان لها أن تنظف ما دامت قائمة أساساً، على القوة المادية والعسكرية والمالية والتجارية، فالضعف كامن في البنية ذاتها" (2).

لكن كل هذا لا يعني، أن رفع المستوى الفكري والإجتماعي والحضاري والثقافي للجزائريين، كان الهدف الأساسي الذي كانت ترمي إليه السياسة التعليمية الفرنسية، بل على العكس من ذلك، كان السعي للإدماج وحمل الجزائريين على التجنس والتتصير، وتشريبهم روح العظمة الفرنسية من أوليات هذه السياسة.

وقبل البدء في تفصيل الإستراتيجية الفرنسية المطبقة على الجزائريين، بهدف تجهيلهم ومسح هويتهم، علينا أولاً عرض واقع التعليم آنذاك :

أ- التعليم العربي - الإسلامي:

إن التعليم الذي كان منتشراً في الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي هو التعليم العربي - الإسلامي، الذي يقوم أساساً على الدراسة الدينية واللغوية والأدبية، وقليل من الدراسات

1 -Yvonne Turin, Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles - médecines religion, 1830-1880, Entreprise nationale du livre, Alger, 1971, P.129.

2- عبد المالك حمروش، التربية والشخصية الجزائرية العربية الإسلامية بين عبقرية ثورة التحرير وضلال الثورة المضادة، مطابع عمار قرني، الجزائر، بدون سنة. ص 62.

العلمية كالرياضات والهندسة والفلك والفيزياء، وكانت الكتايب القرآنية والمساجد والزوايا منتشرة كثيرا وبشكل كبير .

ولقد ثبت أن المدارس كانت منتشرة بكثرة في المدن، وكانت تعيش من موارد الأوقاف، أما في الأرياف فالزوايا كانت تقوم مقام المدارس، حيث كانت تضمن للطلبة نظاما داخليا ، يعفيهم من تكاليف ونفقات المأوى والملبس والمأكل، ولعبت الزوايا آنذاك دورا أساسا في نشر الثقافة، فأوجدت نوعا من التوازن بين المدن⁽¹⁾ والأرياف.

كان التعليم آنذاك يتألف من مستويات التعليم الثلاث: الإبتدائي والثانوي والعالي، فالأول كان يجرى اختياريا، وكان يتم في المدارس القرآنية، أما التعليم في المساجد فقد كان يتعلم الطفل فيها حفظ القرآن والكتابة والقراءة، ومبادئ الدين وبعض المتون والنصوص الضرورية، أما التعليم الثانوي والعالي فقد كان مجانيا، ففي الثانوي يواصل الطالب المطالعة ودراسة، الفقه والتوحيد والنحو والصرف وأوليات التفسير والحديث والسيرة النبوية، أما في التعليم العالي فيشمل دراسات الفقه وأصول الدين والتوحيد، والتاريخ الإسلامي وبعض الحساب والجغرافيا والطب والتاريخ الطبيعي...⁽²⁾.

هكذا وجد الإحتلال الفرنسي التعليم في الجزائر أثناء دخوله الجزائر، لكن سرعان ما حطموه وذلك من خلال القرار الذي أصدره الجنرال " دي بورمون " De Bourmond"، في 8 سبتمبر 1830 القاضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية، ثم قرار 8 ديسمبر لنفس السنة الذي ينص على حق التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير والكراء، من هذين القانونين شرع في تدمير التعليم وعلى كل مستوياته.

1- التعليم في المدارس القرآنية والمساجد:

إقتصر التعليم في المدارس القرآنية على حفظ القرآن، والوقوف على بعض دروس الفقه وقواعد الدين للعامة وليس للراغبين في العلم، ولم يسمح باستئناف هذه الدروس إلا خلال أربعينات القرن الماضي، أما بخصوص التعليم في المساجد فإنه شرع في الإهتمام

1- أحمد طالب الإبراهيمي، " التعليم والثقافة في الجزائر"، مجلة الثقافة، السنة الأولى، العدد 4، الجزائر، المؤسسة الجزائرية، مطبعة بن بو العيد، سبتمبر 1971، ص 5 .

2- نفس المرجع، ص ص 22-23

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

به من قبل الإدارة الفرنسية، عندما لاحظت الفراغ في وجود كفاءات في الدراسات الإسلامية، للقيام بإصدار فتاوى والقضاء، خاصة لكسب النفوذ للسياسة الفرنسية⁽¹⁾.

لكي يتم توجيه هؤلاء القضاة والمفتين، وتسييرهم في مهامهم من قبل الإدارة الفرنسية دائما.

ولهذا لم يعد تدريس اللغة العربية، ولا النحو الأدب أو التاريخ العربي - الإسلامي جائزة في المدارس، فكانت الإدارة الفرنسية هي التي تختار لهم موضوعات في الفقه والتوحيد، فأصبح التعليم في هذه المؤسسات، يقوم على تكوين وتخريج موظفي الديانة فقط. عرفت الجزائر خلال هذه لفترة نقصا فادحا في عدد المدارس، من جراء مصادرة الأراضي والأوقاف وتهديم المدارس، وتحويلها إلى كنائس ومصانع، وتضاعل عدد المتدربين لأسباب عديدة أهمها الفقر والدمار، الذي سببته المقاومات الشعبية للاحتلال الإستيطاني.

تقول المؤرخة إيفون توران نقلا عن "داماس" و"أوريان" في هذا الشأن ما يلي: "...نتائج سياستنا كانت فادحة ، أغلبية مجموع المدارس الابتدائية دمرت..، نفس الشيء بالنسبة للزوايا القرآنية، والتي كانت قريبة من مراكز الإحتلال هجرت، المعلمون هاجروا إلى مناطق أخرى من البلاد والتي هي تحت سيطرتنا...".⁽²⁾.

2-التعليم في الزوايا:

رأينا سابقا كيف مرت الزوايا الجزائرية بمراحل تاريخية، فمن رباط الجهاد ومراكز للتعليم، تحولت إلى مقام وضريح لأحد المرابطين - في غالبيتها - ، ورأينا كيف زالت وظيفتها الاجتماعية، إثر سياسة التهديم التي ألحقتها فرنسا بها، وتعطيل دورها، بعدما كانت المؤسسة الأساسية لنقل المعرفة - الدينية - في الأوساط الشعبية، تزامن تأسيس المدرسة الفرنسية مع نمو وعي شعبي بعد الحرب العالمية الأولى، فخلق مجال للمقارنة بين التعليمين، إذا صبح تعليم الزوايا ينعت بالتقليدي والفرنسي ينعت بالحدائي، حيث لا يسمح بتحقيق المعرفة العلمية فحسب، بل أصبح وسيلة لتحقيق الترقية المادية والاجتماعية، وكان المجتمع الجزائري بحاجة إليها ، للخروج من دوامة الفقر والحرمان المادي.

1 -Yvonne turin, **ibid**, P 129 .

2 - **ibid**, PP 129-130.

أصبح تعليم الزوايا محاصرا بالمدرسة الفرنسية، فمنذ الإحتلال حاول الفرنسيون جرّ الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية، كان هذا في المدن كمرحلة أولى، أما في المرحلة الثانية، فإن الفرنسيين قد أنشئوا المدرسة الابتدائية بجوار الزوايا، وضيقوا على الزوايا مجال النشاط، وفتحوا مع قادة هذه الزوايا باب التدجين والتوظيف⁽¹⁾.

وبهذا، فإن التعليم العربي - الإسلامي رغم ازدهاره النسبي، فقد هدمت قواعده وأأسسه بعد دخول الإحتلال الفرنسي، وأصبح تعليما هشاً ليس بِنافع في غالبه، مقتصر على حفظ القرآن وبعض علوم الدين، والغرض منه كان للحصول على البركة أو خاصة لنيل الوظيفة، أكثر منه لفهم الدين والعمل به في مجالات الحياة، أي أن هذا التعليم لم يتمكن من منافسة التعليم الفرنسي الحديث، سواء من حيث مضمون مواد الدراسة، أو من ناحية القيم الإجتماعية الذي يقدمه لطلابه.

لكن نتساءل، ما مدى حداثة هذه المدرسة؟ وهل هي مدرسة مفتوحة لجميع الجزائريين دون تمييز؟ ثم ما هي أنواعها ومراتبها؟

ب- التعليم الفرنسي:

المقصود بالتعليم الفرنسي هو ذلك التعليم الذي تشرف عليه الإدارة الفرنسية، سواء كان باللغة الفرنسية أو باللغة العربية أو باللغتين معا، وسواء كان تعليما منفصلا، بين المستوطنين وأبناء الجزائريين، أو مندمجا.

في الواقع كانت سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر منذ الإحتلال 1830 الى غاية 1880، تتأرجح بين فكرتين متعارضتين، إحداها تنادي إلى تعليم الجزائريين تمهيدا لفرنستهم وإدماجهم في فرنسا⁽²⁾، والأخرى تنادي بحرمانهم من كل تعليم سواء، كان باللغة الفرنسية أو باللغة العربية، خوفا من ثورة الشعب بعد تعليمه من جهة، ومن جهة أخرى خوفا من غياب اليد العاملة الرخيصة الفقيرة.

فالأولى كان يمثلها المسؤولين الفرنسيين، والثانية المستوطنين الأوروبيين، لكن إستقر الرأي على الفئة الأولى، بالرغم من أنها عكس ما قالته، فقد أدت سياستها إلى تجهيل

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص ص 172-

173.

2- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 مشارب ثقافية و إيديولوجية، المرجع السابق، ص 22.

الجزائريين ونقلهم من حالة الإزدهار العلمي - النسبي -، إلى نسبة كبيرة من الأمية، أما الفئة القليلة التي علمتها، فكانت حاجتها إليها للاستفادة منها في مشاريع الإستعمار الفرنسي، والاستعانة بها في بعض الوظائف الإدارية الصغرى، لهذا نجد أنها لم تشأ منع التعليم على كل الجزائريين، لكن بالرغم من كل هذا، فقد عملت على أن يكون تعليم هؤلاء الجزائريين مختلفا ومتميزا عن الأوروبيين، حيث أطلقت على مدارسهم " المدارس الفرنسية الإسلامية".

و تجدر الإشارة إلى تبيان فكرة هامة، وهو أن الجزائريين كانوا لا يرغبون في توجيه أبنائهم، لهذا التعليم في المرحلة الأولى من وضعه، وذلك لتخوفهم من التنصير، إذ كان التعليم المفرنس يمثل خطرا على فقدان الهوية العربية الإسلامية، أي فقدان الدين ولغته العربية⁽¹⁾.

ولكن وبعد ظروف عديدة أهمها هجرة الجزائريين والحرب العالمية الأولى، وما تعلمه الجزائريون من خلال الاحتكاك بالعالم المصنّع، بأحزابه ونقاباته، أي بنموذج تفكير عصري مختلف تماما، وكذلك عودة بعض الجزائريين من الخارج، بعد إنهاء دراستهم في المشرق العربي، أصبح الجزائريون أكثر وعيا بأهمية التعليم بصفة عامة، والتعليم الفرنسي بصفة خاصة، الأمر الذي آل إلى تغيير نظرهم نحو المدارس الفرنسية، إضافة إلى أن هذا التعليم بالذات، هو الذي كان المحرك الأساسي الذي أيقظ في هؤلاء الطلبة الروح الوطنية، وعكس ما كان متوقعا من تعليم هؤلاء تماما - وانتهى الأمر بهؤلاء إلى المشاركة في الحركة السياسية الوطنية، والثورة التحريرية التي أظفرت باستقلال الجزائر.

وفيما يلي تبيان لأهم مميزات هذا التعليم مراحل وأنواعه:

1- التعليم الابتدائي:

لم يشرّع في التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين بصفة منظمة إلا عام 1850، حيث صدرت عدة مراسيم تنص على ذلك، مثل إصدار مرسوم 14 جويلية الذي نصّ، على إنشاء عدد من المدارس لتعليم الجزائريين، وفي عهد الإمبراطور " نابليون " الثالث (1852-

1 - Yacine Derradji et autres, **le Français En Algérie –Lexique Et Dynamique Des langues**, Edition Duculot, 1^{er} édition, , Belgique, 2002, P 21.

(1870)، زاد عدد المدارس حيث بلغ عددهم ثلاثة عشر (13) تلميذا، لكن بعد سقوط الإمبراطورية عام 1870⁽¹⁾ وقيام الثورة الشعبية 1870-1871، أغلقت مدارس عديدة وتقلص عدد المدارس، يقدرها بعض الباحثين ب ستة عشر (16) مدرسة فقط، كما تقلص عدد التلاميذ بدورهم إلى أقل من الربع تقريبا، حيث انخفض عددهم من 13000 تلميذا عام 1870، إلى 3172 تلميذا في عام 1880....⁽²⁾، وذلك إلى غاية 1883، حيث صدر مرسوما آخر ينص على تأسيس المدارس، لهذا حدثت الزيادة شيئا فشيئا، ولكن ببطء شديد. يمكن القول أن تعليم الجزائريين إلى غاية هذه المرحلة، قد تعرّض إلى عوامل المد والجزر، ولعل رفض الجزائريين في توجيه أبنائهم نحو المدارس الفرنسية، كان خوفا من التنصير والفرنسة - كما سبق ذكره - ، من بين العوامل المساهمة في عرقلة سيرورة هذا التعليم، وهذا إلى غاية فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد تميزت سياسة التعليم الفرنسية باللاعادلة بين الجزائريين والمستوطنين، بالرغم من القوانين الجائرة والمراسيم، فإن حظ الجزائريين من التعليم كان ضعيفا مقارنة بالأوروبيين، يمكن القول أنه كان أسلوب إهمال متعمّد.

وبالجملة فإن حظ الفرنسيين من التعليم، في المدارس الابتدائية يقابله 4.5 أمثال حظ الجزائريين منها..، ففي المدارس الابتدائية العالية يمثل ثمانية أضعاف حظ الجزائريين⁽³⁾.

2-التعليم الثانوي:

أول ثانوية أنشأتها الإدارة الفرنسية هي " ثانوية الجزائر " « Lycée d'Alger »، وكانت موجّهة فقط للأوروبيين المستوطنين، وكانت موادها هي اللغة العربية الفصحى، اللاتينية والفرنسية، الإغريقية والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضيات، لكن بعض الباحثين من بينهم أبو القاسم سعد الله⁽⁴⁾ ، رأى أنها لم تكن ثانوية بمعناها الحقيقي، بدليل أن بعض الفرنسيين فضلوا إرسال أولادهم إلى فرنسا للدراسة الثانوية، باعتبارها الدراسة الأفضل والأنجع من تلك المتواجدة في الجزائر، وفي سنة 1881 أي في عهد الجمهورية الثالثة،

1- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع ، ص 138.

2- رابح تركي، نفس المرجع، ص 169.

3- بوفلجة غياث، نفس المرجع ، ص 27، للمزيد أنظر أيضا : الجدول رقم (01) ، ص 54 .

4- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص301-302.

فتحت 18 ثانوية أهمها ثانوية الجزائر-السافة الذكر-، ثانوية قسنطينة وثانوية وهران، إضافة إلى معاهد أخرى تقدّم تعليماً من هذا النوع، سميت بـ "الكوليج" « Collège »، أي المعاهد البلدية في مدن أخرى كالمدية والبليدة ومستغانم، لكن حتى وإن سمح للجزائريين بدخول الثانويات، فقد كانوا يوضعون في أقسام خاصة بهم تسمى بـ "الأقسام الأهلية"، زيادة على ذلك كان من الإجباري أن يكون هؤلاء، منتمين لفئة معينة أي فئة الأغنياء، وممن تبنّى أفكار فرنسا.

إن العدد القليل الذي دخل المدرسة الفرنسية الثانوية من الجزائريين، إنما كان من فئة معينة لا تخرج عن أبناء " الخيام الكبيرة "، والعائلات التي تولّى أربابها المناصب الفرنسية (القياد والآغاوات... إلخ)، وكذلك الموظفين كأبناء الخواجات والمترجمين والعائلات التي تبنّت الأفكار الفرنسية.⁽¹⁾

والإحصائيات لنفس المؤلف تقول، أن عدد الثانويين الجزائريين بعد مرور قرن على الإحتلال أي عام 1930، في هذه المؤسسات كلها، 767 تلميذا من سكان عددهم خمسة ملايين نسمة، في حين بلغ عدد التلاميذ الفرنسيين حوالي 11000 ، من سكان عددهم أقل من نصف مليون نسمة.⁽¹⁾

3-التعليم العالي:

شهد التعليم العالي هو الآخر تمييزاً واضحاً بين الأوروبيين والجزائريين، وحتى لو تمّ قبول بعض الجزائريين في الجامعة، فكان بهدف استعمالهم لأغراض معينة، وهو خدمة الإدارة الاستعمارية، ودليل ذلك إنشائها لمعاهد متخصصة تحت إشرافها، مثل معهد البحوث الصحراوية ومعهد الدراسات الشرقية⁽²⁾، التي كان الغرض منها مدّ الإدارة بمختلف المعلومات الخاصة بكل منطقة، ومختلف أساليب عيشها، وثقافتها وتقاليدها ونموذج تفكيرها،

1- نفس المرجع ، ص 302.

2- جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 162.

لنتمكن من السيطرة عليها بطريقة أسهل، ولهذا يمكن اعتبار مدرسة الطب سنة 1857 أول محاولة في التعليم العالي، إلا أنها بقيت محتكرة من قبل الفرنسيين عدا عدد قليل من الجزائريين، ممن سمح لهم بالدراسة فيها، وهم أولئك الذين توفرت فيهم بعض الشروط أهمها، أنهم كانوا قد درسوا في " كوليغ الجزائر"، أو في مدارس فرنسا، على أن يعملوا فيما بعد في الأوساط الريفية، ولهذا وبحكم تكوينهم يمكن القول، أنهم ليسوا أطباء بالمعنى الصحيح للكلمة إنما مساعدو أطباء، فنظرا للوضعية المزرية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري نتيجة الغزو الفرنسي، وحروبها معه والتجهيل والتفقير وانتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات المتتالية، فقد اهتمت فرنسا بتكوين هؤلاء لحاجتها إليهم، وفي 1879م تطورت مدرسة الطب، وأنشأت مدارس عليا أخرى تابعة لها، كالصيدلة والفيزياء والأناتومي والمواد الطبية وأمراض البلاد الحارة وغيرها، إضافة إلى هذا، فتحت مدارس أخرى كالآداب والحقوق والعلوم والتاريخ لاحقا⁽¹⁾.

بالنسبة للتعليم العالي الأهلي، الذي كان منعزلا تماما في الجزائر، فإن أجرون يذكر أن سجلات المخابرات السرية، تقدّر عدد الطلاب في جامعات الأزهر والزيتونة والقرويين، بالمئات من الشبان الذين توجهوا سرا في فترة ما بين الحربين، أحيانا مشيا على الأقدام، بتوجيه وتشجيع من فصائل الحركة الوطنية، وحزب الشعب، وجمعية العلماء المسمين على وجه الخصوص.

جدول رقم (01): يبين عدد الطلبة الجزائريين والفرنسيين المسجلين في التعليم العالي سنوات 1920، 1930 و 1938⁽²⁾.

السنة	الجزائريون	الفرنسيون	المجموع
1920	47	1282	1329
1930	93	1967	2060

1- **نفس المرجع**، ص 170، للمزيد، أنظر أيضا: الجدول رقم (02) و رقم (03)، اللذان يبينان عدد الطلبة الجزائريين المسجلين في جامعة الجزائر ما بين 1915 و 1962، ص ص 55-56.

2- محمد العربي ولد خليفة، **الإحتلال الإسيطاني للجزائر مقارنة للتاريخ الإجتماعي والثقافي نحو تجديد الخطاب وإشراك الشباب**، منشورات ثالة، الجزائر، 2008، ص 81.

2232	2138	94	1938
------	------	----	------

أعداد طلاب الجامعة :

- (1) سنة 1884 انخرط في الجامعة 6 طلاب.
- (2) سنة 1907 وصل حوالي خمسون (50) طالبا.
- (3) سنة 1922 انخرط حوالي ستون (60) طالبا.
- (4) بعد قرن من الاحتلال هي سنة 1932، وصل المرحلة الجامعية حوالي مائة (100) طالب.
- (5) سنة 1948 وصل العدد إلى 139 طالبا جزائريا، أي حوالي 3.8 من مجموع الطلبة في الجامعة والباقي من الأوروبيين.
- (6) وفي المقابل فإن جهود المقاومة، والحركة الوطنية أسفرت عن الحصيلة التالية:
- (7) سنة 1861 قدر " أجريت " ¹ و " بليسي " 1968 (Pelissier) ، التلاميذ المنخرطين في المدارس القرآنية بحوالي 27000 تلميذ.
- (8) سنة 1897 أغلقت الإدارة الكولونيالية ثلاثة أرباعها، ولم يبق من طلبة المدارس القرآنية سوى 6500 طالب.
- (9) لا توجد إحصائيات يطمأن إليها خلال حوالي نصف القرن التالي، لأن التعليم الأهلي أصبح شبه سري.

جدول رقم (02): يبين عدد الطلبة الجزائريين المسجلين في جامعة الجزائر ما بين 1915 إلى غاية 1962 (2).

السنوات	آداب	حقوق	طب-صيدلة	علوم	المجموع	% الطلبة	مجموع الطلبة
1915-1916	24	4	7	4	39	9.2	422
1916-1917	37	10	6	8	61	7.12	479
1917-1918	21	16	14	10	61	9	675

1- محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، نفس الصفحة.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

866	7.4	41	5	2	9	25	1919-1918
1428	2.1	17ن	2	15	ن	ن	1920-1919
1414	3.3	47	4	10	16	17	1921-1920
1426	3.4	62	5	8	22	27	1922-1921
1532	6	92	3	11	38	40	1923-1922
1488	8.2	43	5	9	23	6	1924-1923
1592	1.4	66	4	8	21	33	1925-1924
1663	9.3	64	5	12	13	34	1926-1925
1720	9.4	84	9	10	31	34	1927-1926
1854	9.3	72	15	14	22	21	1928-1927
1854	4.4	79	8	11	22	38	1999-1920
2013	8.4	97	14	13	31	39	1930-1929
2013	5.4	92	14	13	30	30	1931-1930
2200	4	90	9	13	24	41	1932-1931
2622	9.3	103	6	13	44	40	1933-1932
2659	9.3	110	10	13	40	47	1934-1933
2553		102	7	18	36	41	1935-1934
2258		94	20	9	25	40	1936-1935
2103		111ط1	27ط1	8	29	47	1937-1930
2248		94ط6	10	22	22	40	1938-1937
2155		102تسا1	13تسا	23ط1	12ط12	54ط1	1939-1938

جدول رقم (03): يوضح عدد الطلبة الجزائريين المسجلين في جامعة الجزائر، بالإضافة إلى عدد الطالبات الجزائريات ابتداء من السنة الجامعية 1940-1941م⁽¹⁾.

السنة الدراسية	آداب	حقوق	طب، صيدلة ، طب أسنن	علوم	المجموع	ذكور	إناث	1940-39	35
1940-39	35	14	30	10	89	89	0	764	1866
1941-40	43	15	67	22	147	135	12	9.3	3773

1 - Pervillé, *ibid*, PP 29-30.

3879	9.3	8	140	148	19	47	12	43	1942-41
3212	4.4	1	143	144	12	80	17	35	1943-42
3476	4.5	16	173	189	31	107	16	35	1944-43
4128	5.5	16	213	229	44	102	23	60	1945-44
4978	2.7	29	331	360	52	165	91	52	1946-45
4702	8.4	24	203	227	41	74	61	51	1947-46
4558	7.5	32	231	263	38	92	74	59	1948-47
4639	6	31	251	282	34	84	102	62	1950-48
4833	3.6	44ن	262ن	306ن	35ن	105ن	85ن	81ن	1950-49
4348	8.8	31	355	386	48	71	150	117	1951-50
4913	9	34	408	442	63	109	148	122	1952-51
5478	4.10	33	539	572	81	113	181	199	1953-52
5149	9.9	24	489	513	62	101	179	165	1954-53
5172	4.11	51	538	589ط	82	123	196	188	1955-54
5189	13	67	617	684ط	103	128	193	260	1956-55
4700	6.5	22	245	267ط	53	17	91	106	1957-56
4815	7.8	51	370	421ط	51	71	161	168	1958-57
5454	769	58	472	530ط	101	59	243	127	1959-58
6553	4012	113	701	814ط	195	100	276	243	1960-59
7248	1.18	172	1145	1317ط	271	150	420	449	1961-60
									1962-61

4-التعليم المزدوج:

وهو التعليم الموجّه للجزائريين، يتم باللغتين العربية والفرنسية وهو على أنواع :

4-1-المدرسة الابتدائية المزدوجة:

في 14 جويلية 1850، صدر مرسوما بإنشاء مدارس تسمى بالمدارس العربية – الإسلامية، حيث يتعلم الأطفال الفرنسية والعربية، إلا أن هذا التعليم كان مفتوحا فقط لأبناء وبنات الأعيان والعائلات التي خدمت فرنسا والتي تتعامل معها، تتمحور موادها في اللغة

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

الفرنسية، نحواً وصرفاً، العمليات الأربع في الحساب، تاريخ وجغرافية فرنسا، وأوروبا، الموسيقى، واللغة العربية.

مع مجيء الجمهورية الجديدة، أغلقت هذه المدارس باعتبار اللغة العربية والدين الإسلامي أعداء لفرنسا، إلى غاية مجيء " جول فيري"، حيث شرع هذا التعليم في الانتشار بصورة كبيرة، لكن أهم ما ميزه، هو اتجاهه المطلق نحو الفرنسية والمسيحية .

وفي 1870 كانت هناك مدرسة ابتدائية عربية - فرنسية، ومعهدان فرنسيان عربيان وثلاث مدارس دينية⁽¹⁾.

وفي 1892 وبعد التحقيق الذي أجرته لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي حول الأوضاع في الجزائر، إضافة إلى مسببات أخرى، مثل إتجاه الدول الإستعمارية إلى الإهتمام بقضية التعليم في مستعمراتها، وظهور تيارات فكرية ودينية في أوروبا تدعو لحقوق الإنسان، وذلك تحت تأثير النهضة العربية - الإسلامية القائمة أساساً على التعليم، كلها كانت عوامل جدّ مؤثرة في تغيير الوجهة السياسية التعليمية الفرنسية، خاصة فيما يتعلق بهذا النوع من التعليم، حيث شرعت في الإهتمام به من خلال انتعاشه وتوجيهه، إلا أن المقصود من الانتعاش هنا، توجيه هذا التعليم نحو المهنية أي تعليم مهني أكثر، لكن في 3 جانفي 1893، وإثر قرار من الحاكم العام، ضمتّ هذه المدارس إلى المدارس الفرنسية، وبذلك تم التخلّص من التعليم المزدوج⁽²⁾.

1- نفس المرجع ، ص 182.

2- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص ص 398 - 401

4-2-المدارس الشرعية الثلاث:

بعد التعليم الابتدائي، يلتحق التلاميذ الجزائريين، وهم نادرون بهذه المدارس، هي بمثابة تعليم متوسط- أحيانا يعتبر تعليماً ثانوياً- ، وهي مدارس حكومية ، كان الفرنسيون يطلقون عليها اسم « les médersas »، أما البرامج والأهداف فقد كانت تسمى كذلك بـ " الفقهية"، لأنها تتضمن تدريس الفقه، والمواد الدينية الإسلامية، وكان الهدف منها هو تخريج القضاة والأئمة الذين تحتاجهم الإدارة، وقد كانت الدراسة في أول الأمر، هو الإنشاء باللغة العربية لكن منذ 1876، أصبحت مزدوجة لا من ناحية اللغة فقط، لكن من ناحية البرنامج كذلك، ومنذ ذلك الحين أصبح يطلق عليها اسم " فرنكو- إسلامية « Franco-Musulman ».

تم إنشاء هذه المدارس الثلاثة، عند إصدار مرسوم 30 سبتمبر 1850، الذي نصّ على إنشائها في كل من قسنطينة، تلمسان والمدية، كانت مواد التدريس فيها هي : النحو، الأدب، الفقه، أصول الدين، التوحيد، وفي 1863 أضيفت اللغة الفرنسية، الحساب، الهندسة، التاريخ الفرنسي، الجغرافيا ، وكان معلموها فرنسيين، وفي 1884 أزيلت مادة التوحيد والجهاد من برنامجها، وحددت مواداً أخرى مثل مبادئ القانون الفرنسي، وفي 1887 أضيفت مواداً تُدرّس باللغة الفرنسية، مثل العلوم الطبيعية والفيزيائية وحفظ الصحة والتربية الأخلاقية والمدنية (1).

كان الهدف من هذا التعليم، هو إخراج جيل يتولى الوظائف القضائية والدينية، ويلعب دور الوساطة بين الأهالي والإدارة الفرنسية، أهم من تخرج من هذه المدارس هم أئمة المساجد، والقضاة الخاصين بعقود الزواج والتركات، العون، الحزاب، المؤذن، المعلم في المدارس الابتدائية، الوكيل، الخوجة، العدل، الدلال عند القاضي، الباش عدل والمفتي.

لكن هذا لا يعني أن كل خريجي هذه المدارس، كانوا يجدون الوظائف مباشرة بعد تخرجهم، وقد رأى المؤرخون أن هذا التعليم اتسم بالضعف، أما عن معلمها فأغلبهم فرنسيين، وإن كان منهم جزائريين فهم قليلون، ويشترط فيهم إخلاصهم وولائهم لفرنسا، إحصاء تلاميذ هذه المدارس على النحو التالي:

بناءً على إحصاءات 1911- 1912، فإن مجموع من كانوا بالمدارس الشرعية الثلاث هو 176 تلميذاً، وبلغ عدد التلاميذ في المدارس الثلاث سنة 1950 289 تلميذاً، أما في

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 402.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

سنة 1951 فقد أصبحت المدارس الثلاث ثانويات، وبلغ عدد تلاميذها 430 تلميذا سنة 1953⁽¹⁾.

وهكذا يمكن القول أن هذه المدارس قد أدت خدمات كبيرة لفرنسا، ربما أكثر من خدمة الثقافة العربية - الإسلامية، رغم اتسامها بطابع الإسلام والعروبة، فإنهم كونهم موظفي الإدارة الفرنسية جعلهم دوما في تبعية وخضوع لها.

فلم يتخرج علماء الفقه الاسلامي في اللغة العربية، قادرين على ملء الفراغ الذي تركه الجيل القديم بالإنقراض، والهجرة، كما أن تلاميذ المدارس الشرعية قد بلغ عمرها قرنا كاملا، لم يستطيعوا منافسة علماء الزيتونة، والقرويين أو الأزهر في الأدب⁽²⁾، واللغة والتوحيد والفقه وحركة التأليف، رغم أن تصريحات بعض الفرنسيين الأولى، يفهم منها أن الهدف من إنشائها و إصلاحها هو الحصول على هذه النتيجة⁽³⁾.

من أهم الأعمال التي قام بها البعض منهم، تمكنهم من الوصول إلى الجامعة والعمل على تشكيل رابطة بين القانون الفرنسي والقانون الإسلامي، قصد تطبيق قواعد القانون الفرنسي مع مراعاة مبادئ الإسلام.

4-3 المعاهد العربية الإسلامية (الكوليجات):

هذه المعاهد تعد بمثابة تعليم متوسط، أول هذه المعاهد هو الكوليج العربي-الأميرالي (السلطاني) بالعاصمة، أسس في 14 مارس 1857، ثم كوليج قسنطينة بمرسوم 16 جوان 1865، لكن ظهور الجمهورية الثالثة، أغلق معهدي العاصمة وقسنطينة . كان التعليم فيها يتم باللغة الفرنسية فقط، مع قليل من العربية الدارجة، بمعدل ساعة في الأسبوع، أما اللغة الفصحى فهي الأخرى يمنح لها ساعة في الأسبوع ، ابتداء من السنة الدراسية الثانية، ويتم الشرح والتحدث بها، وتعليمهم باللغة الفرنسية، كما يشترط في المعلمين الجنسية الفرنسية خاصة منهم الجزائريين.

1- نفس المرجع، 399-401.

2- نفس المرجع، ص 401.

3 - Guedj Gaston Eliaou, **L'enseignement Indigène En Algérie Au cours De La Colonisation 1832-1962**, Edition Des Ecrivains, France, 2000, p. 80.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

أما عن المواد الدراسية، فتتمثل في التاريخ الفرنسي وجغرافيا فرنسا، الحساب، التحليل العميق للنصوص الفرنسية، وابتداء من السنة الثالثة يشرع في دراسة تاريخ أفريقيا، إضافة إلى حفظ القرآن وأداء الصلوات الخمس، من قبل إمام تختاره الإدارة الفرنسية. وبعد التخرّج يحصل الطلبة على شهادة تؤهلهم إكمال الدراسة، في إحدى الثانويات، إما العاصمة أو قسنطينة أو وهران، أو للحصول على الوظائف الدنيا كموظفين في الإدارة أو مساعدي أطباء (1).

أما إحصائيا، فيحصى الباحث أبو القاسم سعد الله، عدد خريجي المعهد العاصمي بقوله في هذا الشأن: "...في سنة 1869 أي بعد 11 سنة من إنشاء المعهد العربي - الإسلامي، تخرّج فيه من الجزائريين 16 تلميذا مسلما " (2).

4-4 مدرسة ترشيح المعلمين « L'école normale »

أنشأت سنة 1865، هي مدارس إبتدائية هدفها ترشيح المعلمين، ويشترط في هؤلاء التلاميذ أن يتراوح سنهم بين 16 و 22 سنة، على أن يكونوا حاملي شهادة إحدى المدارس الشرعية الثلاث، لهد كان إقبال الجزائريين قليل جدا، لكن مع سنة 1882 تغيرت شروط الإلتحاق، على أن يتم الدخول بإجراء مسابقة خاصة وهذا إلى غاية 1924، حين توحدت المسابقة مع الأوروبيين، وفي نهاية السنة الثالثة من التعليم، يتحصل الطالب على شهادة " بورفي "Brevet"، ثم يقضون السنة الرابعة في التدريب والتحضير التربوي في إحدى المدارس الإبتدائية الخاصة بالأهالي، لكن هذا المعلم - الأهلي - لن يكون مرسما إلا إذا أحرز على الجنسية الفرنسية، أما المواد المقررة فهي البيداغوجيا الخاصة بالمدرسة الأهلية، الزراعة، الأعمال اليدوية، اللغة العربية والبربرية، الطب الشرعي، حسب بعض المؤرخين فإن الهدف من هذا التعليم، هو " تخريج معلم فرنسي للمدارس الأهلية، قادر على التعليم والمداواة، لأن عمله الطبي يقربه من الأهالي ويساعد، على إزالة الشك والعداء المتأصل فيهم نحو الفرنسية....." (3).

1 - *ibid*, p. 80.

2 - *ibid*, p. 83.

3 - Fanny colonna, Les instituteurs Algérien 1883-1939, O.P.U., Alger, 1975, P 131.

كما يعمل البرنامج على إعطاء المعلمين الفرنسيين، مدخلا ضروريا لحياة الجزائريين ولغتهم ولهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أي لثقافتهم ونموذج عيشهم، والغاية من ذلك هو تحقيق التغيير الإجتماعي ابتداء من تغيير الفرد، وذلك من خلال استدخال عدد من قيم وأفكار الثقافة الغربية، بمعنى ماثقة الفرد الجزائري لبناء مجتمع جديد، ذي ثقافة غربية⁽¹⁾.

فالتغيير الاجتماعي منتظر على أيدي هؤلاء، المعلمين ابتداء من تغيير الفرد. ولكن رغم هذا، سمحت هذه المدرسة لطلابها بتحقيق ترقية اجتماعية، ومستوى إقتصادي معتبرين، فضلا عن المستوى العلمي وحتى الأخلاقي، التي تظهر من خلال بعض التصرفات والسلوكات الحضارية، لكن وحسب دراسة نفس المؤلف⁽²⁾، توصل إلى معرفة أنه لم يكن يسمح لكل الجزائريين التسجيل في هذه المدرسة، بل كان يسمح فقط من كان ينتمي إلى بعض الفئات ذات الميزات الخاصة، ولم يكن يسمح للطبقة المقهورة، ولا حتى من ينتمي إلى كبار التجار والملاك، كذلك الذين ينتمون إلى الجماعات التقليدية ذات الثقافة العربية الإسلامية، إنما كان من يسجل فيها، أولئك الذين بحكم تكوينهم وأصلهم الجغرافي، قريبين من المجتمع الفرنسي آخذين وميالين لثقافته وأفكاره.

وعليه فإن هذا التعليم سعى إلى تحقيق الماثقة، لكن إضافة إلى هذا سعى لتحقيق التمييز، الهدف منه هو تخريج معلمين يلعبون، دور الوساطة بين الإستعمار والمجتمع الأهلي، وساطة تهدف في أغلبها إلى جلب هذا المجتمع، نحو الثقافة الغربية والعمل على إدماجها فيه.

4- إنعكاس السياسات التعليمية على الطلبة الجزائريين:

إن المنتبغ لسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، يستخلص أهدافها الرئيسية بسهولة، وهي تحقيق الفرنسة والاندماج والتجنيس، حيث جعلت من التعليم وسيلتها الأساسية، ومثالية لتجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية تدريجيا، وأداة لتحقيق السيطرة الكاملة لاحقا على كامل المجتمع، وفي هذا الشأن كتب السيد برنارد « Bernard » مدير مدرسة المعلمين ببوزريعة- الجزائر العاصمة- قائلا: " إن المدرسة الأهلية في شكلها الراهن

1 - Aliaou Gaston, Op Cit, p. 63.

2- نفس المرجع، ص 404.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

وعملها الخيري المزوج، ليست أداة تجريد خلقي فحسب، بل هي على وجه الخصوص أداة سلطة وسلطات، وسيلة نفوذ وسيطرة، وسنخلق من رعايانا عضدا مفيدا جدا وساعدا قويا لفرنسا⁽¹⁾.

إذن لم يكن يهدف الفرنسيين من خلال نشر التعليم، وتأسيس المدارس لتثقيف الجزائريين، وذلك لخوفهم من يقظة الأهالي واستبصارهم بحالهم، بل كان الهدف هو إدماج الجزائريين في ثقافة فرنسا، فمحاولة الإتيان ببرامج غريبة وغريبة عن مجتمع له تاريخه وثقافته وعقيدته وعاداته وتقاليدته الخاصة به، يعني هذا وببساطة السعي إلى إدماجه، وبالتالي إلى تغييره إلى حالة أخرى، أي مجتمع آخر، كانت من أولويات الإستعمار أكثر من تثقيفه وتعليمه، وتعدّ المدرسة واللغة الوسيطتان الأنجع لذلك.

لقد كانت البرامج التعليمية تعنتي أكثر باللغة الفرنسية، إذ كان هدفها تعويضها عن اللغة العربية، لتصبح لغة العلم والأداة والتخاطب، وأضحت اللغة العربية لغة أجنبية*، وأصبحت الفرنسية في جميع قطاعات الحياة، وموجودة في كل مكان، فقد كانت تسمى بـ " لغة الخبز " « **Langue du pain** »، أو بـ " **la langue d'ici - bas** "، فقد كانت سلاح فعال للتكيف في النظام الجديد، وبعد فترة لاحقة أصبحت وسيلة لمواجهة الفرنسيين والقضاء عليهم.

فاللغة الأم أصبحت غريبة في بلدها ، فكل شيء مكتوبا باللغة الفرنسية، من الياфطات في الطرقات والأحياء، إلى الإعلانات والملصقات، كل شيء يقرأ بالفرنسية، اللغة المحتكرة لكل شيء⁽²⁾.

لكن من جهة أخرى، لا يجب التنكر لبعض الجوانب الإيجابية لهذا التعليم، فمن العدل الإدلاء بحداثة هذا التعليم، مقارنة مع التعليم المحلي العربي - الإسلامي، الذي كان سائدا ومنتشرا قبل دخول الإستعمار، فقد كان تعليما تقليديا - كما سبق ذكره-، لا يخرج عن إطار العلوم الدينية وشيئا قليلا ونسبيا ، من العلوم الدنيوية، حيث تمتاز هي الأخرى بالتأخر، ولكن التعليم الفرنسي عمل على إدخال مواد ومناهج حديثة لم تكن معروفة من قبل.

1- رابح تركي، **نفس المرجع**، ص 134.

* بعد نضال ومجهودات جبارة، تمّ موافقة الإدارة الفرنسية على جعل اللغة العربية لغة رسمية سنة 1947، لكن رغم هذا بقيت اللغة الفرنسية اللغة الأولى في الجزائر.

2 - Guy Pevillé, **ibid**, P240

تدارك الجزائريون هذا التفوق، عندما شاركوا في الجيش الفرنسي في الحربين العالميتين الأولى والثانية، واحتكاكهم أثناءها بالعمال المهاجرين الذين كانوا ينشطون ، في مختلف الأحزاب السياسية والنقابات العمالية اليسارية، حيث يعتبر هذا عالما مختلفا عن عالمهم من حيث ثقافته، وطريقة تفكيره، لعالم مصنَّع له مجتمعه المدني وتنظيماته، أي عالم حديث ومتمدّن، جعل الجزائريين يغيرون نظرهم نحو التعليم الفرنسي، الأمر الذي أدّى إلى زيادة الاقبال عليه⁽¹⁾.

وعى الجزائريون بضرورة العلم لنيل الحقوق والمساواة، ولما لا الإستقلال - فيما بعد- والحفاظ على الهوية الجزائرية، مما دفعهم إلى توجيه أبنائهم إلى المدرس، سواء الفرنسية - حسب المقدرة المادية -، أو العربية التابعة خاصة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽²⁾، التي تفتنت باختلاف مستوى التعليم في المدرستين ، ففضّل البعض منهم توجيه أبنائه نحو المدرسة الفرنسية.

لكن يبقى ما قدّمته المدرسة الفرنسية في عمومها، بسيط وقليل للغاية، بالمقارنة مع من كانوا في سن الدراسة، وبالنسبة للعدد الاجمالي للسكان، الأمر لذي أدى إلى ارتفاع مذهب في نسبة الأمية، حيث بلغت نسبتها إلى 85 % ، هذا حسبنا تعليم البنات فتصل الأمية إلى 98 %⁽³⁾.

وبقيت اللغة الدارجة المحلية، هي الأكثر اتساعا في الأوساط الشعبية، أما العربية الكلاسيكية، فمجال استعمالها أصبح ضيقا، إذ أضحت لغة أجنبية، في حين عوّضت بالفرنسية، التي أصبحت لغة العلم والتعليم والإدارة وكل النشاطات السياسية والإقتصادية والثقافية، يعني اللغة الرسمية للبلاد.

ومن الأهمية القول أنه حتى ولو عمل الاستعمار الفرنسي، على تضيق التعليم الفرنسي ولغته على الجزائريين، إلا أن المحيط اللغوي الذي كان سائد آنذاك ، قد أثر على لغة الأهالي، فالاحتكاك المستمر بالأوروبيين، ساهم حسب العديد من علماء اللغة من إستعارة بعض الكلمات ودمجها مع العربية، وأصبحت من ضمن الكلام المتداول، حتى

1- Yacine Derradji et autres ,**Op Cit** , P 22.

2 - Ibrahimi Khoula Taleb, **Les algériens et leur (s) Langue (s)- éléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne**, Edition El Hikma, 2^{ème} éditions, Alger, 1997,P .38.

3 - **Ibid**, P. 38.

يومنا هذا، كما تبين أن الطبقة الفقيرة كانت أقل انتهاجا لهذا الأمر، بالمقارنة مع من خالط المدرسة الفرنسية، والذين كانوا على علاقة مباشرة بالمعمرين الأوروبيين.

يقول في هذا الشأن برفيلي « Pervillé »: درجة فرنسة اللغات أو اللهجات المحلية، كانت تخضع للوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعرب البربر...»⁽¹⁾.

أما من الناحية الفكرية والإبداعية، فقد بدأت كتابات بعض الجزائريين بالفرنسية تظهر جليا ابتداء من 1880 من كتب ومجلات وجرائد، وكانت جريدة " الحق " سنة 1893 بعنابة، أول جريدة يحررها جزائريون باللغة الفرنسية⁽²⁾.

إن اللغة الفرنسية إذن حقيقة ثقافية ، كانت نتيجة احتكاك الأهلي بها يوميا ، ونتيجة السياسة التعليمية الفرنسية، هذه السياسة التي يبدو أنها كانت في حد ذاتها حاملة لعوامل فشلها، فأقصاء العديد من الجزائريين من التعليم الفرنسي، ومن العديد من التخصصات العلمية، كذلك إن تهميش العربية الفصحى هي من العوامل التي أدت إلى فشل سياستها الإدماجية، بل العكس، حتى ولو أصبحت اللغة الفرنسية لغة العلم والإدارة، لكنها فشلت في تبسيط وطنية هؤلاء، بل كانت عكس ما كان متوقعا، المحرك الرئيسي لإيقاظ ضمائرهم، إن التمييز الذي طبّق بين الجزائريين والأوروبيين، حتى لو أن كليهما متعلمين، تيقن الجزائريون بأن الإستراتيجية، التي اتبّعها المستعمر هي أسوأ استراتيجية، لأنها تدير ظهرها لمبادئ الحرية و المساواة والإخاء، كانت من أهم أسباب فشل سياسة الإدماج.

5- بروز خريجي المدارس العربية والفرنسية، وأثره في تكوين النخب :

كان من نتائج المدرسة الفرنسية ظهور نخبة متميزة، حيث كانت في جزء كبير منها، في الطليعة المقاومة الوطنية والثورية وهي النخبة المفرنسة، ويبدو أن القيم المتلقاة من هذا التعليم (الإخاء، الحرية، المساواة)، أثرت بشكل كبير في بناء أفكارها، كما كانت من نتائج السياسة التعليمية الفرنسية القائمة على التمييز، ظهور المدارس العربية التابعة في غالبيتها،

1- نفس المرجع، ص 98.

إلى جمعية العلماء المسمين الجزائريين، هذا التعليم الذي ساهم هو الآخر، في تشكيل نوع آخر من النخب وهي النخب المعرّبة.

إذن عمل الإستعمار على إخراج نخبة متعلمة منقسمة إلى قسمين، حيث لكل منها فضاءها الفكري ومنبعها الأيديولوجي.

لقد تمكنت النخبة المفرنسة، بحكم تعليمها هذا من الإستفادة من علوم العصر وحضارة الغرب، ولذا اقتبست طرق تفكيره وعمله وعلمه، لكن الأهم ما في هذا الأمر، هو أنّها بحكم هذا التكوين من تحقيق الترقية المادية والإجتماعية، التي عجزت النخبة المعرّبة عن تحقيقها بسبب إتقانها لغة واحدة هي العربية، هذه اللغة التي بقيت غريبة وأجنبية في بلادها، مما آل إلى تهميشها وإقصائها، ولا يسمح لها الحصول على الوظائف الحكومية، ولعله من الأمور التي دفعتها - البعض منها - لتوجيه أبنائها للمدرسة الفرنسية، وكذلك ولكون تكوينها ديني في غالبه، جعل طرحها لبعض الأمور مختلف عن النخبة المفرنسة، لعل أهمها يكمن في تعريف وإعادة بناء الشخصية الجزائرية.

وعليه، وحتى وإن وجدت صعوبة في التوظيف والعيش مقارنة مع الأخرى، إلا أنه كانت أكثر توازنا لقربها من الثقافة العربية-الإسلامية، كونها المصدر والمرجع الوحيدين التي تستمد منه هويتها وأفكارها وتفسيرها للأمور، وهو ما لم تتمكن منه النخبة المفرنسة لتضارب الثقافتين عندها، إحداهما أصلية مستمدة من والمحيط، والثانية غريبة مستمدة من تعليمهم واحتكاكهم بثقافة أخرى، وإن تمكنت فكان ذلك نوعا ما بصعوبة، وفي فترة لاحقة، تميزت ببروز الحركة الوطنية، والإتفاق على جعل العربية والإسلام، من أسس الهوية الوطنية الجزائرية وثوابتها.⁽¹⁾

إضافة إلى هذا، من الأمور التي ساهمت في اتساع الهوية بين النخبتين، هو استمرار سيطرة اللغة الفرنسية، على حساب اللغة العربية في الوسط الجامعي، فأكبر نسبة من المتعلمين هم الذين يقرأون ويكتبون باللغة الفرنسية⁽²⁾.

أما عن مسار هؤلاء الطلبة خريجي التعليم الفرنسي، فيبدو أنهم يسعون بعد تخرجهم، إن لم نقل مجبرين على التوجه إلى الوظائف الحرة فقط، حيث الوحيدة المسموحة لهم⁽¹⁾،

1- مقابلة مع بلعيد عبد السلام، بتاريخ 2010/12/05 بمقر سكنه، حيدرة، بالجزائر العاصمة، أنظر المقابلة رقم (3).

2- نفس المرجع، ص 49.

وكذلك إن وجدت، لأنه من جهة تسمح لهم الحصول على معيشة أفضل، وعلى ترقية اجتماعية ومكانة لا بأس بها في الأوساط الشعبية، حيث تمتاز بالأمية والجهل في غالبيتها، ومن جهة أخرى إن عدم السماح للطلبة الجزائريين الحصول على وظائف غير هذه، راجع لتخوف الإستعمار من وصولهم إلى مناصب القيادة⁽²⁾، وفي هذا تهديد لمصالحها، هذا دون أن نتجاهل فكرة التمييز، إذ غالبا ما اعتبر الجزائريون - حتى المتعلمين - أدنى من المعمّرين والأوروبيين، لكن في الواقع، أن الكثير من هؤلاء فضلوا هذا النوع من الوظائف، كونه يسمح لهم العمل على حسابهم، مما يعني عدم الإنقياد لفرنسا، وخدمة مصالحها وإدارتها، كذلك إن الاستقلال عن الإدارة الفرنسية، يعدّ مكسبا للخوض في العمل السياسي، للمطالبة بحقوق الجزائريين والاستقلال لاحقا.

ولهذا غالبا ما كان يتم اختيار إما المحاماة أو الطب أو الصيدلة أو الهندسة، لكن دائما مع وجود عراقيل وصعوبات للأهالي، فكثيرا ما كانت العلوم الطبية والصيدلية أكثر سهولة، لخرقها مقارنة بالعلوم القانونية والهندسية⁽³⁾، ولعلّ الأمر راجع من جهة لقبول الطلبة الفرنسيين أكثر من الجزائريين، كما حدث لتخصص الهندسة، أو وضع بعض الشروط التي يتعذر على الاهالي قبولها، مثل ضرورة اكتساب الجنسية الفرنسية لممارسة القضاء والمحاماة، أما الطب والصيدلة، فحجة فرنسا لهؤلاء القضاء على مختلف الأمراض والأوبئة، خاصة في المناطق الوسطى أو الصحراوية، التي كانت تعاني من جهل كبير، جعل خرقها أسهل من الأخرى، لكن رغم هذا، وبعد العدول على شرط الجنسية الفرنسية عام 1936 و1937، أصبحت مهنة المحاماة والقضاء تحلّ المرتبة الأولى في التوجه إليها، ولعلّ أهم الأسباب ترجع إلى كل تلك المشاكل، والمعضلات التي كان الشعب الجزائري يعاني منها، أهمها الإختلاف الواسع بين القانون الفرنسي والإسلامي، حيث الأول لا يتطابق مع الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

وحسب إحصاء 1959-1960، هذا القبول، يبيّن نسبة الطلبة الجزائريين في مختلف التخصصات.

1- كمال بوقصة، مصادر الوطنية الجزائرية، إلى منابع الوطنية الجزائرية "الشعبوية"، ترجمة: ميشيل سطوف، دار القصة للنشر، 2005، ص 117.

2- نفس المرجع، ص 118.

3- نفسه، ص 119.

جدول رقم (04): يبين عدد المتحصّلين على الشهادات من الجزائريين خريجي المعاهد والكليات بفرنسا والجزائر

آداب	حقوق	علوم	طب+صيدلة وطب أسنان
95	100	190	365
243	276	195	100

" الطلبة المسلمون الجزائريون في الجزائر و فرنسا"⁽¹⁾.

في الواقع، تميزت هذه النخبة المفرنسة بميزات خاصة، أهمها المساهمة في التربية الوطنية ، وتطويرها لمفاهيم جديدة كمفهوم المواطنة، وعليه يمكن الإدلاء بفشل السياسة التعليمية الفرنسية الساعية للإندماج والتتصير، فطول مدة الاستعمار وظلمه وتمييزه العنصري، أدى إلى عكس ما كان متوقعا، وهو تعزيز شعور هؤلاء بالغيرية، الأمر الذي جعلهم في أغليبيتهم ، يرفضون الإدماج وسياسة فرنسا القهرية.

لكن بالمقابل، ماذا عن الفئة التي تلقت تعليمها إما في المدارس الشرعية الثلاث، أو في المدارس الفرنسية والمدارس العربية التابعة لجمعية لعلماء المسلمين الجزائريين، لمّا فهم العلماء بضرورة التعليم الفرنسي، وتقدمه وضرورة الأخذ بلغة المستعمر، التي أصبحت لغة العيش والعلوم العصرية - الدنيوية، عمل بعضهم على توجيه أبنائه للمدارس الفرنسية.⁽²⁾ وبحكم السياسة الجامعية،- التي سبق ذكرها - نجد الكثير من أبناء العلماء توصلوا إلى الجامعة للحاق بإحدى التخصصات، السابق ذكرها كالقانون والطب.

لقد حظيت هذه الفئة بمعرفتها للثقافتين، إحداهما مأخوذة من جماعة الأصل، أي الأسرة والمجتمع الأهلي، وهي الثقافة العربية الإسلامية والأخرى من جماعة المرّبع، حيث أصبحت المدرسة الفرنسية، والمحيط الغربي الموجود آنذاك مربعا لهم، لكن يبدو أن التعليم الفرنسي الساعي للإدماج فشل في إدماجهم، بدليل مساهمة العديد منهم في التربية الوطنية

1- Guy Pervillé, **Op Cit**, P 27

2 - Ali Merad, **le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et social**, édition, El Hikma, 2^{ème} édition, Alger, 1999, P 298.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

من خلال، انضمامها أو مشاركتها في تشكيل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وتنظيمات أخرى الذي غالبا ما كان تمثيلا، للعلماء ولخريجي المدارس العربية. لكن سواء انضم هؤلاء إلى « L'U.D.M.A »⁽¹⁾ أو الـ « P.P.A »⁽²⁾ أو حتى الحزب الشيوعي، وسواء كان للمسار التعليمي، جانب في ذلك أو كان ذلك راجع لخيارات، وقناعات شخصية، إلا أنه لا يمكن السهو عن فكرة أساسية، وهي كون محتوى الحركة الوطنية الجزائرية إلى جانب مطالبها بالاستقلال، كان الدفاع عن العروبة والاسلام من أهم محتوياتها، ولعله الفكرة التي تقسمته كل التيارات لفكرية والسياسية ودافعت عنها. إن هذه الفئة المتعلمة من الطلبة الجزائريين، المتكونين في المدارس الفرنسية أو المتكونين منه في المدارس العربية، أو ذوي اللغتين، انخرطوا في الحركة الوطنية، وفي جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني- تاركين ولو مؤقتا الفترة الإستعمارية- كل قناعاتهم وأيديولوجياتهم، لتقاسمهم ومشاركتهم فكرة واحدة وأساسية وهي الحصول على الإستقلال، وهو الحل الوحيد والأسلم والأصح لاسترجاع الهوية الوطنية ومعها الشخصية العربية الإسلامية .

المبحث الثاني: عوامل تكوّن الحركة الطلابية

1 - العوامل الخارجية " الدولية " :

لم تكن منطقة المغرب العربي بمنأى عما كان يجري في العالم، باعتبارها منطقة إستراتيجية ضمن الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، فمن الطبيعي أن يكون للظروف الدولية التي شهدها العالم خلال بداية القرن العشرين، أثرا كبيرا عليها ومن أهم هذه العوامل :

1-1- الحرب العالمية الأولى 1914-1918م:

1 - U.D.M.A : Union Démocratique du Manifeste Algérien وهو حزب سياسي من تأسيس فرحات عباس وبالعربية : التجمع الديمقراطي للبيان الجزائري

2 - P.P.A : Parti du Peuple Algérien وهو حزب سياسي أسس عام 1937 وبالعربية: هو حزب الشعب الجزائري

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

شاركت مجموعات كبيرة من شباب المغرب العربي في الحرب العالمية الأولى، هذه المشاركة كانت لها الفائدة الكبرى، إذ حررت الطاقات المضادة للإستعمار، وأدت إلى بعث حركة المقاومة الراضة له.

كما ساهمت الحرب في تسرب أفكار جديدة، كمبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون الأربعة عشرة، وفكرة المساواة والديمقراطية وانتشار الفكر القومي، ونجاح الثورة البلشفية التي ساندت فكرة تحرر الشعوب من الإستعمار، وسيكون لها وللأحزاب الشيوعية دورا هاما، في التأثير على حركات التحرر بعد ذلك⁽¹⁾.

لقد اعتبرت الحرب بمثابة الصدمة التي جعلت شعوب المنطقة، تدرك واقعها وتدخل مرحلة جديدة مع الإستعمار، حيث بدأت تظهر معالم نهضة أدبية وفكرية أ، فضت إلى بروز حركة وطنية مغاربية، أطرت الجماهير وخاضت معها نضال سياسي أوصل إلى حدوث التغيير في المنطقة.

1-2- عقد مؤتمر بروكسل و بروز الفكر النضالي:

مكّنت العديد من الجمعيات والشخصيات البارزة المناهضة للإستعمار، من تأسيس رابطة ضد القمع الإستعماري والإمبريالية، وكان ذلك في شهر فيفري 1927، وقد إنضم العديد من مناضلي الأحزاب اليسارية الفرنسية، وبعض المناضلين من المستعمرات مثل: الشاذلي خير الله⁽²⁾، وعقدت هذه الرابطة مؤتمر بروكسل في الفترة الممتدة بين 10 على 14 فيفري 1927، بحضور 175 مشاركا ينتمون إلى 154 منظمة نقابية وسياسية تمثل 34 بلدا⁽³⁾، وكان عدد الممثلين للشعوب المضطهدة 107 عضوا، حضرته شخصيات عالمية

1- لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955، المرجع السابق، ص 11.

2 و 2- مركز التوثيق القومي التونسي- ملف، 3-35، مؤتمر بروكسل للشعوب بالمضطهدة CNT.

مشهورة مثل جواهر لآل نهرو من الهند، محمد حاثا من أندونيسيا، كاناياما من اليابان، البكري من سوريا، أما من أوروبا فنجد هنري باربوز و فيليسيان شالي، أما من السنغال فمثّلها الأمين العام سنغور.

أما المغرب العربي فقد مثّله الحزب الدستوري، وباسم نجم شمال إفريقيا مصالي الحاج وتحدث باسمه، عن الوضعية في الجزائر والمغرب الأقصى⁽¹⁾.

وقد ألقى مصالي خطابا مدته 15 دقيقة، ختمه بتقديم برنامج نجم شمال إفريقيا الذي يطالب بالاستقلال⁽²⁾.

وحسب محمد قنانش فإن جريدة " الكفاح الإجتماعي " الصادرة بالجزائر يوم 11 مارس 1927، نشرت التقرير الذي قدّمه مصالي الحاج ، في حين نشرت جريدة الإقدام مقالا للشاذلي خير الله عنوانه " حق الشعوب في تقرير مصيرها " ، ومما جاء في الجريدة: "...وجماهير الشمال الإفريقي، التي اجتازت مرحلة تحمّل الألم قد بدت في مؤتمر بروكسل في دور دقيق من كفاحها في ميدان الأيديولوجية الثورية"⁽³⁾، هذا المؤتمر كان له دور هام في اطلاع العالم، على معاناة شعوب المغرب العربي، كما كان دافعا قويا شجاعا في الوسط الطلابي المغاربي ، بتنظيم نفسه داخل الجزائر وخارجها...".

وقد كان هذا المؤتمر مؤشرا قويا لإنطلاق الفكر التحرري، لدى الطلبة الجزائريين بمختلف أطيافهم الفكرية، إذ بدأت تتكون لديهم مفاهيم جديدة خاصة بالعمل النضالي، المبني على مطالب رئيسية أهمها تحقيق الإستقلال الوطني، والمحافظة على أسس الدولة المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية .

1-3- بروز التنظيمات الطلابية الفرنسية وتأثيره في بروز تنظيمات جزائرية

موازية :

تزامن ميلاد التنظيمات الطلابية العالمية في فرنسا مع حكم الجمهورية الثالثة، حيث برزت العديد من التشكيلات الطلابية في الجامعات الفرنسية، منها جمعية الطلبة في كل من جامعة نانسي سنة 1877، وفي جامعة بوردو سنة 1882، وباريس سنة 1884، وفي

1 - Hadj. Messalli, Les mémoires 1898-1938, ed Anep , Alger, 2005, P 156

2 - Ibid, P159.

3- محمد قنانش ، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين: 1919-1939، ش و ن ت ، الجزائر، 1982، ص ص 47-41.

جامعتي ليون و ليل عام 1907، ومرحليا تعايشت هذه التشكيلات الطلابية وتوحدت، تحت اسم الإتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية.(1)

أسس الإتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية، فروعاً له في الجامعات المتواجدة بالمستعمرات ومنها الجزائر، وحسب غي برفيلي فإن الإتحاد الوطني تحوّل فيما بعد، إلى الإتحاد الوطني لطلبة فرنسا، بهدف جمع شمل الطلبة على اختلاف توجهاتهم، وتحقيق قوة فاعلة للدفاع الموحد عن مصالح الطلبة.

فمن دون شك أن الطلبة الجزائريين عاصروا هذه التشكيلات الطلابية، سواء في فرنسا أو في جامعة الجزائر، وأخذوا عنها العمل النضالي الطلابي، إذ تذكر النشرة السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا ما بين 1931-1932، بلغ حوالي 152 طالبا منهم 11 طالبا من المغرب، و21 طالبا من الجزائر، و119 طالبا من تونس(2).

كما شهدت باريس ما بين 6 إلى 10 أكتوبر 1908 مؤتمر شمال أفريقيا، وقد حضرته نخبة من الشباب التونسي منهم، بشير صفر وخير الدين بني مصطفى وعبد الجليل الزاوش والصادق الزمرلي، مع استبعاد المشاركة الجزائرية في مثل هذا اللقاء، وكان مؤتمر باريس حسب رؤية علي باش حامبة، حافزا لتتوير الرأي الأهلي لشعوب منطقة شمال إفريقيا(3).

2-العوامل الداخلية " المحلية " :

هناك جملة من العوامل المساعدة، على تكوّن الحركة الطلابية في الجزائر، يمكن إدراجها في النقاط التالية:

2-1- تأسيس جامعة الجزائر وتضييق الخناق على الطلبة الجزائريين:

تضييق الخناق على تعليم الجزائريين، تجسّد في غلق المؤسسات التعليمية والدينية، وإجبارية التعليم باللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية، حيث أهملت تماما من التعليم والإدارة،

1 -Borella François et de la Fournière Michel, **le syndicalisme étudiant**, Edition Dahleb , Alger, 1989, P 36.

2- غي برفيلي ، **نفس المرجع** ، ص 96.

3- محمد بلقاسم ، **الاتجاه الوحدوي في المغرب لعربي 1910-1954**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الجزائر، معهد التاريخ، إشراف ناصر الدين سعيدوني ، السنة الجامعية 1993-1994- ص ص 140-141.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

بالإضافة إلى تشكيك في فعاليتها، وتقسيمها إلى ثلاث لغات- كما سبق ذكره في الفصل الثاني.

كان هدف تأسيس جامعة الجزائر من وجهة نظر الفرنسيين، هو تطوير المعارف واستقطاب طلبة شمال أفريقيا، وتعدّ من أقدم الجامعات في الوطن العربي⁽¹⁾. وحسب التقرير الذي نشرته مجلة إفريقيا الفرنسية، حول خلية العمل التي ترأسها عميد الجامعة جورج هاردي في 18 نوفمبر 1933، أنه من مهام الجامعة، هو ربط الطلبة الجزائريين بالأمة الفرنسية عن طريق وسائل ومناهج التعليم الجامعي، وتحويل مشاعرهم وأحاسيسهم إلى واقع ملموس يصبّ في المصلحة الفرنسية، ومن تمّ تصبح جامعة الجزائر صورة مطابقة للجامعة الفرنسية.

كان موقع الجامعة بالجزائر محطّ أنظار الرحالة ورجال العلم، وكانت نقطة لقاء وتعايش المذاهب وخصوصا المالكي، الذي اعتنقته شعوب شمال إفريقيا، كما كانت معبر طلبة وعلماء الإسلام، وخاصة المغاربة منهم والقاصدين البقاع المقدسة، يصف الجامعة أحد الباحثين وهو " بيار دوماس" بأنها تمثل إسلام شمال أفريقيا⁽²⁾.

2-2- هجرة الطلبة الجزائريين إلى الخارج.

إن صدور قانون التجنيد الإجباري في سنة 1912، وما ترتب عنه من تداعيات عديدة بما فيها الهجرة نحو الخارج⁽³⁾، وشملت الهجرة عنصر الطلبة الذين أصبحوا يبحثون عن مناطق آمنة في فرنسا، فأخذوا هؤلاء الطلبة بأفكار التحرر وحرية التعبير، وحسب رأي المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان ، فإن باريس كانت مصدر إلهام لطلبة المغرب العربي، وقد أشار إلى ذلك قوله: "...وأرسل قسم من البورجوازية أبناءهم للتعليم في المعاهد الفرنسية، وإتمام دارستهم بباريس، وهناك اكتشف الطلبة المتبنون للحركة الوطنية الأيديولوجية الديمقراطية، باتصالاتهم برجال السياسة الفرنسية فأصبحت قاعدة لرغبتهم⁽⁴⁾.

1- إحتوت مكتبة الجامعة منذ ميلاده على رصيد كبير، من المصادر والمراجع بحوالي 40000 مؤلفا، ليصل العدد سنة 1959 إلى 500000 عنوان، و 1275 عنوان للدوريات وفي 7 جانفي 1962، تعرّضت لمكتبة للحرق من قبل المنظمة السرية، وأتلف ما يقرب من 200000 كتابا . للمزيد أنظر: جامعة الجزائر، منبر الجامعة ، العدد 9، الموافق لـ 7 جوان 1997.

2 - Pierre Dumas, L'Algérie, Edition J. Rey Grenoble, 1931, P 42.

3 - l'exode des indigènes de Tlemcen, l'Echo d'Oran, N 14530 , 18 Octobre 1911 ;

4- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة : المنجي سليم وآخرون ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1976 ، ص 168.

وإذا كان جيونار قد جعل من باريس قبلة استقبال الطلبة الجزائريين، فقد كشف أحد الطلبة أن المشرق العربي، كان هو الآخر قبلة لاحتضان الطلبة، ومن جملة هذه الدوافع هو التخلص من ريقة الإستعمار والفرار من الظلم، وقصد الحفاظ على تراث الآباء والأجداد، وتركيز دعائم العروبة والإسلام في الجزائر، قدّرت المصالح الفرنسية، أن عدد الطلبة الذين هاجروا للدراسة بالجامعة الإسلامية سنة 1954، بـ 900 طالب نحو الزيتونة و 200 طالب نحو القرويين بفاس، وثلاثون (30) طالبا التحقوا بالأندلس بإسبانيا⁽¹⁾.

فالشيخ الإبراهيمي أكد على مساهمة الجالية المهاجرة، بما فيها الطلبة في إحياء حركة النهضة، وإرساء ثورة فكرية جديدة جمعت، الكثير من الحس الوطني وعبر عن ذلك بقوله: رجع أفراد من الإخوان الذين كانوا بالمشرق مهاجرين، أو طلابا للعلم وجمع من تلامذة الأستاذ ابن باديس، الذين أكملوا معلوماتهم بجامعة الزيتونة..."⁽²⁾.

2-3 الإحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر وتحريكه للعمل السياسي

المقاوم:

كانت الإحتفالات والتحضيرات الضخمة بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، استفزازا كبيرا حرّك مشاعر الكثير من الجزائريين، باعتبار أن مظاهر هذا الإحتفال كانت ضربة جديدة للمقدسات الدينية والوطنية، بل تحدّد جديد كشف عن نشوة الإنتصار الفرنسي، من الجانب العسكري والديني برفع راية الصليب خدمة للمسيحية.⁽³⁾

في تلك الإحتفالية، رفعت فرنسا شعارات الحقد الدفين للشعب الجزائري، منه إنتصار الصليب على الهلال، وتشجيع جنازة الإسلام ونحوه من الشعارات المعادية للحضارة العربية الإسلامية، ونافية للوجود الجزائري في أرضه، كل ذلك بعث اليقظة الجزائرية من جديد، والسعي لإحباط نوايا الإحتلال حسب ما أشار إليه الإبراهيمي⁽⁴⁾.

1 - Geonard Pierre, Algérie l'œuvre française, Edition Robert laffont, Paris, 1984, 258.

2- البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج 2، ط2، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، الجزائر، دون سنة، ص 221.

3- محمد قنانتش ومحفوظ قداش- نجم الشمال الأفريقي، 1926-1937، د م ج - الجزائر 1984، ص 29.

4- البشير الإبراهيمي - "أنا" - مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 21 القاهرة 1966، ص 143.

كانت التحضيرات للإحتفالات قضية الساعة الإعلامية، وانتشر صداها بين المثقفين والطلبة ورجال السياسة، وقد أشار إلى ذلك توفيق المدني بقوله: " لقد أعاننا عملنا ومهّد لنا السبيل لتلك الأعباء الهوجاء التي أفادها الإستعمار سنة 1930، فلم يبق هناك من جزائري إلا وأحسّ بفتح ذلك الجرح الدامي من جديد، إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر، قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل"⁽¹⁾.

الإحتفال بالمئوية هذه أرادت فرنسا الكولونيالية، رسالة موجهة إلى العالم العربي الإسلامي، أنّ الدين الاسلامي واللغة العربية في الجزائر قد قضيا عليهما تماما، وأن لا وجود لمقومات الشخصية الجزائرية الممثلة في الدين الإسلامي كمتعقد، والمذهب الديني السائد في المجتمع الجزائري قبل الإحتلال، وكذا اللغة العربية كمقوم لغوي يربط، جميع شرائح المجتمع الجزائري حتى الأمازيغيين منهم.

2-4. الهجرة الجزائرية نحو أوروبا:

لقد استقطبت أوروبا عامة وفرنسا خاصة، عددا كبيرا من الجزائريين على اختلاف أعمارهم، وكانت هذه الهجرة نتيجة لدوافع متعددة ، فلقد فتحت الحرب الإمبريالية الأولى باب الهجرة أمام الجزائريين، خلال فترة الحرب لوحدها، حيث تزايد حجم الهجرة للأسباب التالية:

- أولا: رفع القيد عن الهجرة بصدور قانون 1914⁽²⁾، مما شجع الكثير على الهجرة.
- ثانيا: الإشراف على تنظيم الهجرة سنة 1916 من قبل فرنسا، حيث أسست مصلحة " عمّال المستعمرات" ، التي كانت تشرف عليها وزارة الحربية الفرنسية.
- ثالثا: إلحاق الشباب بوحدات الجيش الفرنسي قبل مرحلة الخدمة العسكرية، بحيث أن دفعة 1917 قد أجبرت على اللحاق بالعمل العسكري، قبل سنة من وقتها، وهذا عن طريق التجنيد الاجباري.⁽³⁾

1- محمد توفيق المدني - هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة العصرية ، ط1، ص 166.
2- قانون 1914 : أرسلت الولاية العامة سنة 1914 للتأكد ، من حقيقة ما قامت به اللجنة التي أرسلت سنة 1912، وأوصت هذه اللجنة بتشجيع هجرة الجزائريين ، لاعتبارات عدة كالحاجة إلى اليد العاملة، الجندية، وعملا بتوصياتها ألغى الوالي العام مرسوم 16 ماي 1874 المقيد للهجرة ، بقرار أصدره في 18 يونيو 1913، وتؤكد هذا القرار عشية الحرب بقانون 15 جوان 1914.

3 - Jean Jacques Rager, les Musulmans Algériens En France Et Dans les Pays Islamiques., Edition O.P.U., Alger, 1986, p. 27

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

وهذه الهجرة كانت لدوافع مختلفة وعلى رأسها الدافع الإقتصادي، الذي يعتبر أساسيا، وهناك الدوافع العسكرية، خاصة بالنسبة لفرنسا، والتعليمية - وهذا العنصر يهنا - فلقد كان عدد الطلبة الجزائريين في فرنسا نحو 35 طالبا سنة 1930، واختلفت الأهداف والأغراض باختلاف أعمار المهاجرين⁽¹⁾.

وسمحت الهجرة للجزائريين بالإحتكاك بغيرهم، خاصة من الناحية الفكرية والسياسية، كما أنها أدت إلى رسم معالم العمل الوطني في فرنسا، بهجرة الأمير خالد إليها سنة 1923.

2-5- نمو الوعي الوطني بالمدارس الجزائرية:

ظهرت المدارس الحرة بالجزائر على نطاق أوسع ، مما كانت عليه خاصة مع بداية الثلاثينات، وكان الهدف الأساسي لها هو الحفاظ على مقومات الأمة، والحفاظ على الشخصية الوطنية، وقد أكد هذا الهدف الأساسي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قوله: "الحركة العلمية القائمة بالقطر الجزائري هي أساس الوطنية الحقيقية، وهي التوجه الصحيح للأمة الجزائرية، حيث كانت ترمي إلى تقوية المقومات الإجتماعية، من دين ولغة وفضائل وأخلاق، وتلك هي الأسس الثابتة التي بنيت عليه الوطنيات في الأمم".⁽²⁾

إن المدارس الحرة كانت عبارة عن مراكز لتكوين الشباب الجزائري، وتهيئتهم وفق خطة للوصول إلى إيجاد شخصية جزائرية، تسعى للتخلص من الإستعمار الفرنسي بكل أنواعه وأشكاله، رغم ما وضعته فرنسا من عراقيل مختلفة في وجه التعليم الحر، وأصدرت من أجل ذلك قوانين عديدة، مثل قانون 24 ديسمبر 1904، لكن الشعب الجزائري لم يستسلم لإدارة المستعمر، وقاومها بكل قوة قصد تعليم أبنائه اللغة العربية، والدين الإسلامي، وشكلت حركة التعليم الحر التي عرفت عدة مدن بالجزائر، نواة فعلية لنهضة تعليمية في فترة ما بين الحربين⁽³⁾.

1- عبد الحميد زوزو، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين 1919-1939، ط2، دار القصبية، الجزائر، 1985، ص/51.

2- جريدة البصائر، عدد 270، السنة السادسة، 07 مارس 1954، ص 01.

3- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1980، ص 155.

هذه العوامل كلها ساعدت على ظهور الحركة الطلابية الجزائرية، سواء في المدارس الحرة، أو المدارس الفرنسية، وحتى في الزوايا والكتاتيب القرآنية، كما كان لميلاد الأحزاب الأثر الكبير في إدماج جموع الطلبة، في صفوف العاملين بالحقل السياسي والإجتماعي الخيري، وكانت المدرسة الوعاء الأساسي للوطنية في الجزائر، وبلاد المغرب عموماً⁽¹⁾.

ومما لا يمكن تجاهله أن هذا التطور والنمو في الوعي، جاء نتيجة مرحلة سابقة عرفت الجزائر مع بداية القرن العشرين، كظهور الصحافة بالجزائر، ودخول الصحف المشرقية، كالعروة الوثقى اللواء، المؤيد، والمنار، إضافة إلى عودة بعض المتعلمين من المشرق، كالشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي وغيرهما⁽²⁾.

إن منطقة المغرب العربي مرتبطة جغرافياً وتاريخياً وحتى بشرياً، فكان من الطبيعي أن يحدث ارتباطاً بين نشاطات أقطارها، بحيث أنه ما إن شهدت هذه الأقطار يقظة، وصحوة في الوعي والضمير حتى عادت المناداة بالوحدة، وتعرزت هذه اليقظة، بعد موجات الهجرة الجزائرية تجاه الجارتين تونس والمغرب⁽³⁾.

وكانت أهداف هذه الهجرة إلى كلا القطرين، مختلفة بالنسبة للجزائريين، منها الهروب من جحيم الإستعمار والنهل من منابع العلم، حيث شكلت كل من الزيتونة والقرويين منطقة جذب للمتعلمين، كل هذا أدى إلى تثمين الروابط الوحدوية بين الطلبة، ومكّن من تنسيق الجهود لمواجهة الإستعمار الفرنسي المحتل للبلدان الثلاثة.

لهذا فإننا نجد أن الفكر الوحدوي قد بدأ يترسخ، في وسط الفئات المختلفة من المجتمع، ولا غرو أن نجد الأمر نفسه يجسده الطلبة، في جمعيتهم التي سموها " جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا .

2-6- ميلاد التنظيمات الطلابية الفرنسية:

كان لنهاية الحرب العالمية الأولى أثراً بالغاً، في ظهور العديد من التنظيمات العالمية والنقابية، نتيجة لما تمخضت عنه الحرب من إفرازات، ومنها التنظيمات الطلابية، وأقر بهذه التنظيمات للجزائريين: الحركة الطلابية الفرنسية، التي لم تهتم بوضع الطلبة في

1 - Jacques Desparmet , **les nationalistes à l'école indigène en Tunisie et en Algérie**, L'Afrique française, Février 1995 , P . 230.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

فرنسا فحسب، بل شملت اهتماماتها حتى طلبة المستعمرات، سواء كانوا في بلدانهم أو متواجدين بفرنسا، للدراسة في جامعاتها ومعاهدها.

تعود جذور الحركة الطلابية الفرنسية إلى سنة 1877، عندما تشكلت في المدن الجامعية الفرنسية ما سمي بالجمعيات العامة، والتي بدورها تجمعت فيما بعد في "الإتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا"⁽¹⁾، ثم شهدت تحولا آخر بظهور "الإتحاد الوطني لطلبة فرنسا"، والذي جمع شمل كل الطلبة على اختلاف توجهاتهم، من أجل الدفاع عن حقوقهم المشتركة.

فظهر التنظيمات الطلابية والشبابية عموما، بفرنسا و بالجزائر، وتواجد فئة طلابية جزائرية خارج الوطن وداخله، اقتضت الضرورة تجميع أنفسهم في تنظيم طلابي يوحد جهودهم، ويعبر عن ذاتهم ويدافع عن مصالحهم المادية والمعنوية، بعيدا عن هيمنة المنظمات الخاصة بالطلبة الفرنسيين.

ومما سبق ذكره يمكننا القول أن العوامل المذكورة، ساهمت في بروز حركة طلابية جزائرية ابتداء من العشرينيات من القرن العشرين، وإن كانت اتخذت في بداية الأمر الشكل المغاربي الوحدوي، الذي تتصوي تحته كل من : الجزائر، تونس، المغرب، إلا أنها مع مرور الزمن عرفت بجزائريتها.

المبحث الثالث: بروز النخبة المثقفة في الجزائر والتوجه إلى العمل الطلابي:

سؤال يتبادر إلى الذهن، هل كانت الجزائر عشية نهاية القرن التاسع عشر خالية من المثقفين الجزائريين؟ لعلّ الدارس للسياسة الإستعمارية وخلال تطرّقنا للسياسة التعليمية الفرنسية، وما نتج عنها من تحطّم في العمق للمجتمع الجزائري، نتيجة هشاشة بنيته الاجتماعية والفكرية والإقتصادية، بفعل عوامل الهدم الإستعمارية المختلفة، وبالخصوص قانون الأهالي الذي جعل من الجزائريين غرباء عن وطنهم، وفقدوا الكثير من مؤسساتهم الثقافية، ولو أنها كانت تقليدية، لم تتمكن من مواجهة المدرسة الفرنسية - كما ذكرنا سابقا-

1- الإتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا، والذي يرمز له ب: UNEF أي :

Union Nationale des Associations des Etudiants de France

من جراء ذلك تحولت النخب الجزائرية، المنتسبة إلى المدرسة المخضرمة (1848-1880) حسب سعد الله، إلى نخب البلاط والمواولة.

1. بداية تبلور الوعي الوطني في الحركة الطلابية من جامعة الجزائر:

لقد كوّنت المدرسة الفرنسية جيلا من الجزائريين، ولكنها كانت أضعف المدارس إنتاجا، وأقلها ارتباطا بالفكرة الوطنية وبعدها، عن الدعوة إلى النقد السياسي والإصلاح الإجتماعي⁽¹⁾.

ويبدو أن ميلاد النخب الجزائرية جاء بعد التراكم المعرفي، الذي أفرزه الوجود الإستعماري، والذي هيمن منذ الوهلة الأولى، على منابع المعرفة الثقافية والإجتماعية للمجتمع الجزائري، بهدف تمزيقه عن مرجعيته.

لذلك طرح العديد من التساؤلات حول بروز النخبة المتعلمة الوطنية، وهل كان وجودها بمثابة امتداد لتراكمات الماضي الوطني؟ ومن ثمة الأخذ في الحسبان في منهجية البناء بعمل الأصالة والتراث؟ أم أن وجود هذه الفئة المتعلمة، يعدّ من المظاهر لحفظ الإستمرارية الولاء لكل ما هو فرنسي، بعد أن تشبّع هذا الجيل بالمبادئ الغربية والفرنسية، خاصة كما سبق ذكره في السياسة التعليمية الفرنسية.

جراء ظهور رجيل هام من الجزائريين مكونين باللغة الفرنسية ومن أمثلة هؤلاء، عبد الله بن محمد وبن سديرة وبلقاسم، وكلهم أعطوا انطلاقة هامة في مجال الكتابة والنشر والتأليف بصفة سريعة، وخلالها تمّ طبع عشرات الكتب، واندمجوا في البناءات الإستعمارية، هذا الجيل من الجزائريين يمثل مدرسة الدمج الثقافية بنظام تربوي محكم، خطّه " جول فيري " على نموذج المدرسة اللاتينية الغربية، الراضة لمقومات الشخصية الوطنية الممتلئة، في اللغة العربية والدين الإسلامي.

2. تبلور مفهوم الحركات الطلابية:

1- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 66.

إن التعريف الشائع لمعنى الطلاب، هو ذلك الشخص الذي يلتحق بالمؤسسة الثقافية لمزاولة الدراسة سواء في المدرسة النظامية، أو الكتاتيب القرآنية أو الزوايا ونحوها، وعادة ما تفرق كلمة الطلبة بصفة الحركية والمسؤولية.

وتفرق كلمة الطلاب دائما بالجامعة في مفهومها الحاضر، هذه المؤسسة العلمية التي تزود الطلاب بعناصر التمكين العلمي والمعرفي.⁽¹⁾

ومن الخطأ الشائع الذي ما زال سائدا، حتى اليوم بين الأوساط الجزائرية المثقفة، أن مفهوم النشاط الطلابي يقصد به، ذلك التنظيم الطلابي الذي اقتصر على قلة من الطلبة الجزائريين، الذين أسعفتهم الظروف الإلتحاق بالمعاهد الفرنسية وجامعة الجزائر، وبدأ نشاطهم زمنيا عشية نهاية الحرب العالمية الأولى، هذا المفهوم نجده يعتمد أساسا على مبدأ حصول الطلبة، على الإعتماد الرسمي من الإدارة الإستعمارية لتشكيل تنظيمات طلابية أو نقابات، وإذا كان هذا يستند على الترجيح الأوفر، فإن فترة ما قبل 1900 لم تعرف بعد التشكيلات والتنظيمات، سواء الإجتماعية أو السياسة، إلا البعض القليل الذي كان على رأسها فرنسيين.

وهناك رأي آخر متداول عند ذكرى 19 ماي من كل سنة ومردّه، أن العمل الطلابي يعود أساسا إلى الإعلان، عن ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الذي أصبح تحت لواء الثورة التحريرية، وإعلانه عن الاضراب العام سنة 1956.

والحقيقة أن العمل الطلابي في الجزائر، قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد القرن الماضي، مثلما جسدهت التنظيمات الطلابية التي امتازت به، الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.⁽²⁾

إن تاريخ الجزائر الثقافي يزخر بكمّ هامّ من الفعاليات الفكرية، على مستوى الفئات المتعلمة بغضّ النظر عن التفاوت في المستويات، والمتمثلة في المؤسسات الثقافية والزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس الحرة، التي كان لها الفضل الكبير في المقاومة، أمام سياسة فرنسا التعليمية التغريبية.

1- أسعد أحمد علي، الطلاب وإنسان المستقبل، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1971، ص 34

2- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية و دورها في القضية الوطنية و ثورة التحرير 1954، المرجع السابق، ص 62.

وهناك جالية طلابية لا يمكن تجاهلها في دراستنا هذه وهي الهجرات الكثيرة، والتي رفضت العيش تحت نظام السلطة الكولونيالية، وكان عدد من أبناء هذه الهجرات، قد التحق بخلق العلم وتكوّن تكويننا دينيا وطنيا، باتجاه جامع الزيتونة بتونس، وجامعة القرويين بالمغرب، وبالأزهر الشريف بمصر أو ببلاد الحجاز والشام، وحتى إلى تركيا مقرّ الخلافة العثمانية الإسلامية.

إن العمل الطلابي هو الذي أنشأ، تيارات الحركة الوطنية الجزائرية المنظمة، منذ الإعلان الرسمي عن ميلاد نجم شمال إفريقيا، في مارس 1926 بباريس⁽¹⁾ ولم تكن شريحة الطلبة الموجودة بفرنسا بعيدة، عن ميلاد النجم خلال فترة نشاط الأمير خالد⁽²⁾.

ورغم جهود الطلبة التي كانت في خدمة الجزائر، وأرست مقاومة فكرية صمدت ضد الإستعمار الكولونيالي، إلا أن خصوصيات المرحلة وظروفها، لم يؤل إلى عملية التنظيم وتكوين خلايا موحدة لمحاربة فرنسا، فخصوصيات الحياة الطلابية والمعاهد والجامعات الحديثة، هي التي أكسبتهم نوعا من التنظيم والبحث عن وسائل جديدة، لأن يوميات الطالب في المدارس الحديثة أهلتهم أكثر مما كان عليه سابقا، للخوض في مثل هذه القضايا الخاصة بمحيطه اليومي، باعتبار أن حياته أصبحت تختلف كثيرا، عن حياة الفئات الأخرى في المجتمع من عامة الناس.

لكن هذا لا يعني أن الطلبة الجزائريين كانوا يعيشون، في عزلة تامة عن محيطهم الإجتماعي، لأن الحياة الجامعية هي بمثابة مرحلة عابرة يمرّ من خلالها الطالب، وقد يجدها مليئة بالأحداث والمفاهيم والقيم والجوانب العلمية والتحصيلية، ومن ثم فهي تميز حياته الخاصة التي لم يتعوّد عليه في السابق، بل تكوّن منه النموذج الخاص، وبرغم ذلك كله، فإن الحياة الجامعية ليست بالعالم المغلق كما يتصوره البعض، له خصوصيات يفتقر إليها العالم الآخر، وبذلك تعدّ محطة هامة لبناء المفاهيم والقيم.

والشيء الذي يميز الفئة الطلابية الجزائرية، عن الفئات الطلابية الأخرى سواء في أوروبا أو في العالم العربي الإسلامي، هو خضوعها للسيطرة الإستعمارية، وافتقارها إلى أدنى الشروط الموضوعية للعمل والدراسة.

1- محمد قنانش، نفس المرجع، ص 40.

2 - Centre culturel Algérien, l'étoile Nord Africaine Et Le Mouvement National Algérien, Publication du Centre culturel algérien, Paris, 1988, P 87.

وننتج عن ذلك بروز شريحتين بين صفوف الطلبة السائدين وقتئذ، إذ تمثل الفئة الأولى و هي قليلة طلبة الخبرة ، التي ساعفها الحظ في مزاوله الدراسة النظامية بالمدارس الابتدائية والإعدادية، أو بالمعاهد العليا والجامعات في أوروبا و بالخصوص في باريس، كما ذكرنا سابقا في السياسة التعليمية الفرنسية، أما الفئة الثانية فتتمثل فئة الشعب الجزائري والتي كان نصيبها من التعليم، بين جدران الزوايا والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة، التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو حزب الشعب الجزائري، وهذه المجموعة تمثل أكثرية الطلبة، ولكن إستفاد منها عدد قليل جدا من التكوين بالجامعات والمعاهد العربية والإسلامية، ومن تم فإن مصطلح الطلبة قد عرّفه البعض بكونه جماعة متميزة، لها من الإمكانيات ما ترجع إليه العامة وهي التي بلغت الحد الأعلى أو الرقم القياسي في مجال النشاط، وهذه الجماعة هي التي تملك مراكز التفوق والسمو في المجتمع، وهي الأقلية الفعالة والمسؤولة، التي هيأت لخدمة الأكثرية بطريقة مقيّمة إجتماعيا، وهي التي تؤدي الوظائف الراقية في المجتمع⁽¹⁾.

إن حالة الطلبة الجزائريين أثناء الحقبة الإستعمارية، كانت أكثر سوءا من وضعية طلبة المعمرين، ولذلك سنجد هذا الفارق سيساهم بقسط كبير في تكوين مناخ سوف تنشأ فيه جملة من المطالب، سواء من الطلبة الأجانب أو الجزائريين، وهي أشبه ما يكون بالعمل النقابي داخل لجان الأحياء الجامعية، بدعوى إصلاح وضعيتهم المادية والإجتماعية، وقد تحوّل ذلك العمل النقابي مرحليا إلى تكوين جمعيات طلابية، قادت على عاتقها النضال الطلابي داخل المؤسسات الجامعية.

المبحث الرابع: التنظيمات الطلابية في البلاد العربية ودورها في القضية الوطنية:

1. الطلبة الجزائريون في تونس:

إن الفئة الطلابية التي تابعت دراساتها، في المراكز والجامعات العربية والإسلامية، كوّنّت لنفسها جمعيات وتنظيمات طلابية، حتى تناضل من خلالها و تحسّن ظروفها الإجتماعية و الدراسية الصعبة.

1- مصلح الصالح ، الشامل قاموس المصطلحات العلوم لاجتماعية ، دار عالم الكتب المملكة السعودية ، ط1، 1999، ص 185.

فجامع الزيتونة بتونس استقطب عدداً، من الطلبة الجزائريين بغرض العلم والتوعية، الذين قدموا من جهات عديدة ، من تبسة وعين البيضاء وقسنطينة، يقول توفيق المدني في هذا الشأن: ".. وكانت منهم طائفة وطنية مؤمنة مستعدة للجهاد، وإذا وصلت الحالة إلى تقديرنا، أرسلناهم إلى تبسة وجنوبها لاستغفار الناس، وإعلان الثورة والانتفاض ومحاربة من يلهيهم من الفرنسيين..".⁽¹⁾، وكما أشرنا سابقاً، فإن كثيراً من العائلات الجزائرية أرسلت أبناءها، لمزاولة التعليم في الجامعات الإسلامية، بدلا من الجامعات الغربية، وكانت الزيتونة قبلة هؤلاء الطلبة، مثل عائلة بوكبال، وعائلة ابن باديس.

ويرجع الفضل في إرسال البعثات الأولى إلى الزيتونة، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس 1913، لكن مع قيام الحرب العالمية الأولى، توقفت هذه الإرساليات ثم عاودت الرجوع إلى تونس، و كان من بينهم مفدي زكريا و مبارك الملي و حمزة بوكوشة. وكانت حياة الطلبة المعيشية صعبة للغاية في تونس، وللتذكير فإن السياسة التعليمية التي انتهجتها فرنسا، في تجهيل الجزائريين و حرمانهم من التعليم، ألزم الجزائريين على الخروج من الجزائر إلى بلدان الجوار، بحكم الروابط التاريخية والحضارة العربية الإسلامية التي ربطتهم بعضهم بعضاً، وكانت تونس ملاذاً علمياً- ثقافياً لهؤلاء، ووفد على جامع الزيتونة بعثات متتالية من الجزائر، ويتوجيه من أساتذة أجلاء في الجزائر، مثل الأستاذ الشيخ مبارك الملي.

ومنذ ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، واعتمادها على جانب التعليم والتربية كمقوم أساسي في دعوتها الإصلاحية، اهتمت بإرسال البعثات الطلابية إلى العالم الإسلامي، إذ استقبلت تونس لوحدها سنة 1936 ما يقارب 200 طالباً⁽²⁾.

هذا العدد أصبح في أمس الحاجة إلى تنظيم قانوني، يكفل حرية العمل الطلابي، ويمكنه في إطار منظم أن ينسق جهوده ويوحد كلمة الطلبة⁽³⁾.

1- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات في تونس 1905-1925، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1976، ص 87.
2- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، ط1، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 100.
3- نفس المرجع، ص 104.

فملازمة الطلبة لنشاطات الجمعيات والنوادي التونسية، وجمعية الطلبة الزيتونيين⁽¹⁾ الذين حضروا مؤتمرها بتونس عددا كبيرا، من الطلاب الجزائريين المقيمين هناك، تأسست الجمعية الطلابية سنة 1934، تحت إسم جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، إنتخب مجلسها الإدريسي برئاسة الشيخ المهدي البجائي، وهو أحد الطلبة المجدين، الذين تشبعوا بالمبادئ الدينية والوطنية، وتولّى رئاستها يذكر الباحث عمار هلال الطالب أحمد بن بوزيد الأغواطي، وأدخلت هذه الجمعية الطلابية النظام الرسمي.

وسبقوا في ذلك الطلبة التونسيين في تكوينهم ، لجمعيتهم الزيتونة⁽²⁾ من الأهداف التي تأسست من أجلها الجمعية، هو تكوين علاقات ودية بين الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، وإعانة المحتاجين منهم، كما كان للجمعية حضورا مكثفا، في النشاطات الفكرية والثقافية التي كانت تقام بتونس⁽³⁾.

بعد تأسيس الجمعية، أصابها نوع من الفتور، وقد يعود سبب ذلك إلى الحساسيات التي كانت موجودة بين الطلبة، إذا علمنا أن الأحزاب السياسية في الجزائر، أصبحت تراهن على قوتها في طليعة الطلبة هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون هناك تقصير من بعض الممثلين عن الجمعية، فيما يخص رعاية هؤلاء الطلبة وتزويدهم بالمال قصد إكمال الدراسة، وهذا في مجمله تقوم به جمعية العلماء المسلمين، لكن ميول الطلبة لحزب نجم شمال إفريقيا، وتألقه وانتشاره بقوة بين المناضلين الجزائريين في الجزائر، جعل الطلبة الزيتونيين يميلون إلى لغة مصالي الحاج، فكان التنافس على أشده بين جمعية العلماء وحزب نجم شمال إفريقيا، في استمالة الطلبة إلى صف هذا أو ذاك⁽⁴⁾.

أصدرت الجمعية جريدة تحت إسم الثمرة سنة 1937، والتي عدّت همزة وصل بين رجال الثقافة العربية الإسلامية، حيث بلغ عدد الطلبة الجزائريين الذين ينشرون في هذه الجريدة، والجرائد التونسية الأخرى 55 ناشرا وكاتبا، حيث نشروا مقالات في الشعر والنثر⁽⁵⁾.

1- جمعية الطلبة التونسيين تأسست بداية القرن العشرين ، تضم الطلبة الذين يدرسون بالجامعة الفرنسية ، أمثال الحبيب تامر، والذي كان له دورا في تكوين جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا عام 1927.
2- مجلة الشهاب، ج 12، ع 9، الموافق ل نوفمبر 1933.
3- جريدة الصراف السوي، العدد 17، السنة الأولى، الموافق ل 1 جانفي 1934.
4- مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله بتاريخ 2011/11/16، بمقر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
5- فتح رؤساء تحرير العديد من الجرائد والدوريات التونسية ، أمام رجال الفكر والثقافة في الجزائر، أو الجالية المهاجرة في تونس، مجالا لنشر الأفكار وإبراز الكثير من القضايا التي تهتم بشعوب المغرب العربي.

تحوّلت هذه الجمعية من مرحلة التأسيس والتنظيم، إلى مرحلة بلورت فيها الوعي السياسي وهذا خلال الثلاثينات، باعتبار أن الطالب هو رجل تغيير وإصلاح، فعند عودته إلى الجزائر، ستكون أمامه مهام اجتماعية وتحديات يواجهها، أمام الوقع الجزائري بما يحمله من مآسي ومعاناة، وكذلك فالتكوين في العمل الدعوي أمر مهمّ ، يجب أن تتكفل به جمعية العلماء المسلمين.

نظر لطبيعة الجمعية من حيث المولد، أنها تأسست في المهجر، وداخل أرض شقيقة يتقاسم فيها الطلبة نفس المصير والهموم، وتجمعهم عقيدة واحدة وهو الدين الإسلامي، لغتهم العربية التي توحدتهم، فكانت طبيعة نشاطات هذه الجمعية ثقافية إعلامية، أكثر منها نقابية فيما يخص إيديولوجية الطلبة، في الفترة ما بعد 8 ماي 1945 أصبحت بارزة أكثر، بظهور تيارين سياسيين داخل صفوف الطلبة، أولهما يتألف من خريجي المدارس الفرنسية تجسد هذا التوجه، بين صفوف حزب الشعب الجزائري وأحباب البيان والحرية، وثانيهما من خريجي مدارس جمعية العلماء وبعثاتها إلى الخارج، ومثّل هذا الجناح الطلبة الذين ظلوا على ولائهم لفكرة العمل المرحلي، واستعادة مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، ولعلّ فرحات عباس أشار إلى ذلك التقسيم بقوله: "أنجبت ثانوية البلدية ، مثلا عددا من الشباب يلتهبون حماسا، أمثال سعد دحلب ومحمد يزيد، وبين يوسف بن خدة، ورمضان عبان، ومن مدارس أخرى تخرج قلّة من الشباب أمثال أوصديق عمر، آيت أحمد، وبين بلة وعبد الرزاق شنتوف ومصطفاي شوقي⁽¹⁾، وانضموا إلى إخوانهم فعززوا الجيل السياسي الجديد، أما الجزائريون المتخرجون من جامع الزيتونة بتونس، والجامع الأزهر بالقاهرة، فقد جعلوا من العروبة ونهضة الإسلام، الشرطين الأساسيين للإنبعاث الوطني، وكانت لهم سلطة عظيمة ونفوذ قويا على الجماهير⁽²⁾.

وكان لتطور الأحداث السياسية في بلاد المغرب العربي، وأثرها على الطلبة الجزائريين، الذين شاركوا زملاءهم التونسيين، في قضايا عديدة مثل المشاركة في الاجتماع الذي عقده البعثة الثقافية المشتركة بين طرابلس ومصر، والذي احتضنته معهد البحوث الإسلامية بالخلدونية عام 1949.

1- أحمد مريوش، نفس المرجع ، ص 201.

2- محمد عباس، نداء الحق شهادات تاريخية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003، ص 247.

وكان للطرف الجزائري النصيب الأوفر من هذا الإجماع، إذ خطب الكاتب العام للطلبة الجزائريين والمدعو: محمد الطاهر حميدان وأوضح قائلاً: "...أنه آن الآوان للتقارب والوحدة بين طرفي العالم العربي والإسلامي، مشرقه ومغربيه، وأن الجزائر جزء لا يتجزأ من هذه الوحدة...، إن الأمة الإسلامية هي وحدة طبيعية لا تعترف بالفواصل والفوارق، وإن الأمة العربية أكثر الأمم كفراً بالإقليمية والحدود، فالأمة الجزائرية أمة عربية مسلمة، يكفيها هذا اللقب الشريف الذي لا تبغي به بديلاً، ولا ترضى عنه تحويلاً، فلتقل الدعاية الفرنسية ما شاءت...، نعم فالجزائر جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي...⁽¹⁾.

إن نشاط ونضال الطلبة سياسياً في تونس، بعد الحرب العالمية الثانية، تمثل في تركية هؤلاء ودعم جهود مصالي الحاج، بعد ميلاد حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ففي عام 1946 دعت الحركة الطلابية الجزائرية بتونس، للمساهمة في كتابة وإثراء الثمرة الثانية⁽²⁾، وكتب حينها مصالي مقدمة لجريدة الطلبة، لخص فيها دور الشباب المنقف في تكوين الحركة الوطنية، وأن الشبيبة يقول مصالي ستصبح في المستقبل نخبة البلاد، وينبغي أن تصنع أداة كفاحها، وهي على مقاعد المدارس والكليات...⁽³⁾.

للإشارة أنه بعد الحرب العالمية الثانية، انتعشت الحياة التعليمية في الجزائر نوعاً ما، ففي سنة 1947 فتحت الجمعية معهداً بن باديس بقسنطينة، الذي أضحت المؤسسة الوطنية التعليمية، التي استقطبت الطلبة الجزائريين من كل أنحاء الجزائر، بالموازاة مع ذلك، فتح معهد الكتانية كمؤسسة تعليمية بزعامة الشيخ عمر بن الحملوي⁽⁴⁾، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة، التي أرسلت هي الأخرى، بعثة طلابية إلى تونس عام 1948. رغم بروز هذه المؤسسات التعليمية داخل البلاد، إلا أن ذلك لم يقلل من التحاق الطلبة بتونس لاستكمال دراستهم، ومن بين هؤلاء أبو القاسم سعد الله⁽⁵⁾، وقديد محمد⁽⁶⁾، ومولود

1- جريدة **المغرب العربي**، العدد 44، الموافق ل 4 أوت 1949.

2- الثمرة الثانية هي جريدة جمعية الطلبة الزيتونيين ظهرت وبرزت بها أعلام طلابية كتبت في الثقافة والسياسة.

3- جمعية الطلبة، **الثمره الثانية**، 1947-1948، مطبعة التليلي تونس 1948، ص 8.

4- معهد الكتانية، من المعاهد العتيقة بقسنطينة أسسه صالح باي عام 1887، بعد الإحتلال حول لخدمة فرنسا، عام 1946 أصبح مقراً للإذاعة الجهوية، سنة 1947، تحول للتعليم العربي برئاسة عمر بن الحملوي، ليصبح فرعاً من الزيتونة سنة 1952، للمزيد أنظر مريوش، الشيخ العقبي، ص 451.

5- مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم بعد الله بتاريخ 2011/11/16، بمقر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

6- محمد قديد، **الرد الوافي على مذكرات كافي**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

قاسم نايت بلقاسم، وبذلك تعززت الجريدة بأقلام جادة، عالجت قضايا سياسة في اهتماماتها، بالمقارنة مع العدد الأول التي كانت الكتابات تدور حول قضايا دينية وثقافية.

نلاحظ أن الحركة السياسية لعبت دورا كبيرا، في توعية وتوجيه الطلبة الجزائريين في تونس، واستطاعت أن تغذيتهم بفكرة الإستقلال بعد أن تشبعت بمقوم الهوية.

فالطلبة الزيتونيون سايروا خط الحركة الوطنية بكل مراحلها، وصولا عند تفجير الثورة في عام 1954، حيث حاول رئيس الجمعية الجنيدي خليفة لمّ شمل الطلبة مرة ثانية، بعد الإنقسام الواضح دائما في توجهات الطلبة، ففي أبريل 1956 أحييت الجمعية ذكرى وفاة عبد الحميد بن باديس، وبالمناسبة أوضح رئيس الجمعية الجنيدي خليفة، ضرورة الوقوف مع القضية الجزائرية، العادلة باعتبارها قضية عربية إسلامية⁽¹⁾.

2- الطلبة الجزائريون في مصر

منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر، واستعمال معاول الهدم الكولونيالية، وضرب مقدسات الأمة الجزائرية عن طريق المدرسة، وسياسات فرنسا التعليمية التغريبية، بالقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية، المتمثلة في اللغة العربية، حيث منعت تدريسها، أو التدريس بها، وكذا القضاء على الكتاتيب والمساجد والزوايا، وجد الطلبة الجزائريون الحلول البديلة التي ستعوضهم عن هذا الحرمان، الذي تمّ، والتجهيل المقصود والممنهج من طرف الإدارة الفرنسية الكولونيالية.

فتوجّه عدد لا بأس إلى مصر بوابة المشرق العربي، والذي زادها شهرة جامع الأزهر، الذي كان مسموعا لدى الجزائريين، ومزارا لدى علمائها، وعادت مصر محطة هامة في استقبال طلبة الجزائر منذ سنة 1916، حيث وصل عددهم إلى 29 طالبا، أرسلتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وازداد عددهم حيث وصل إلى 43 طالبا⁽²⁾ سنة 1952، ومن بين الطلبة الذين كانوا ضمن البعثة رابح تركي، عثمان سعدي، عيسى بوضياف ومنور مروش ومحي الدين عميمور، سجلوا في مختلف الجامعات والمؤسسات الثانوية⁽³⁾.

1- يحي بوعزيز، الطلبة الجزائريون ودورهم في الثورة، مجلة الثقافة، عدد 83، سبتمبر /أكتوبر 1984، ص 276.

2- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص 236.

3 - Hellal Amar ,Le mouvement reformiste algerien les hommes et l histoire 1831-1957
Edition OPU,Alger ,2000 ,P 270 .

لكن لا نزال أمام سؤال محير، كثيرا ما عجزنا عن الإجابة عليه، هو لماذا أرسل معظم رجال الجمعية أبناءهم للدراسة في الجامعات الغربية، في حين أرسلوا غيرهم للجامعات العربية؟

للتذكير استقر الشيخ البشير الإبراهيمي بالقاهرة عام 1932، حيث رتب شؤون الطلبة هناك⁽¹⁾ في سنة 1934، أي عند اندلاع الثورة التحريرية، عرف الطلبة في مصر إنقساماً بين صفوفهم، حيث برز جيل جديد من الشبان الواعين، جنّدهم حزب الشعب الجزائري في صفوفه مدة سنوات، وعند اندلاع الثورة، كان المناضل الشاذلي مكي، والذي سبق له أن قاد التنظيم الطلابي في الزيتونة، انتدب كأمين سر الحزب في المشرق، وأصبح ممثل حزب الشعب في القاهرة، وخدم القضية الوطنية، وندد ضد الإستعمار الفرنسي، ونسق جهوده مع دعاة القضية العربية، وكان يتميز عمله بعد أن بدأه في تونس أن ربط بين الدين والسياسة⁽²⁾.

رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة والذي كان وراء تكوينها، جبهة التحرير الوطني بالتنسيق مع طلبة مناضلي الجبهة، حيث دعموا الثورة، قبل حتى ميلاد التنظيم الطلابي في شهر أوت 1956، باسم "رابطة الطلاب الجزائريين بالقاهرة"، الذين كان أعضاءه يتطوعون للعمل في جيش التحرير بصورة فردية، فكان بلقاسم زّور أول الداخلين إلى الجزائر وأول الشهداء من طلبة المشرق العربي⁽³⁾.

كما ذكرنا سابقاً، أن الحركة الطلابية في عمومها، سائرت في كل مراحل تطورها منذ نشأة الحركة الوطنية السياسية، حيث كانت الفئة المتعلمة، تمثل بالنسبة للقادة السياسيين والشخصيات الحزبية، نخبة لا يمكن إهمالها، ويستحيل الإستغناء عنها، فالطلبة لهم دور في المجتمع الجزائري الذي نحرته، سياسات التجهيل والأمية والبدع الدينية والخرافات.

وبالرغم من تأسيس L'UGEMA، فإن طلبة المشرق العربي ظلوا منضوين تحت رابطة الطلبة، ولعلمهم لم يباركوا الإتحاد لكونه منضوي تحت جبهة التحرير، بل كان معظم الطلبة الذين أسسوه ينتمون للجامعة الفرنسية، ووجود حساسيات بين الكتلتين الطلابيتين، مع

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص

63.

2- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص 242.

3- مقابلة مع السيد عبد القادر نور بتاريخ 20/02/2011 بالمكتبة الوطنية للحامة.

الفصل الثاني: ————— وضعية المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي وتأثيرها في تكوين الحركة الطلابية

الشعور بفكرة التفوق لدى طلبة الجامعة الفرنسية، تجاه زملائهم في الجامعات العربية، وهذه الإشكالية طرحها في العديد من المناسبات الدكتور عثمان سعدي.

3-3- الطلبة الجزائريون في سوريا:

أول بعثة طلابية إلى سوريا كانت عام 1952، وبعثت بها جمعية العلماء المسلمين. لكن كان هناك مشروعا ثقافيا لعبد الحميد ابن باديس، أراد فيه إرسال الطلبة والطالبات للدراسة هناك، وكانت أول بعثة طلابية للفتيات سنة 1938، لكن وفاته المبكرة حالت دون تحقيق هذا المشروع⁽¹⁾، البعثة كانت مكونة من عشرة (10) طلبة، حسب ما ذكرته جريدة البصائر، وذلك بغرض الدراسة بالسنة الأولى بدار المعلمين بدمشق، من بين هؤلاء محمد خمار، وحنفي بن عيسى، وآخرون.

إصطدم هؤلاء لطلبة ببعض المشاكل البيداغوجية والمادية والإجتماعية، لكن عامل إندلاع الثورة كان له الأثر الايجابي في تفعيل النشاط الطلابي، وفتح مكتب لجهة التحرير برئاسة عبد الحميد مهري، الداعي لتنظيم الطلبة الجزائريين، وترشيدهم وجمع صفوفهم خدمة للثورة التحريرية.

ووصف صالح بن القبي وهو أحد مؤسسي، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أن هذه المكاتب كانت أشبه ما تكون بجرعة الدواء للمريض⁽²⁾.

كوّن الطلبة تنظيما طلابيا أسموه "لجنة الطلبة الجزائريين" في شهر مارس 1955⁽³⁾ ، فقد سبق هذا التنظيم ، ميلاد الإتحاد العام للطلبة لمسلمين الجزائريين، الذي تأسس في جويلية 1955 وتعززت الثورة هناك، بإقامة مكتب لجهة التحرير بسوريا وأوكلت تسييره إلى عبد الحميد مهري، من أجل البحث في دعم ومساندة الثورة وتكليف النضال الطلابي مع مستجدات الثورة، بل أوجد فضاءات جديدة متمثلة في انفراد الثورة بجناح خاص، في معرض دمشق الدولي مارس 1958 و 1959، وزار أحد قادة الثورة وهو عبان رمضان المعرض ووقف عند جناح الجزائر⁽⁴⁾.

1- شهادة عثمان سعدي في ندوة التعليم الحرفي الجزائري ، متحف المجاهد ، يوم 23 جوان 1999.

2- مقابلة مع صالح بن القبي بتاريخ 2011/08/15 بمقر سكنه بحيدرة بالجزائر العاصمة.

3- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 96.

4- عبد الحميد مهري، "أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954"، مجلة المجاهد، عدد 1526، 3 نوفمبر 1989.

الإتجاهات الأيديولوجية للطلبة الجزائريين في سوريا كانت واضحة ومميزة، فالساحة السياسية السورية كانت تميزها، تيارات متعددة منها الناصريون و البعثيون والإسلاميون، وانعكس ذلك على أجنحة الطلبة من جهة، من جهة أخرى فإنّ جلّ التداعيات التي عرفتها الثورة، لم تكن بعيدة عن مسامع الطلبة، بعد فتح مكتب جبهة التحرير بدمشق، كما ذكرنا سابقا، من اسهامات الطلبة في تدعيم الثورة أنه تأسست، إذاعة صوت الجزائر التي كانت تبثّ من دمشق، مثلما كانت تبث من القاهرة، وكانا المجاهدين عبد الحميد مهري وأبو القاسم خمار، يقدمان الأخبار عن العديد من انتصارات الثورة التحريرية والتعريف بعدالتها⁽¹⁾.

يبدو أنه مع تأسيس رابطة الطلبة الجزائريين بسوريا، والمتكوّنة أغلبيتهم من طلبة جمعية العلماء، أوكلت جبهة التحرير تسيير مكتبها لعبد لحميد مهري، الذي سيجند هؤلاء الطلبة الموجودين في إصلاح هذه الرابطة، على حسب إيديولوجية الثورة وفلسفته، فبعثت في سنة 1958 محمد يعقوبي، لإحداث فرع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والذي أصبح هذا الإتحاد، وحدة قتالية تابعة لجبهة التحرير، وتمّ تشكيله بعد أن وجد معارضة من الطلبة القدامى.

لكن يبدو أن الفعل الثوري لجبهة التحرير، قد فرض نفسه على الطلبة الجزائريين في سوريا، رغم إقرار وزير الثقافة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأستاذ توفيق المدني، بتثبيت عمل هذا التنظيم الطلابي الجديد، وأصدر نشرة ثقافية تحت اسم الطالب الجزائري، اهتم فيها بنشر قضايا الطلبة الوطنية والثورية⁽²⁾.

1- نفس المرجع .

3- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص 266.

خلاصة :

قمنا من خلال هذا الفصل بمحاولة وصف وتحليل نشأة وتبلور الفكر الطلابي، بتناولنا للأوضاع الإجتماعية والثقافية، للمجتمع الجزائري أثناء الإستعمار الفرنسي، حيث بينا كيف أن السياسة التعليمية الفرنسية، كان لها انعكاس على الطلبة الجزائريين، وتسببت في انشطار المجتمع الجزائري وتهديم البنى الإجتماعية التقليدية، باعتبار التعليم الأداة والقناة التي تتم عبرها، عملية التفريغ والشحن وإعادة صياغة المجتمع، وفق المنظور الفرنسي الإستعماري.

كما أن الظروف الدولية كان لها مساهمة كبيرة، في تبلور الفكر الطلابي المناهض للإستعمار، والذي أفرز النخبة المثقفة وتوجهها إلى العمل الطلابي، برغم عاملي التجهيل والأمية، اللذين كانا ضاربيين بأطنابهما في زوايا المجتمع، واحتكاك هذه الفئة المتعلمة بالجامعة، والمكونات الفكرية والأيدولوجية التي شكّلت وجدان وأفكار الطلبة .

ومن خلال هذا الوضع تمكن النضال الطلابي، من التكون عبر تنظيمات طلابية مختلفة المشارب، ذات الوعي الوطني المجسّد للمشروع الوطني، من أجل بناء مؤسسات الدولة الجزائرية المستقبلية.

الفصل الثالث

بروز التوجهات الطلابية الجزائرية وتأثيرها
على المطالبة السياسية

تمهيد:

ظهرت في بداية القرن التاسع عشر انطلاقة فكرية ذات أبعاد وطنية عميقة، حمل أفكارها طلبة ومتفقون جزائريون عاشوا، ويلات الإستعمار الفرنسي بكل قساوته وظلمه للشعب الجزائري.

ومن هذا الواقع الإجتماعي الصعب، قرّر المتفقون والمتعلمون تغيير واقعهم واستبداله بواقع أفضل يتناسب ومقوماتهم الدينية والإجتماعية، فلا اللغة التي كانت تفرض عليهم، ولا المؤسسات الدينية المسيطرة على شيوخهم نابعة من أسس الإسلام. هذا الوضع دفع بالكثيرين إلى العمل السياسي والثوري لتحقيق الإستقلال، لكن في الواقع والمضطلع على التاريخ الجزائري الحديث يرى، بأن المشارب الأولى لهؤلاء الطلبة ولّدت لديهم توجهات مختلفة، أزمّت من العمل النضالي بدل تسهيله، هذه الاختلافات بدت ملامحها عند أول تأسيس فعلي لجمعيات طلابية مختلفة، فعلى الرغم من وحدة الهدف الأول وهو الإستقلال، إلا أن طبيعة التعامل أو كيفية ممارسة النضال الميداني، ولّد مجموعة من الصّدّات بين من رفض استعمال اللغة العربية، واعتبارها لا تتطور مع العصر الراهن، رغم دفاعه المستميت عن عروبة الجزائر واستقلالها، وبين من يعتبر التنازل عن اللغة العربية، هو تنازل عن أهم مقومات الإستقلال الوطني التام.

المبحث الأول: الحركة الطلابية في فرنسا وميلاد الفكر النضالي

1. الطالب الجزائري في الجامعات الفرنسية:

إن الإدارة الكولونiale الفرنسية رجّحت كفة عملها لنزع عامل المقاومة المستمرة، المتمثل في الحصانة الفكرية للجزائريين وتعلّقهم بمقومات شخصيتهم، ورأت أن ذلك لا يتأتّى إلا من خلال اقتلاع جذور مقومات الهوية الوطنية، المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية، والرصيد الكبير من العادات والتقاليد وقيم المجتمع، وكان ذلك سندا منيعا أمام الذوبان في المجال الثقافي الكولونالي، بل ورفضاً لمقاطعة المدرسة الفرنسية، وقد أشارت إلى ذلك إحدى المقاطعات لهذه المدرسة، بعدما عايشت الميز والمعاملة العنصرية لأبناء الجزائريين بقولها: "كنت أتساءل بعقلي الصغير لماذا يضطهدون أبناء العرب من قبل النصارى؟ ولماذا يظلمون ولا يحسابون كالأخرين؟ وقد أحدثت كثرة التساؤلات هذه إشمئزازا في نفسي وتحديا، على شكل اعتزاز بالكرامة، وبدأت بذور الكراهية تنمو، أخذوا بلادنا، إستعمرونا، أفقرونا، يجب مقاطعتهم، وبدأت أحسم خطوة أخذتها في حياتي، وكان موقفا لن أنساه، فقد قررت أن لا أدخل المدرسة الفرنسية رغم محاولة جدتي، ولكنني رفضت بكل شكل قراءة الفرنسية".⁽¹⁾

إن المجال الثقافي في الجزائر والذي تشكل من جديد، وبدت معالمه مع بداية القرن العشرين - نتيجة السياسة التعليمية لفرنسا الكولونiale-، حيث أضحت تتجاذبها، أي هذا المجال شرائح مختلفة من الجزائريين، فكانت هناك شريحة هامة من أبناء العائلات الجزائرية، قاطعت المدرسة الفرنسية خوفا من التنصير والفرنسة، بالمقابل هناك شريحة إجتماعية أخرى رحبت بها، بل وتوسّط لها آخرون من أجل تسجيل أبنائهم بها وكانت ترى هذه الشريحة، أن التعليم العربي وحفظ القرآن لا يصلح إلا لكتابة التمام، وقراءة القرآن الكريم على الجنائز والصلاة، فدعت هذه الجماعة إلى ضرورة دخول المدرسة الفرنسية والأخذ بمبادئها وتعلم علومها، فهي أداة للتوظيف والعمل والتقرب من المصالح الفرنسية من جهة، ومن جهة أخرى إبعاد الشكوك الفرنسية عن من ينتسب إليها⁽²⁾.

1- مزياني مدني لويذة ، مذكرات امرأة عاشت الثورة ، منشورات دحلب، الجزائر، ط1، 1996، ص 9.

2- عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962، مشارب ثقافية وإيديولوجية ، مرجع سابق ، ص 66.

إعتبر الرابط الثقافي من المقومات الأساسية، الذي عمّق من التضامن المعنوي بين فئات الطلبة الجزائريين، الذين كانوا يشعرون بالميز العنصري الإستعماري، وتبلور هذا الوازع المعنوي خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ومشاركة الشباب الجزائري فيها، ومن تمّ تشكل النضال الطلابي بصفة رسمية سنة 1918⁽¹⁾، وتجسّد في التنظيمات المختلفة التي يمكن أن نقسمها، إلى فئتين هامتين فئة المفرنسين ، وفئة المعريين.

فئة الطلبة الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، أسسوا حركة طلابية وسط الجامعة الفرنسية، وكانت قريبة نوعا ما من تفكيرها وتوجهاتها مع خط المدرسة الفرنسية ومتأثرة بالحضارة الغربية، ونقصد هنا بالطلبة الذين كانوا يدرسون، في الجامعة الفرنسية سواء في الجزائر أو في فرنسا، ولو أن عديدا من هؤلاء الطلبة تطور تطورا إيجابيا، اتجاه القضية الجزائرية بتطور الأحداث، مع العلم أننا فضلنا في هذا البحث، أن نعالج موضوع الطلبة كموضوع متكامل، ولم نعتمد على دراسة كل تنظيم لوحده، حتى لا ندخل في الكثير من الحسابات، لأن الموضوع في غنى عنه، ومن هذه التشكيلات الطلابية الأساسية.

2. الجمعية الودادية للطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية (AEMAN) :

لم تكن شريحة الطلبة بمنأى عن الممارسات الإستعمارية ، الهادفة إلى تهميش وتحطيم المجتمع الجزائري، وفي هذا الإطار تعرض الطلبة إلى أشكال كثيرة من الإقصاء والتهميش المتعمّد، والتسلّط الإداري الهادف إلى تثبيط الهمم، إلا أن هذه الممارسات اعتبرها الطالب الجزائري حافزا لمواصلة التعلّم، وكان دافع للتفكير في تأسيس تنظيم طلابي جزائري خاص به، بعد أن قامت الجمعية العامة للطلبة الجزائريين (AGEA) المؤسسة سنة 1885، بطرد الطلبة الجزائريين المسلمين من صفوفها⁽²⁾، فكان ردّ مجموعة من الطلبة الجزائريين تأسيس وداوية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية (AEMAN)، التي ورد في ديباجة مختلف قوانينها، ومراسلاتها أنها تأسست سنة 1918⁽³⁾، أما ميلادها رسميا فكان بتاريخ 18 مارس 1919 بالجزائر العاصمة، وأعلن عنها في الجريدة الرسمية يوم: 15 أبريل 1919⁽⁴⁾.

1- نفس المرجع ، ص 74.

2- غي برفيلي ، النخبة الجزائرية الفرنكفونية 1880-1962 ، المرجع السابق ، ص 42.

3 - Archives de la wilaya d'Alger-A.E.M.N.A 1919-1956 N : 1212/668. أنظر أيضا الملحق

رقم (2)

4 - Ibid.

حسب المادة لأولى من قانوننا الأساسي، فإن مقرها الإجتماعي كان رقم : 02 نهج المسبكة (La fonderie) بالعاصمة⁽¹⁾، ثم تحوّل هذا المقر في فترات لاحقة إلى عدة أماكن، أعضاء الأمانة العامة للودادية هم:

بلقاسم بن حبيلس، (رئيسا) وهو طالب في الحقوق، الهادي بن سماية نائبا للرئيس (طالب في العلوم)، الجيلالي بن تامي كاتب الجمعية (طالب في الطب)، عليوة مداني كاتب مساعدا (طالب في الطب)، محمد بومالي أمينا للمال، (طالب في الطب)، منصور عبد الله مكلفا بالمكتبة (طالب في الطب)⁽²⁾.

الجمعية بدأت ذات صبغة تعاونية تضامنية تطورت بعد ذلك إلى ثقافية ورياضية⁽³⁾، تهدف إلى تجميع الطلبة وتسهيل دراستهم، عن طريق الدعم المادي والمعنوي، ثم تطورت أهدافها لتصبح على النحو التالي:

أ- عقد ندوات وفتح مجالات للنقاش حول مختلف المحاور، التي يرى هؤلاء أنها ضرورية.

ب- منح إعانات وقروض للطلبة المحتاجين، كما كانت تمنح للطلبة تسبيقات على المنحة تدفع عند استلام هذه المنحة⁽⁴⁾.

ت- تأسيس مكتبة لمساعدة الطلبة في تحضير، مذكراتهم وبحوثهم أو للتثقيف العام.
ث- تأسيس ناد خاص بالجمعية، وقد عمل السيد فرحات عباس⁽⁵⁾، منذ سنة 1926، على اقتناء محل استنطاع بنضاله أن يؤسس ناد خاص به، هو نادي الطالب المسلم ومطعمه الذي كان مقره ساحة لالير، وقد أصبح المقر الاجتماعي للجمعية ودشن سنة 1946⁽⁶⁾.

1- القانون الأساسي للجمعية الذي كان بتاريخ : 1919/03/18

2- القانون الأساسي للجمعية، أنظر الملحق رقم (2) .

3- القانون الأساسي بتاريخ : 1944/12/17 وكذا قانون 1955/12/04 أنظر الملحق رقم (3)

4- القانون الأساسي للجمعية: 1955/12/04

5- ولد فرحات عباس سنة 1899 بولاية جيجل ، زوال تعليمه العالي بجامعة الجزائر، أصبح رئيسا لجمعية لطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية سنة 1927، ساهم بقسط وافر في النشاط الطلابي إلى أن تخرج من الجامعة سنة 1932، كان صحفيا، انخرط في العمل السياسي في إطار التيار الاندماجي المساواتي، انضم إلى ثورة التحرير سنة 1956، أصبح رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وافته المنية في ديسمبر 1985.

6- غي برفيلي، نفس المرجع، ص 41.

ج- إصدار دورية تعتبر لسان حال الجمعية⁽¹⁾، وضمن هذا الإطار أسست مجلة التلميذ⁽²⁾.

ح- تنظيم تظاهرات ثقافية شارك فيها الطلبة، وخاصة الحفلات الموسيقية التي تبرز التراث الجزائري⁽³⁾، بالإضافة إلى العروض المسرحية، التي لها الفضل الكبير في تأسيس المسرح العربي الجزائري، حسب ما أورده محي الدين باش تارزي⁽⁴⁾.

السؤال المطروح هل كان نشاط الجمعية، مقتصرًا على الجانب الاجتماعي الثقافي والرياضي أم تعداه إلى العمل السياسي؟ ويؤكد في كل مرة طابعها التعاوني الطلابي، إلا أن المتتبع لتطورها يلاحظ عكس ذلك، فهي وإن احتفظت خلال هذه المرحلة قيد الدراسة بطابعها النقابي، إلا أنها منذ سنة 1931 بدأت تخط لنفسها نهجا يقربها أكثر، من الظروف العامة التي كانت تشهدها الجزائر، حيث أصبحت حسب بعض الكتاب، لا تتردد في إظهار استعدادها لتولي مصير بلادها، وكانت طريقة هذه الجمعية هو إثارة الرأي العام، وعقد الاجتماعات وإقامة المظاهرات، وإرسال برقيات احتجاج إلى باريس، ولكن لا يظهر أعضاءه العداوة لفرنسا، بل يعلنون أنهم أصدقاءها الحقيقيين⁽⁵⁾.

لهذا نجدها تحولت من وداية إلى جمعية سنة 1931، حتى تصبح متساوية مع الجمعية العامة لطلبة الجزائر (AGEA)، التي عملت على إقناع المسؤولين على الجمعية لحلها وتوحيد كل الطلبة، بغض النظر عن انتماءاتهم ضمن تنظيم طلابي واحد، وهو ما رفضه فرحات عباس رئيس الجمعية، هذا التصرف رفضته مجلة الجزائر لسان حال الجمعية، وظلت لمدة سنين تطلق اسم الودادية على الجمعية.

نفس الشيء فيما يخص مجلة التلميذ الذي أصدرها فرحات عباس، فقد حاولت الجمعية العامة لطلبة الجزائر دمجها مع مجلة الجزائر، إلا أن فرحات عباس رفض ذلك.

1- القانون الأساسي للجمعية 1919/03/18 أنظر الملحق رقم (2) Archives de la wilaya d'Alger, Ibid
2- ظهرت مجلة التلميذ سنة 1931 كانت لسان حال ج، ط، م، أ، ش AEMAN وهي مزدوجة اللغة، مقرها نادي الترقى كانت تطبع بالمطبعة العربية لأبي اليقضان، وهي مجلة شهرية نقدية للمزيد من الإطلاع أنظر: محمد ناصر بوحجام، الصحف العربية الجزائرية من: 1847 إلى 1939، ش، و، ن، ت الجزائر 1980، ص ص 116-118. أنظر أيضا الملحق رقم (4) .

3 - Mehiéddine Bachetarzi , **Mémoires**, SNED. Alger, 1968,P.26.

4 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945**، ج 3، معهد البحوث و الدراسات العربية، مصر، 1975. ص 114.

5- غي برفيلي، **نفس المرجع**، ص ص 92-93.

يقول في هذا الشأن: "...إن مجلة التلميذ كان هدفها تنوير شريحة الطلبة، ومن ورائهم المجتمع الجزائري المسلم، كما أوضح أن سياسة الإقصاء التي عرفها الطالب الجزائري المسلم، هي التي كانت وراء لجوء الطلبة المسلمين، إلى تأسيس⁽¹⁾ جمعية خاصة بهم، ليؤكد في الأخير على حق الطلبة في الحفاظ، على مقوماتهم أي مقومات شخصيتهم .

وأصبحت جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا تعمل على الجهتين، إذ أبقت من جهة على عضويتها في الاتحاد العام للطلبة الفرنسيين، ومن جهة أخرى بدأت تتسق مع جمعية طلبة مسلمي إفريقيا الشمالية، التي تتصف بميولاتها الوطنية من خلال المشاركة في المؤتمرات، بل إن فكرة تنظيم المؤتمرات اقترحها فرحات عباس على "ج، ط، ش، إ، م"، عندما كان في زيارة إلى باريس، وأقنع مكتبها بأهمية هذه المؤتمرات⁽²⁾.

تتبلور فكرة جمعية طلبة مسلمي إفريقيا الشمالية في سنة 1931، عند انعقاد المؤتمر الأول بتونس، إذ ظهرت فيه التوجهات الوطنية للجمعية، من ذلك تلك الجملة التي قالها فرحات عباس للدكتور بن ميلاد، عند ظهور الباي من على شرفة قصره، والفرقة الموسيقية تعزف النشيد الوطني التونسي تحية للعلم، حيث أسرّ فرحات عباس بما يلي: "دعوا الدموع تتكلم"، ثم التفت إلى بن ميلاد قائلاً: "أنتم على الأقل عندكم علما"⁽³⁾.

ألقي فرحات عباس خطاب الافتتاح في هذا المؤتمر، وهو رئيس لجمعية طلبة مسلمي شمال أفريقيا "ج.ط.م.ش.إ"، وكان متحفظاً سياسياً، كان حذراً في خطابه، لكن المحلل لهذا الخطاب بعمق، يلاحظ تبلور مواقف هامة منها، موقفه من اللغة العربية، إذا إعتذر عن عدم استطاعته التكلم بها، موضحاً أن مردّ ذلك راجع إلى ظروف معروفة⁽⁴⁾، كما عبّر عن فرحه ببقاء تونس محافظة على عروبته وإسلامها، وحث المؤتمرين على ضرورة البحث عن آليات لتطوير المغرب العربي وإعادته إلى رقيّه وتقدمه⁽⁵⁾.

جاء خطابه على نفس المنوال، و الذي ألقاه في المؤتمر الثاني المنعقد بالجزائر سنة 1932م، إذ تكلم باعتباره الرئيس الشرفي لـ (ج، ط، م، إ، ش AEMAN)، وقد اتصف

1 - Charles Robert Ageron, " **Association des étudiants Musulmans Nord-africains en France l'entre deux guerres**" in, revue française d'histoire contemporaine (1983) N°8, 23 Juillet 1985, P 33.

2 - **ibid**, P 50

3- ج، ط، ش، إ، م - **محاضر مؤتمر 1931** - المطبعة الأصلية، تونس 1931، ص 09 أنظر ملحق رقم(3).

4- **نفس المرجع**.

5- غي برفيلي، **نفس المرجع**، ص ص 104-105.

الخطاب بعدم وضوح التعبير، عن بعض القضايا خاصة المسألة الوطنية، وكان هذا بسبب الخوف دائما الاضطدام بالسلطات الكولونيالية، التي كانت تراقب الطلبة، جعله يؤكد دائما أن المؤتمر لم يخرج عن إطاره النقابي التعاوني، رغم تحذير بعض العناصر من عقد هذه المؤتمرات.

- من سنة 1931 إلى 1943 انخرطت الجمعية في العمل السياسي لكن بحذر شديد، حيث ابتداء من سنة 1934، زاد انخراط الجمعية في الحركة الوطنية وأصبحت أكثر راديكالية، فساهمت بقسط كبير في الحركة المطالبة التي عرفتها الجزائر، خلال هذه الفترة التي تلت سنة 1943، إذ ساهم رئيسها الجديد محمد الحاج حمامي، كعضو في لجنة صياغة بيان فيفري 1943م، ثم أصبح عضوا في اللجنة المديرة لحركة " أحباب البيان والحرية "، وهو ما سبّب له الاعتقال يوم 09 ماي 1945⁽¹⁾.

سنة 1944م أصبح شوقي مصطفى رئيسا لـ (ج.ط.م.إ.ش)، وكان مناضلا نشيطا في حزب الشعب، وساهم في توجه الطلبة نحو هذا الحزب بأفكاره الوطنية ومطالبه الإستقلالية، وهو ما أحدث القطيعة مع الجمعيات العامة الفرنسية، وكان لاستحواذ حزب الشعب على هذه الجمعية أثرا واضحا، إذ عدّلت من قوانينها من أجل توسيع مجالات النشاط، وقد أدى بها ذلك إلى تأليب الإدارة الاستعمارية عليها، ومنع الترخيص لهذه الجمعية بالقيام بنشاطات ثقافية، واحتفالات خيرية لمساعدة لطلبة، وكان ذلك سنة 1948م⁽²⁾.

هذا ما جعل الجمعية تعقد اجتماعا بمقرها، حضره العديد من ممثلي الأحزاب الوطنية، (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية - الحزب الشيوعي - النقابة الإسلامية - جمعية النساء المسلمات)، العديد من الجمعيات الأخرى، أصدروا بيانا نددوا فيه بهذه التصرفات، وطالبوا السلطات الفرنسية الرجوع عن قراراتها.

لكن الإدارة الاستعمارية قامت بمحاصرة مقر الجمعية⁽³⁾، ووصل الأمر إلى درجة القبض على مجموعة من الطلبة وزجت بهم في السجون، فعادت الجمعية مرة ثانية النشاط،

1- حركة أحباب البيان والحرية عبارة عن جمعية سياسية، شكّلها أصدقاء فرحات عباس وحزب الشعب والعلماء خلال سنتي 1944/1945، أنظر المقابلة رقم (3): le hasard et l'histoire، Mahfoud bennoune et Ali El Kenz، entretien avec Belaid Abdesselam، P 261.

2- غي برفيلي، نفس المرجع، ص 106

3- نفس المرجع، ص 107.

بدعم من الأحزاب الوطنية، والتحرك للمطالبة بالإفراج عن الموقوفين الذين دخلوا في إضراب عن الطعام.

خلال الخمسينات وعند تفجير ثورة 1954، لم تكن الجمعية بمنأى عن ذلك، بل إنضوت تحت لواء جبهة التحرير الوطني حتى سنة 1955، تاريخ تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

يبدو أن المراحل متداخلة، فالحركة الطلابية متعددة الفروع وتنظيماتها مختلفة ومتنوعة، بفروعها التي تتأسس هنا وهناك، فأحيانا هناك جمعية تتأسس في الجزائر، تتبعها ظهور جمعيات فرعية في عدة ولايات من الجزائر، وأحيانا أخرى هناك جمعيات تتأسس حسب عدد الطلبة الموجودين، في جامعة معينة أو كلية معينة، كما سنرى لاحقا.

3. جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا (AEMNA)

أ - التأسيس والأهداف:

يبدو أن الجمعية الودادية التي تأسست في جامعة الجزائر، لم ترق إلى استقطاب جميع الطلبة الجزائريين، الذين كانوا يزاولون دراستهم في الجامعات الفرنسية، ومن ذلك الحين فكرت هذه المجموعة من الطلبة، على غرار زملائها في جامعة الجزائر، بضرورة تشكيل تنظيم خاص بهم، يجمع شمل طلبة أقطار المغرب العربي، وكانت لفرحات عباس مراسلات مع محافظ العاصمة، بغية عقد اجتماعات خاصة بالطلبة⁽¹⁾.

في شهر ديسمبر 1927 تأسست في باريس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين⁽²⁾، وقد ضمت هذه الجمعية جمعا كبيرا، من طلبة جامعة باريس وضواحيها، كما حضر المؤتمر التأسيسي الطلابي لدول المغرب العربي، بعض زعماء من المغرب العربي، واحتضن قصر التعاون « Mutualité » بباريس المؤتمر، بحضور فرحات عباس ممثلا طلبة الجزائر، وصالح بن يوسف⁽³⁾ ممثل طلبة تونس، وعلال الفاسي ممثلا عن طلبة المغرب الأقصى⁽¹⁾.

1- غي برفيلي، نفس المرجع، ص 56 .

2- مجلة المجاهد، العدد 74، 8 أوت 1960. أنظر الملحق رقم (2) .

3- صالح بن يوسف: أحد أقطاب الحزب الدستوري الجديد وهو من المقربين للحبيب بورقيبة، ويعد من الدعاة إلى عقد مؤتمر وطني بتونس سنة 1948، في غياب بورقيبة الذي كان في القاهرة، ومن النتائج لتي خرج بها هذا المؤتمر الإعلان

الجمعية سارت على مبادئ الودادية، فلم تكشف من خلال قانونها الأساسي (2) ، عن الخوض في قضايا السياسة، بل ذكرت أنها جمعية طلابية أهدافها.

- توحيد طلبة شمال أفريقيا والدفاع عنه ماديا ومعنويا.
 - تأسيس ناد ومكتبة.
 - إصدار مجلة لسان حال الجمعية باللغتين العربية والفرنسية.
 - تسهيل إقامة الطلبة بفرنسا و مدهم بإعانات وقروض وإنشاء دار لإسكانهم.
 - إذن الغاية من تأسيس الجمعية هو لم شتات الطلبة وتمتين الروابط بينهم.
- زيادة على أنها تعمل على استقبال قدماء الطلبة ومشاهير المغرب العربي، والتكفل بهم حتى تتم عملية التلاحم بين الأجيال (3) ، وتشجيع الطلبة على تبادل الرسائل بينهم، حتى يتم التعارف بينهم ويستفيدون من خبرات بعضهم (4).
- وتقوم الجمعية على بث روح العلم لدى الطلبة، عن طريق تزويدهم بالكتب، وعن طريق إقامة منابر للنقاش كالندوات والمسامرات (5).

ب-مجالات النشاط واهتمامات الجمعية:

الجمعية خاضت في قضايا هامة، وتجلت ذلك خلال رئاسة أحمد بلا فريج للجمعية عام 1930/02/28، عبّر هذا الأخير عن ضرورة طرد المتجنسين، من طلبة المغرب العربي من صفوف الجمعية، لأن الجمعية أهلية والمتجنسون فرنسيون، وجمعية الطلبة ذات طابع إسلامي، وهذا يتناقض مع الذين قبلوا بسياسة الإدماج، والتخلي عن أحوالهم الشخصية (6).

عن سقوط الحماية الفرنسية ، وضم تونس للجامعة العربية ، وبعد استقلال تونس وقع سوء تفاهم بين بورقيبة وصالح بن يوسف ، فاختار المنفى هذا الأخير، واغتيل في مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية عام 1961، للمزيد أنظر:

Ibrahim tobale, ou va la Tunisie – in : revue afrique- asie-,Mars Avril-1986

1- علال الفاسي شخصية مغربية لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية في المغرب الأقصى، كانت له أفكار طموحة لخدمة قضايا المغرب العربي، وشارك في مؤتمرات وتنظيمات وحدوية، من أهمها مؤتمر طنجة من 27 إلى 30 أبريل 1958، وأبرز خلالها ضرورة وحدة أقطار المغرب العربي الثلاث ، للمزيد أنظر: محمد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم – المجلد ، 10 مطبعة فضالة المحمدية 1985، ص 317.

أنظر الملحق رقم (3) . ANT.SERIE E-CARTON 544. Dos 27 - 2

3 -ANT Opcit. FOL 41 et aussi AQO op.cit., FOL 116 INISHMN

4- جمعية طلبة شمال إفريقيا ، النشرة السنوية لعام 1928-1929، مطبعة الاتحاد ، تونس 1933-ص03

5 - و . ج . ط . ش . إ . م نفس المصدر، ص 15.

1- ج . ط . ش . إ . م " ، نفس المصدر ، ص 16 .

خلال المرحلة الأولى لتأسيس الجمعية كان عدد الطلبة الجزائريين قليلا، لأن بعضهم كان متجنسا، والبعض الآخر منحت له الإدارة الفرنسية منحة دراسية، وهذا عكس الطلبة المغاربة والتونسيين الذين كان نشاطهم أوسع، وخصوصا الطلبة التونسيين، وقد بلغ عددهم وقتها 180 طالبا، وحوالي 15 طالبا مغربيا، وكانوا ينتمون إلى عائلات ثرية وحتى سياسية بعد ميلاد حركة الشباب التونسي.⁽¹⁾

إهتمت الجمعية بقضايا الفكر والثقافة، وأدرجت العديد من القضايا الإجتماعية والدينية والعقائدية.

حيث أولت الجمعية اهتمامها بإحياء المناسبات الدينية، خاصة عيدي الفطر والأضحى وهذا ابتداء من سنة 1928، وابتداء من سنة 1931 أصبحت الجمعية تضحي عن طلبة المغرب العربي، إذ صبحت تشتري الأضحية وتدعو إلى مآدبته الطلبة⁽²⁾.

كانت شعائر العيد تقام بالجمعية، وقد هدفت من وراء ذلك إلى الحفاظ على انتماء الطالب وحرصه على أداء واجباته الدينية، وبث في النفوس تلك العاطفة الطيبة، وبالتالي يبقى محافظا على كل عاداته فيشعر، بالرابطة التي تجمعها مع بقية شعبه، خصوصا وهو بعيد عنه⁽³⁾، وعليه فإن ممارسة الشعائر من طلبة غربيين عن ديارهم، هو وسيلة تساعدهم على الاحتفاظ بمقوماتهم الشخصية، وخصوصيتهم في مجتمع غريب⁽⁴⁾.

إهتمت الجمعية بإحياء التراث العربي الإسلامي، وقضية المرأة التي ظلت مهمة في ظل قوانين استعمارية تعسفية، وتجسد ذلك في انشغالات الطلبة خلال المؤتمرات السنوية، التي كانت تعقد في إحدى مدن المغرب العربي في كل سنة، بعض الباحثين ذهبوا إلى القول أن جمعية الطلبة، اعتبرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انتصارا لمبادئها

1- لقد تزعم الأمير خالد حركة إصلاحية هامة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وجملة مطالبه المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وقد عارض بذلك خصومه السياسيين، أمثال بن التهامي وجماعته، وبذلك أبطل الأمير خالد أسطورة مبدأ التجنس وترك الأحوال لشخصية، ومن دون شك أن طلبة شمال إفريقيا قد أخذوا بهذا التوجه الإصلاحية، للمزيد راجع: L'émir Khaled- la situation des musulmans d'Algérie, Alger 1924-P 69.

2 - Paul Catrice , **Etudiants musulmans en France et en terre d'islam**, N° 54 ,Mai/ juin 1932-P 178.

3 - Guy Pervillé , **ibid** , P 58 .

4- غي برفيلي، **نفس المرجع**، ص 68

الإصلاحية، وذلك ما نصّت عليه مبادئ وأسس الجمعية، في قوانينها ومواثيقه الداخلية، إذ أنها جمعية جاءت لخدمة مقومات الشخصية العربية الإسلامية⁽¹⁾.

ولعلّ ذلك ما أكده فرحات عباس بقوله: " وقد واجهتنا في هذا المجال مشاكل عديدة، مثل مشكلة المحافظة على الثقافة واللغة العربية، ومشكلة توجيه الطلبة وتخصّصهم الدراسي..."⁽²⁾ هذا من جهة، وما كان يعانيه الطلبة الجزائريين، من ضغوط إستعمارية ضد التيار الأصيل، الذي لاحت أفاقه بين أوساط الطلبة من جهة أخرى، وكانت جلّ التخصصات تقتصر على المهن الحرة، لأن الإدارة لم تسمح للطلبة المتخرجين بتولي الوظائف ونحوها، وتذكر بعض الدراسات أن فرحات عباس تولى رئاسة الجمعية وعمره لا يتجاوز 27 سنة⁽³⁾.

إهتمت الجمعية أيضا بتنظيم محاضرات ومسامرات، مساهمة منها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، ونشر التاريخ القومي بين أفراد الجمعية⁽⁴⁾.

ج- مؤتمرات الجمعية:

1- **المؤتمر الأول:** انعقد بتونس في أوت 1931 بقاعة الخلدونية⁽⁵⁾، وكان الهدف منه هو: " تسهيل سبل التعاون بين كافة طلبة الأقطار الثلاثة، وتمتين روابط الأخوة لتتحد الثقافة، وتتفق الآراء حول هدف واحد لإنجاح كل الأعمال"، وترأسه السيد عبد الرحمان الكعاك رئيس الخلدونية⁽⁶⁾، وشارك فيه عن الجزائر وفد طلابي هام، متكوّن من سبعة أشخاص أشخاص برئاسة السيد فرحات عباس.

2- **إنعقد المؤتمر الثاني للجمعية أيام:** 25-26 و 27-28 أوت 1932، وحضره وفد من تونس ويرأسه السيد المنجي سليم، برفقة تسعة أعضاء آخرين⁽⁷⁾، وكذلك وفد عن

1- لقد أبرز ذلك فرحات عباس في إحدى افتتاحيات مجلة التلميذ، للمزيد أنظر الملحق رقم (4)

2- **مجلة المجاهد**، العدد 74، الموافق ل 8 أوت 1960-

3 - Benjamin Stora et Zakiya Daoud, **Farhat Abbas une autre Algérie**, Edition casbah 1995-P41.

4- نشرية الجمعية سنة 1931-1932، مطبعة الإتحاد تونس 1932، ص 08.

5- مختار العياشي، **البيئة الزيتونية (1900-1945)**، ترجمة: حمادي الساطي، دار النشر، تونس، 1990، ص 139.

6- نشرة أعمال الجمعية لعامي 31-1932، ص 42

7- الأعضاء المتكون منهم الوفد التونسي: على البلهوان، أحمد بن ميلاد، محمد الصالح النيفر، محمد الصالح الموحد، حسان داوود، محمد المعلولي، صادق المعلولي، الحبيب تامر.

المغرب يرأسه السيد عبد الخالق الطريس، رفقة عبد الوهاب الشرايبي (عن فاس) ،
ومحمد بنونة (عن المنطقة السلطانية)⁽¹⁾.

3- **المؤتمر الثالث:** كان من المقرر عقده بالمغرب الأقصى، لكنه تمّ بباريس، بعد أن
منعت السلطات الفرنسية إجراءه، في المغرب خلال شهر سبتمبر 1933، لكن و بعد
هذا التاريخ ببضعة أشهر، انعقد هذا المؤتمر في قاعة " الميثويالتي" بباريس، ولم
يحضره مندوبين من تونس، لأن السلطات منعتهم من التحول إلى فرنسا⁽²⁾ وكان ذلك
في الفترة من 26 على 29 سبتمبر 1933، وأشرف على رئاسته محمد الفاسي، وعهد
بكتابته إلى الحبيب تامر، أما الهيئة التنظيمية للمؤتمر فتولاها فرحات عباس، وعبد
الرحمان ياسين وصالح بن يوسف، وأحمد بلا فريج⁽³⁾.

تميز هذا المؤتمر بحضور وفد عن حزب نجم شمال إفريقيا، رئيسه مصالي الحاج
وبعض أعضاء المكتب، كما حضره أيضا الأستاذ علاّ الفاسي، الذي كان منفيا
بباريس إثر حوادث جامع القرويين.

4- **المؤتمر الرابع:** كان في شهر أكتوبر 1934، وذلك بقاعة المطالعة بالخلدونية، بتونس،
وافتح المؤتمر أعمالهم يوم 02 أكتوبر⁽⁴⁾.

5- **المؤتمر الخامس للجمعية:** عقد بالجزائر، تحديدا بتلمسان في الفترة الممتدة من 06 إلى
15 سبتمبر 1935، وحضره وفد من تونس، وآخر من المغرب، تمّ افتتاحه من طرف
الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث استقبله الحاضرين بالتصفيق، فخطب فيهم بارتجال
وحماسة⁽⁵⁾.

بعد أيام من العمل تواصل المؤتمر على الالتقاء بفاس في المؤتمر السادس، وعينت
لجنة خاصة ترأسها السيد محمد بن عبد الله، واقترح السيد عبد الخالق الطريس برنامجا
لهذا المؤتمر، ومما تضمنه ربط الصلة بين الأفطار الثلاثة، وبين البلاد العربية

1 - Desparmet (J) , « le 11^{ème} congrès des étudiants musulmans nord africains » **Revue
Afrique française**, N° 10, Octobre 1932.

2- مختار العياشي، **البيئة الزيتونية 1900-1945** ، مرجع سابق، ص 140.

3- نشرة أعمال المؤتمر الثالث لطلبة شمال إفريقيا ، باريس ، 1933 ، تونس، مطبعة الإتحاد ، ص 17. أنظر أيضا
الملحق رقم (3) .

4- **نفس المرجع** ، ص 140.

5 - Desparmet (J) , **ibid**, N° 12, Décembre 1935.

الإسلامية⁽¹⁾، ولقد جاء في بيان اللجنة التحضيرية، أن المؤتمر سينعقد ابتداء من 07 سبتمبر 1936، إلى غاية 12 سبتمبر 1936⁽²⁾.

لكن السلطات الفرنسية جاءت مرة أخرى لتمنع انعقاد هذا المؤتمر بفاس، وإثرها أصدرت اللجنة بيانا مطولا، بيّنت فيه عراقيل سلطات الاحتلال، ونتائج لقاءاتها مع الإقامة العامة، التي وصلت إلى منع المؤتمر⁽³⁾.

في نفس الوقت سعت اللجنة إلى عقد المؤتمر، في المنطقة الاسبانية واقترح عقده بتيطوان، وسعى لدى الحكومة الاسبانية التي وافقت على الطلب، وتم انعقاد المؤتمر بتاريخ 21 و 27 أكتوبر 1936، بحضور المغاربة لكن بغياب الوفدين الجزائري والتونسي، حيث منعا من طرف الإدارة الإستعمارية⁽⁴⁾.

وخلال هذه السنة نظمت الجمعية حفلا افتتاح السنة الدراسية، وذلك يوم 15 نوفمبر 1936 بناديها باريس، وحضره عدد كبير من الطلبة، وخطب خلاله الشاب الحبيب تامر نيابة عن الرئيس المنجي سليم، فذكر الحاضرين بمبادئ الجمعية وأهدافها⁽⁵⁾.

6- **المؤتمر السابع للجمعية:** إنعقد يوم 25 سبتمبر 1937 بتونس، بحضور الطلبة التونسيين فقط⁽⁶⁾.

نلاحظ أنه منذ انعقاد المؤتمر الخامس، لم تستطع "ج. ط. ش. أ. م"، عقد أي مؤتمر آخر على الصعيد المغربي، بسبب معارضة السلطات الكولونيالية الفرنسية، وبسبب قيام الحرب العالمية الثانية، حيث عرفت هذه الجمعية نوعا من الجمود، حاول بعض العناصر تنشيطها من جديد، فتأسس سنة 1943 مكتبا، التمس الحصول على رخصة استثنائية تسمح له باستئناف نشاطاته، وفق قانون الجمعية وفي إطار ما يقتضيه، قرار السلطات الألمانية الصادر بتاريخ 28 أوت 1940.

1- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، ط3، 1976، ص 36.

2- جريدة البصائر، العدد 32، السنة الأولى، الجمعة، 10 جمادى الثاني 1355 هـ الموافق ل 28 أوت 1936م، ص 08 واشتمل البيان عن برنامج المؤتمر. أنظر أيضا الملحق رقم (3).

3- جريدة البصائر، العدد 35/، 02 رجب 1355 هـ الموافق ل 18 سبتمبر 1936، ص 01.

4- حكيم بن عزوز، وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج 1، تيطوان، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، ط2، 1980، ص ص 40-41.

5- جريدة الأمة، العدد 101، السنة الثانية، الثلاثاء 23 رمضان 1355، الموافق ليوم 08 ديسمبر 1936م، ص 03.

6- أنظر الملحق رقم (5).

يظهر لنا ممّا سبق ذكره أن الطلبة الجزائريين، قد شاركوا وبشكل واضح وفعال، في نشاطات هذه الجمعية ومنذ تأسيسها، وعبر كامل مراحل عملها، وكانوا من روادها⁽¹⁾، مما جعلها تكتسب خبرة واسعة ستساعدها عقب التحول الكبير، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وحوادث 8 ماي 1945، أين شهدت الحركة الطلابية الجزائرية تغيرا في سياساتها وأهدافها، ومواقفها تجاه الاستعمار، والجدير بالذكر أن الحركة الطلابية لم تكن بمعزل، عن نشاطات الحركة الوطنية عامة بمختلف تشكيلاتها، بل ستكون بمثابة الخزان الممّون لتشكيلاتها بالطاقات البشرية النشطة والشابة .

4. جمعية الطلبة الجزائريين بفرنسا (AEMAF):

إن الطلبة الجزائريين الذين يدرسون، في الجامعات الفرنسية بفرنسا ويحملون الجنسية الفرنسية، والتجنيس هذا معناه أن أغليبيتهم ارتموا في أحضان استلاب الحضارة الغربية والذين انسلخوا عن كيانهم الأصلي، كل ذلك أدى بالضرورة إلى توسيع الهوية بين طلبة الإنتماء العربي الإسلامي، والمتفتحين على الثقافة العربية، والطلبة المتجنسين الذين أسندوا الرئاسة الشرفية للسيد موريس فيوليت، ونيابة الرئاسة لعمار نارون⁽²⁾ "Naroun Amar"، الذي تجنس وأصبح كاثوليكيًا، هذا التنظيم الطلابي مدعّمًا من طرف الإدارة الفرنسية، فتحت له كل التسهيلات المادية والمعنوية، بدليل حصول الطلبة على ناد ثقافي خاص بهم بباريس⁽³⁾.

وجد هذا الجناح الذي اعتنق المسيحية بدلا من الإسلام، وأخذ بالجنسية الفرنسية الكثير من التسهيلات، وساهم بعض الطلبة في خدمة هذا التوجه، ومنهم الطالب المرتدّ المدعو "حنفي لحمك"، الذي طعن في الإسلام ودعا إلى الإدماج، وأشاد بالتوجه اللائكي، أسندته في ذلك جمعية المعلمين الأهالي، وبعض الطلبة المتواجدين في باريس من منطقة بلاد القبائل، قدّرتهم المصادر الفرنسية ب 35 طالبا⁽⁴⁾.

لم يتوقف نشاط هذه الشريحة الطلابية عند هذا الحد، بل أشركت في نشاطها الطلبة الفرنسيين المقيمين في الجزائر، وظهرت أسماء لخدمة هذا التوجه الميسحي الإدماجي،

1- مختار العياشي، البينة الزيتونية 1900-1945، ص 141.

3- عبد الله حمادي، نفس المرجع، ص 47.

3 - جريدة الأمة، العدد 87، السنة الثانية، الموافق ل 25 أوت 1936.

منها مثلا أغسطين إيبيريزن واختار المذهب المسيحي⁽¹⁾ ، وأسس ما يعرف بالجمعية الفرنسية لطلاب شمال إفريقيا (A.F.E.N.A)⁽²⁾، التي تضم أعدادا من الطلبة بغض النظر عن مشاربهم الدينية والسياسية.

5. الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بباريس (UGEAP):

تأسس هذا التنظيم الطلابي في شهر ديسمبر 1953 بباريس، وكان قد انضم له كل الشرائح الطلابية الفرنكفونية اليسارية، توجه هذا الإتحاد يصب في الدعوة إلى اللاتينية والتقارب في مناهج العمل والأهداف مع الحزب الشيوعي الجزائري⁽³⁾، هذا الحزب الذي انفصل عن الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1935، وظلت تبعيته وارتباطه بتوجيهات من الحزب الشيوعي الفرنسي، وخير دليل على ذلك موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة الجزائرية، على لسان اللجنة المركزية للحزب، أن العمال الجزائريين يتساءلون عن مبرر الفاتح نوفمبر خوفا من 8 ماي جديد، أما العمال الأوروبيون، فهم متأثرون بدعاية الإدارة الاستدمارية والمدمرين.... إذن فلن يتضامن أحد مع فاتح نوفمبر طبعاً⁽⁴⁾.

هذا الإتحاد حاول تنظيم مؤتمره بفرنسا سنة 1954، وتكليف نفسه الناطق الرسمي باسم جميع الطلبة الجزائريين، أي لا يبقى تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي، تم رفض الفكرة من طرف هذا الأخير (أي الحزب)، وذلك لما رأى أن هذا الإتحاد استعمل العديد من العناصر الطلابية الجزائرية، الذين تعاطفوا مع جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، أو المنخرطين مع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أو المعجبين بمبادئ حركة أحباب البيان والحرية، بالإضافة إلى قاعدة إتحاد الطلبة الفرنكو لائيكو- شيوعيين، كل ذلك حال دون نجاح الحزب الشيوعي، في تشكيل منظمة طلابية جديدة بفرنسا.⁽⁵⁾

1 - Gionard Pierre, Algérie, l'œuvre française, Opcit, P. 314.

2 - Association Française des Etudiants nord-africains.

3- أحمد مريوش ، الحزب الشيوعي في الجزائر وثورة التحرير، جريدة الوجه الآخر، الموافق لـ 29 أكتوبر / 4 نوفمبر 1994.

4- مولود قاسم نايت بلقاسم ، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، دار البعث قسنطينة ، ط1 ، 1984 ، ص 84.

5- عبد الله حمادي، نفس المرجع ، ص 52.

المبحث الثاني: الطلبة الجزائريون ودورهم في العمل السياسي والثوري

1. الطالب الجزائري بين القلم والسلاح:

لاشك أن الفئة المتعلمة لم تقصر اتجاه الثورة التحريرية 1954 ، والتي من ميزتها أن المتقنين الجزائريين شاركوا فيها بشكل إرادي وجماعي، على اختلاف مستوياتهم وميولهم، ولعبوا أدوارا رائدة في أحداثها وتطوراتها⁽¹⁾.

شريحة الطلبة لم تكن بمعزل عن إرهابات الثورة، خلال شهورها الأولى، وهناك أسماء لعدد من الطلبة خدموا الثورة، بل واستشهدوا قبل أن تشمل الثورة كل ربوع البلاد.

ولعلّ من بين هؤلاء الطلبة، طالب عبد الرحمن⁽²⁾، الذي تشبع بمبادئ الثورة قبل ميلادها، ووظف عبقريته لعلمية في صنع المتفجرات، ومن الوجوه البارزة آنذاك وقتها من المنتمين للمركزيين بلعيد عبد السلام، الذي تهيكل في صفوف جبهة التحرير الوطني وخدم الثورة وتوسعت نشاطاته شهر ماي 1955، وأصبح من الموجهين الرئيسيين بين صفوف الطلبة، ففي نهاية 1956 وبعد نداء الإضراب العام، دخل الجزائر بعد أن أشرف بكل نجاح على المهمة التي كلفته بها الجبهة، والمتمثلة في توسيع دائرة الحوار والتشاور مع الطلبة، وتوضيح لهم المهام الصعبة خاصة بعد نجاح الثورة، وكل ذلك سوف يسهّل التعبئة بين النخب المتقنة الجزائرية، وقبولها لفكرة إنجاز الإضراب في فرنسا⁽³⁾.

وانتشرت فكرة التطوع الطلابي في صفوف الطلبة، وحتى وسط المجاهدين الذين رحبوا بها، وقد أسندت المسؤوليات الهامة للطلبة، سواء منها السياسية أو العسكرية، فمثلا تقلد العربي بن مهدي وهو من طلبة الحركة الكشفية، المسؤولية لتحضير للثورة وتولى الأعمال الفدائية ونظّمها⁽⁴⁾.

1- يحي بوعزيز، حول العقيد عميروش و اغتيال المتقنين، جريدة الخير 2 سبتمبر 1997.
2- طالب عبد الرحمن (1930-1958) من مواليد القصبة بالعاصمة، زوال دراسته وتحصل على شهادتي الابتدائية والأهلية، تابع دراسته في المدارس الحرة هروبا من المعاملة الجائرة للاستعمار، استطاع أن يجيد اللغة الألمانية، سنة 1951 التحق بالجامعة فرع الكيمياء، بعد اندلاع الثورة اتصل بقيادة الولاية الرابعة ، وفي 1956 تولى الاشراف على مخبر لصناعة المتفجرات برفقة محمد كواش، 1956/10/11 اكتشفت السلطة الإستعمارية المخبر، والذي بعد انفجاره إستشهد زميله كواش، حينئذ التحق طالب عبد الرحمان بالمجاهدين في جبال الشريعة، في 1957/4/7، أُلقي عليه القبض وهو في طريقه إلى البليدة ، وأدخل سجن سركاجي الذي أعدم فيه بتاريخ 24 أفريل 1958.
3- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، المرجع السابق ، ص 127.
4- نفس المرجع ، ص 129.

في حين نصّب يوسف بن خدة على رأس الولاية الرابعة، كمسؤول عن الشؤون السياسية للمنطقة.

ومن الطلبة الذين كان لهم شرف تفجير الثورة لتحريرية، المجاهد محمد قديد الذي تولّى مسؤولية ناحية الحروش، بمنطقة الشمال القسنطيني رفقة قائدها الشهيد ديدوش مراد، وقد كان من طلبة معهد الكتانية، ومن خريجي الزيتونة⁽¹⁾.

ومن الطلبة النشطين أيضا عمارة رشيد، والذي قام بجهود كبيرة في وسط صفوف طلبة الجامعات الفرنسية، وكوّن علاقات وطيدة مع النخبة الطلابية أمثال : الطالب الوناس الذي انخرط في صفوف المجاهدين، وكذلك محمد خميستي الذي كان قريبا من بن بلّة، والطالب آيت شعلال والطالب حفيظ كيرمان والطاهر حمدي وعلى عبد اللاوي، وهؤلاء وكلهم ممن نسّقوا جهودهم، مع طلبة الحقوق أمثال جلول بغلي، وبوعلام أوصديق ومحمد بن يحي، والأمين خان، وطالب الإبراهيمي الذي كان يرأس جريدة الشاب المسلم ما بين 1952 و 1954⁽²⁾.

وكانت الطالبات بدورهن إلى جانب الثورة، سواء في مجال الأعمال الفدائية، أو الإعلام والأخبار وحتى التكوين السياسي، وإدماج المرأة الجزائرية في الثورة، نذكر على سبيل المثال، الزهراء ظريف، وسامية الأخضر، وجميلة بوحيرد، وجميلة وعزة، ومليكة خان، وفضيلة سعدان، وحسيبة بن بوعلي، وغيرهن كثيرات اللواتي شاركن رفقة الرجل في الفعل الثوري⁽³⁾.

2. مساهمة الطلبة الجزائريين في النضال السياسي:

إعتبرت مشاركة الطلبة الجزائريين متأخرة، إلا أن مساهمتهم في الحركة الوطنية والنضال السياسي، قد برزت من خلال العديد من الأشكال النضالية، ومنها المقاومة الثقافية

1- محمد قديد، من مواليد 1930 بالحروش ولاية سكيكدة، درس بمعهد الكتانية رفقة عبد الحميد مهري ومحمد مهري، ثم واصل دراسته في الزيتونية، قاطع الدراسة و واصل نضاله بحزب الشعب الجزائري، ثم بجبهة التحرير الوطني، من مخططي ومفجري الثورة بناحية الحروش، رفقة ديدوش مراد و زيغود يوسف بالشمال القسنطيني، اعتقل و زجّ به في سجن الكدية بقسنطينة، ثم بسجن سركاجي بالعاصمة، أطلق سراحه في 1958 ، التحق مباشرة بالثورة في الجبال لمواصلة الكفاح المسلّح، إلى غاية الإستقلال عام 1962. للمزيد أنظر المؤلف التالي : قديد محمد، الرّد الوافي على مذكرات كافي ، دار هومة ، الجزائر، 2001 .

2 - Youcef Zertouti, Les alliés de l'adversaire in, **histoire magazine** n 202, 17 Novembre 1972. P.279.

3- وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، من شهدات الوطن والحرية ، ص 12.

للإستعمار، حيث تبين المتابعة التاريخية لهذه التنظيمات، أن "انشغال الطلبة الجزائريين كان منصباً، بالدرجة الأولى حول تطوير الثقافة الجزائرية، مثل الإهتمام بالجوانب التي لها علاقة بتعليم الطلبة، والتلاميذ وتكوين وعي وطني من خلال دراسة التاريخ الوطني"⁽¹⁾.

وقد تجسدت هذه الممارسات، عبر عقد وتنظيم ملتقيات وندوات فكرية، حيث كان يتم إدراج وسائل نشر اللغة العربية، وتعليم التاريخ الإسلامي في الجزائر، أي التمسك بالأصالة والإنتفاع على الحداثة"، وكانت الإستراتيجية المقترحة تقوم أساساً على الإستفادة من الثقافة الغربية، والتمسك بالموروث الثقافي باعتبارها قاسماً مشتركاً، بين شعوب بلدان شمال أفريقيا"⁽²⁾.

كما تذكر بعض الدراسات أن التعليم العالي، كان خيار الطلبة للإصلاح، و كأداة مقاومة ثقافية للإستعمار، ورفض مشروعه الداعي لطمس الثقافة المحلية، وكان هذا طبعاً خيار الطلبة الدارسين في الجامعات الفرنسية؛ و مع المقاومة الثقافية للإستعمار، يذكر أن الطلبة الجزائريين بفرنسا تحديداً، ساهموا في النشاط السياسي للأحزاب، وذلك لكون العديد من الأسماء كمحمد الهادي جمان، الذي ترأس وداوية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بالجزائر، وكان له دوراً فعالاً في انخراط الطلبة في AML 'L، وكذا الأمين دباغين وبن يوسف بن خدة ومحمد يزيد، الذين وجهوا الطلبة للإنخراط في العمل السياسي، وبالتالي تشكل لديهم وعياً وطنياً سياسياً فعلياً"، وهكذا تبين أن نشاط التنظيمات الطلابية، تحول تدريجياً من الممارسة النقابية المحضنة، إلى النشاط السياسي الذي طغى على التنشيط الثقافي والفني..."⁽³⁾.

كان الطلبة الجزائريون يكتبون بأسماء مستعارة تعبّر عن ارتباطهم بالوطن⁽⁴⁾، لكي يبعدوا عنهم بعض الشبهات، بسبب الظروف الإستعمارية القاهرة ومراقبة الإدارة الفرنسية لهم، حتى أثناء وجودهم خارج الوطن، بما في ذلك تواجدهم في البلاد العربية، وكانوا

1- حسين عبد اللاوي، نفس المرجع، ص 55.

2- نفس المرجع، ص ص 56-57.

3- نفسه، ص 63.

4- راجع كتابات الجزائريين سواء في العهد العثماني أو الفرنسي، من خلال أبحاث سعد الله في الحركة الوطنية وتاريخ الجزائر الثقافي، وكذلك كتابات الجابري حول مساهمة الطلبة الجزائريين في الجرائد التونسية.

متابعين من قبل المخابرات الفرنسية، التي كانت تقتفي أثرهم خصوصا مع بداية الخمسينيات، وتوجه العامل السياسي نحو العمل الثوري⁽¹⁾.

فالطالب الجزائري انشغل خلال مساره الدراسي بقضايا وهموم مجتمعه، التي تتمثل في معاناته تحت القهر والحرمان والفقر والبؤس والتجهيل، ونجده متجلبا هذا الاهتمام من خلال الكتابات الصحفية والنشاطات الإعلامية، وما كان يعبر عنه الطالب من آمال تجاه الوطن الأم، ومن خلال أيضا المقالات التي كان ينشرها، في العديد من الصحف والجرائد، سواء أكانت بالفرنسية أو العربية، معبرا عن الظروف الإجتماعية التي تعيشها فئات المجتمع الجزائري.

ونلاحظ من خلال مراحل التطور العمل الطلابي في الجزائر، أن الطالب الجزائري لم يكن بعيدا عن الجمعيات والنوادي والأحزاب السياسية، بل كان ينشط داخل هذه الجمعيات والنوادي، حتى وهو على مقاعد الدراسة، وتشير الكثير من المذكرات، إلى أن العديد من الطلبة قد اعتقلوا خلال مظاهرات 8 ماي 1945، لأنهم عبروا عن مساندتهم ومشاركتهم، في القضية الوطنية وهم يدرسون في الثانويات⁽²⁾.

كما أن رجال الحركة السياسية عملوا على استمالة الطلبة إلى العمل السياسي، وهيكله العديد منهم في الأحزاب السياسية، بل تولوا مسؤوليات داخل هذه الأحزاب، سواء في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، أو أحباب البيان والحرية، أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثلما سنوضح ذلك لاحقا.

3. إحتكاك الطلبة الجزائريين بالطلبة المغاربة :

لقد عرفت العشرية الأولى من القرن العشرين، هجرة العديد من العائلات الجزائرية نحو بلاد المشرق العربي، وخصوصا من منطقة تلمسان، وتذكر المصادر الفرنسية أن أكثر من عشرين ألف مهاجر تركوا الجزائر مع مطلع القرن، وهناك جملة من العوامل المساعدة على ذلك منها: الجوانب الدينية والإقتصادية والسياسية، لكن أهم عامل يتمثل في صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912⁽³⁾، وما ترتب عنه من تداعيات عديدة بما فيها الهجرة التي

1- الجندي خليفة، من وحي الثورة الجزائرية، ط1، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1963 ص 48.
2- مقابلة خاصة مع السيد بلعيد عبد السلام ، بتاريخ 2011/08/28، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة.أنظر المقابلة رقم (3).
3- محمد بالقاسم، الاتجاه الوجودي في المغرب العربي 1910-1954 ، مرجع سابق، ص ص 140-141.

شملت أيضا عنصر الطلبة، الذين أصبحوا يبحثون عن مناطق آمنة بعد عملية الطرد الداخلية، وقد نتج عن ذلك قلة من الطلبة الجزائريين، الذين يدرسون في الجامعات والمعاهد الخاصة في فرنسا، وقد تأثرت هذه الفئة بما عايشوه في الخارج، خاصة وسط الجامعات التي كانت بمثابة خلايا للأفكار والسياسة، فالجامعة تعتبر مؤسسة تتولى التعليم المهني العالي، وتعنى بالتنقيف الشامل أو الواسع الحر، لإنماء الوطنية الصالحة والوعي الحضاري، كما تقوم بالبحث والاستكشاف لتوسيع نقاط المعرفة الإنسانية، ومن ثم فإن دور الجامعة في الحياة الوطنية، هو تهيئة النخبة لتغذوا مصدر بعث للحياة الوطنية.(1)

وبالفعل فقد أخذ العديد من الطلبة الجزائريين، بأفكار التحرر وحرية التعبير والقول، وحسب رأي جوليان فإن باريس كانت مصدر إلهام لطلبة المغرب العربي، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "...وأرسل قسم من البورجوازية أبناءهم، للتعليم بالمعاهد الفرنسية وإتمام دراستهم بباريس، وهناك اكتشف الطلبة توجهات سياسية وأيديولوجية مختلفة، وهذا بفضل اتصالاتهم برجال السياسة الفرنسيين فأصبحت قاعدة لرغبتهم..".(2)

وإذا كان شارل أندري جوليان قد جعل من باريس قبلة لاستقبال الطلبة الجزائريين، فإن أحد الطلبة أوضح في أن المشرق العربي، كان هو الآخر قبلة لاحتضان جموع الطلبة، وقد كشف عن جملة من الدوافع والمتمثلة، في التخلص من ريقة الإستبداد الإستعماري، والفرار من الظلم والاضطهاد(3).

كما كانت هجرة الطلبة عن طريق بعثات علمية منظمة أو هجرات حرة، قصد الدراسة للحفاظ على تراث الآباء والأجداد، وتركيز دعائم العروبة والإسلام في الجزائر، ولم يكونوا يحلمون في يوم من الأيام، بالوظائف في ظل الوجود الكولونيالي(4)، وقد قدرّت المصادر الفرنسية عدد الطلبة، الذين هاجروا للدراسة بالجامعة الإسلامية سنة 1954 بـ 900 طالبا نحو الزيتونة، و200 طالبا نحو القرويين بفاس، و30 طالبا التحقوا بالأندلس في إسبانيا.(5)

1- قسطنطين زريق، دور الجامعة في الحياة الوطنية، مجلة المعرفة، ع 3، جانفي 1962، ص 21.

2- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص 51.

3- مقابلة مع أحد قدماء طلبة مشرق العربي وتحديدًا بسوريا ، وهو عبد المجيد بن سلطان بمقر النقابة الوطنية للمحامين الجزائريين، بتاريخ 2012/05/18.

4- مقابلة مع عبد القادر نور بمكتبة الحامة ، بتاريخ 2011/02/28. أنظر المقابلة رقم (5) .

5- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام، دار الكتب، الجزائر، 1980، ص 271.

أما البشير الإبراهيمي فقد أكد بدوره مدى مساهمة الجالية المهاجرة، بما فيها الطلبة في إحياء وبعث حركة النهضة، وإرساء ثورة فكرية جديدة عمّقت الحس الوطني، وقد عبر عن ذلك بقوله : "رجع أفراد من الإخوان الذين كانوا بالمشرق، مهاجرين أو طلابا للعلم، وجماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذي أكملوا تعليمهم بجامع الزيتونة، تنطوي نفوسهم من فكر وروح أساتذتهم، ومن جامع الزيتونة على متونه وشروحه، فاستقام الصدد وانفتح السدد وتلاحق المدد، وكانت أصواتنا مسموعة ما يكون، ومن الصيحة التي رجت النائم، ومن أعمالنا مجموعة ما يكون من الرواق، انضمت في النهر فجاشت غواريه، وكانت تلك بداية النهضة بجميع فروعها والثورة الفكرية بتمام معانيها".

عشية الحرب العالمية الثانية، واثراً احتلال القوات الألمانية لفرنسا، ابتداء من ماي-جوان 1940، ارتبكت الحياة في فرنسا، مما أجبر العديد من الطلبة إلى الهجرة، ومنهم التونسيين والمغاربة إلى الجزائر، وكان لتواجدهم بجامعة الجزائر، أثراً ايجابياً على حياة الطلبة الجزائريين، مما أدى إلى تلاحق الأفكار في تشييط المجالين الثقافي والسياسي.

إن وجود هؤلاء الطلبة من تونس والمغرب⁽¹⁾ في الجزائر، كان سبباً في بعث نشاطات جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا، التي استفادت كثيراً من التنسيق القائم بين قيادات حزب الشعب الجزائري، وحزب الإستقلال المغربي، وحزب الدستور الجديد التونسي، مما نتج عنه توحيد الرؤى وإرجاع العديد من النخب إلى أصولها الحضارية، وكانت حصيلة هذا الجهد، ميلاد جبهة الدفاع عن شمال أفريقيا، التي كانت نواة لمكتب تحرير المغرب العربي بالقاهرة.

إن هذا التنسيق جعل الطلبة يدخلون غمار العمل السياسي بصورة مباشرة، فشكّلوا رافداً إضافياً للنشاط التي تقوم به الحركة الوطنية الجزائرية، بل وحتى المغاربية في مختلف المجالات.

المبحث الثالث: بروز الإتجاهات الفكرية والأيدولوجية داخل الحركة الطلابية وتأثيره على العمل السياسي:

1 -ibid, p. 809.

تجمع كل المصادر على أن الطلبة الجزائريين الفرنكفونيين، بمختلف تنظيماتهم الطلابية ومشاربهم الفكرية، لم يلبوا نداء الفاتح من نوفمبر 1954، وتواصل ابتعادهم عن الفعل الثوري إلى غاية ماي 1956⁽¹⁾، وقبل أن يتخذ هؤلاء الطلبة قراراتهم الحاسمة، كان على بعضهم أن يصفوا حساباتهم القديمة، والتي سبق أن ذكرناها في الفصل الثاني، في المبحث الخاص بالحركات الطلابية في الخارج وفرنسا خاصة.

1-الطلبة الفرنكفونيون الجزائريون وثورة التحرير:

إن الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، كان سبّاقا إلى الظهور في شكل تجمع طلابي، يضم كل الشرائح الطلابية الجزائرية الفرنكفونية وذلك منذ عام 1953، وهو منفتح على كل الفئات الطلابية من أصل جزائري، ولديه قناعة بضرورة استقلال الجزائر، لكن دون تمييز عرقي أو ديني، أي أنه تنظيم لائكي، يحمل نفس الأفكار التي يحملها الحزب الشيوعي الجزائري، الذي ظل دائما خادما لسياسة الإدماج، وحاقدا على الدين الإسلامي، وممتنبا للأيديولوجية الاستعمارية، واعتبر أن الديانة الإسلامية هي التي جعلت الجزائر أمة متخلفة، بل نجد أن الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي الشيوعي، موريس طوريس خلال زيارته للجزائر في فيفري 1939، يصرّح أن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين، وهي خليط من العديد من الأجناس المختلفة منها البربر والعرب⁽²⁾.

غرس التيار الشيوعي مبادئ حزبه وسط المؤسسات الثقافية ونشر أفكاره، التي وجدت برامجها بين العديد من الطلبة الجزائريين، خصوصا الذين درسوا في المؤسسات الفرنسية، لذلك نجد أن هذه الفئة تعبّر عن سياسة الإدماج خلال الأربعينيات، واتضح ذلك في تصريح السيد كاييرو، الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري يقول في هذا الشأن: "إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر، هم عن وعي أو غير وعي عملاء إمبريالية أخرى (عربية)، وليس في نيتنا أن نستبدل حصاننا الأعور بحصان أعمى، بل العكس من ذلك، يناضل الحزب الشيوعي الجزائري، من أجل دعم اتحاد الشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي....."⁽³⁾.

1- عبد الله حمادي، **نفس المرجع**، ص 51.

2- مقابلة مع المبحوث بلعيد عبد السلام بتاريخ 2010/12/08، بمقر سكناه بالجزائر العاصمة. أنظر المقابلة رقم (3).

3- محمد عباس، **الإندماجيون الجدد**، دار دحلب، الجزائر، 1993، ص 94.

وانعكست هذه الطروحات على التنظيمات الطلابية، الذي برز فيها التيار الشيوعي، وأسس هذا التنظيم المذكور سابقا، وتعاون إلى حد كبير مع الإدارة الإستعمارية، وكما برزت أسماء طلابية لامعة خصوصا، بعد ظهور الأزمة البربرية سنة 1948، منهم مبروك بلحسين وعمار ولد حمودة⁽¹⁾.

2- التيار الشيوعي الإندماجي :

هذا التيار الشيوعي الإندماجي المتشعب بالأيدولوجية الإستعمارية، ترسّبت في أذهان مناضلين شيوعيين من أصل جزائري، لتظهر ابتداء من سنة 1935 ، في شكل شيوعية إندماجية واستقلالية في آن واحد، اندماج في الثقافة ونمط الحياة واستقلالية في السياسة، ويعتبر كاتب ياسين نموذجا للشيوعي المتطرف، في نزعته الإندماجية ومن مواقف ياسين الموغلة في التطرف الإندماجي، قوله أن الاسلام الذي يشكّل في نظره أكبر قيد للشعب الجزائري في"، انطلاقة نحو الحرية، والتقدم عبر الثقافة الفرنسية الموروثة عن العهد الاستعماري⁽²⁾.

وأن اللغة العربية لغة متخلفة شبه ميتة، تحمل ثقافة تعليمية دينية حkra على طبقة من " العلماء" (رجال الاصلاح)، ويبلغ تبني كاتب ياسين للموقف الإندماجي من اللغة العربية مداه الكامل، عندما يشبه العلاقة بين الفصحى والعامية، بالعلاقة بين اللاتينية والفرنسية، أي أن الفصحى أضحت لغة الماضي والمساجد، بينما أصبحت العامية لغة الحضر والحياة اليومية.

أما فيما يخص الإستقلال ففي نظر كاتب ياسين، لا يشكّل قطيعة ثقافية بآتم معنى الكلمة، فالثورة المسلحة تبدو هنا وكأنها مجرد مسرحية دامية: " فقد كان من المفروض أن ينشب الصراع حتى لا يبدو الإستقلال كهدية...، والآن لم تعد هناك مشاكل للفرنسية في داخل الجزائر والبيوت، ولو كان بين الأسرة شهيد...."، هكذا يرى كاتب ياسين الإستقلال كاستمرار للإستعمار⁽³⁾.

1- محمد عباس، نداء الحق شهادات تاريخية، مطبعة هومة، ط1 ، 2003 ، ص137.

2- محمد عباس، الإندماجيون الجدد، نفس المرجع، ص 95.

3- كاتب ياسين، صحيفة الشعب، عدد 112، الموافق ل 22 أفريل 1963.

الحزب الشيوعي الجزائري ظل على تبعيته وارتباطه، بتوجهات الحزب الشيوعي الفرنسي، وخير مثال على ذلك موقف الحزب الشيوعي من الثورة الجزائرية، على لسان اللجنة المركزية للحزب يتساءلون، عن مبرر فاتح نوفمبر خوفا من 8 ماي جديد، أما العمال الأوروبيين فهم متأثرون بدعاية الإدارة الإستعمارية، إذن فلن يتضامن أحد مع فاتح نوفمبر طبعا⁽¹⁾، وعليه فعندما جاء التفكير في إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وبروزه سنة 1955 كان الحافز الأكبر للتعجيل بتحقيق هذا الهدف، هو إندلاع ثورة فاتح نوفمبر سنة 1954⁽²⁾.

يقول أحمد طالب الإبراهيمي في هذا الشأن: "إن إنشاء الإتحاد هو نتيجة حركة جدلية، تعبر في آن واحد من جهة عن رغبة الطلبة الجزائريين، في الإلتحاق بصفوف الشعب والمساهمة في الثورة، وتعبر من جهة ثانية، عن رغبة جبهة التحرير في احتواء طاقة الطلبة، وتوظيفها لصالح قضية التحرير المقدسة...".

والموضوع الوحيد الذي أثار جدلا كبيرا، هو الموقف من حرف " الميم "، ودار نقاشا حادا بين الطلبة الوطنيين الذين كانوا يناضلون داخل أحزاب، ذات توجهات وطنية مثل حزب الشعب حركة الانتصار للحريات والديمقراطية، وداخل جمعية العلماء المسلمين المتكونين في المشرق العربي، وبين الطلبة الشيوعيين والمتغريين، وكانوا أقلية الذين أرادوا حذف كلمة مسلم، بينما أراد أغلبية الطلبة الإبقاء على كلمة " مسلم"، والتعبير عن وفائهم لجذورهم العربية الإسلامية، والإعتزاز بشخصيتهم الوطنية⁽³⁾.

3- التيار الفرنكو- إسلامي:

بالنسبة للنموذج الأساسي التيار الفرنكو-إسلامي، والذي كان له تأثير على توجهات الحركة الطلابية، فيمثلته فرحات عباس الذي رفض التجنس، والتمسك بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي، وهذا ما يبيّن الموقف الذي اتخذته، جمعية الطلبة المسلمين لشمال

1- مولود قاسم نابت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 84.

2- أحمد طالب الإبراهيمي المعضلة الجزائرية الأزمة والحل، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص 118.

3- أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المرجع، ص 119.

إفريقيا في عام 1935 برفضها عضوية بعض الطلبة المتجنسين والمرتدين، عن الدين الإسلامي وأصبحوا مسيحيين كاتوليك - ، وسبق ذكره في الفصل الثاني.

هذا النموذج يبين حماس هذه الفئة للتراث الثقافي الإستعماري، مع التمسك في نفس الوقت بالأحوال الشخصية الإسلامية، وبالإسلام في حدود الشعائر الدينية، والميزة الغالبة على أنصار هذا النهج، هي " ازوداوجية الولاء: للأصل وفرنسا في آن واحد ".⁽¹⁾ وعن الأيديولوجية الفرنكو اسلامية يقول الأستاذ برفيلي أنها : " لم تكن دائما نقية، بل غالبا ما تصادفها مرتبطة بتطلع متناقض، كان يحرك عددا لا بأس به من ردود فعل حركة " الشباب الجزائري "، الذين يريدون أن يكونوا فرنسيين ومسلمين كاملي الحقوق في ذات الوقت....".

ويعتبر كتاب فرحات عباس " الشباب الجزائري " الصادر سنة 1931، من أهم مصادر الأيديولوجية الفرنكو إسلامية"، وفي هذا السياق يبدو الإنسان الفرنكو- مسلم كإنسان جديد، لأن الإحتلال الفرنسي "، كان بداية ثورة اجتماعية حقيقية، قضت نهائيا على الإنسان الجزائري القديم".⁽²⁾

يدعو فرحات عباس في كتابه المذكور، إلى وحدة روحية مع المجتمع الأوروبي (المستوطن)، في مرحلة أولى تليها في مرحلة ثانية وحدة وروحية مع فرنسا ذاتها.⁽³⁾ وعلى المستوى السياسي تبنى أنصار، الأيديولوجية الفرنكو- إسلامية غداة الحرب العالمية الثانية، فكرة الإستقلال في إطار الإتحاد مع فرنسا، وبقوا على هذا الموقف لغاية إلتحاق فرحات عباس وجماعته، بجهة التحرير الوطني في أبريل 1956 حين انضموا إلى فكرة " الإستقلال التام".

في حين نجد أيضا هذه الطائفة، تعطي الجزائر المستقلة، محتوى متميزا فهي تعني في نظرهم تحديدا: " الجزائر ليست عربية ولا فرنسية ".⁽⁴⁾

أي أن الجزائر المستقلة الفرنكو - اسلامية: ثقافتها الجديدة أساسها التراث الثقافي الإستعماري، وشخصيتها الأساسية عمادها الإسلام، كشعائر وأحوال شخصية ليس أكثر.

1- غي برفيلي، نفس المرجع ، ص ص 223 - 225.

2- نفس المرجع ، ص 228.

3- نفس المرجع، ص ص 235-236.

4- نفس المرجع ، ص 239.

هذه النماذج لا تعتبر إفرازا مباشرا للأيديولوجية الإستعمارية الإندماجية، أو المتأثرة إلى حد كبير كالشيوعية والفرنكو- إسلامية، والتي تحدثنا عنها سابقا، هذه التيارات أصبحت بدءا من منعطف 1958-1959 ، تلتقي مع " وطنية النخبة"، أو "الإستقلالية الإندماجية"، حسب ترجمته السياسية الاجتماعية (1).

وتبدو وطنية النخبة مقابل وطنية الشعب، كمحصلة للتأثر بالأيديولوجية الإستعمارية، عبر أبعادها الثقافية والحضارية خاصة من جهة، وبالإيديولوجية الوطنية وموجة التحرر الوطني في العالم من جهة أخرى، فبرز الطابع التوفيقى لهذه المحصلة، فهي انفصالية إستقلالية في أهدافها السياسية، لكنها اندماجية في اختياراتها الثقافية الإجماعية، وبهذه الإزدواجية ستحمل " الوطنية النخبوية "، نفس الشعار الذي ينسبه الدكتور فانون " للبرجوازية الوطنية، " ألا وهو " لِنُعَوِّض الأجنبي ".

من الناحية الثقافية الإجماعية، لا تكاد تختلف هذه الفئة عن التيارات السابقة، فهي أيضا صعب عليها تحطيم الجسور، التي تربطها ارتباطا وثيقا بالميتروبول، التي تختلف إختلافا بيّنا في تعاملها مع الطلبة المهاجرين عن النظام الكولونيالي، والواقع الذي يفرضه بالجزائر.

هذه الفئة تعيش تناقضا ناجما عن تكوينها الفرنسي، وتحاول تجاوز هذا التناقض بالتمييز بين الولاء السياسي، الذي يضعها في صف الوطنيين المطالبين بالإستقلال، والإرتباط بالقيم العالمية للثقافة الفرنسية، التي يلحقها بقائمة التيارات الاندماجية.

هذا التناقض، يحلل الاستاذ برفيليبي أبعاده بقوله: " إن هؤلاء الطلبة(2) يعمقون إلى أبعد الحدود، التميز الذي أقامه أسلافهم بين فرنسا "الحقيقية" (الميتروبول)، وبين الإستعمار الفرنسي في الجزائر، وهكذا تستمر الفكرة المثالية عن فرنسا، كما لقّنهم إياها أساتذتهم، تستمر حية رغم رفض السلطة الزمنية لفرنسا، في حين أن رفض السلطة الزمنية لم ينقذ هؤلاء الطلبة، من الذوبان في الثقافة الفرنسية وفي نمط الحياة الفرنسية.

4-التيار الوطني الإستقلالي:

1- محمد عباس، نفس المرجع، ص 100.

2- غي برفيليبي، نفس المرجع، ص 237.

يقول المؤرخ محفوظ قداش: " لقد وجد التيار الوطني سندَه في الرفض الشعبي للنظام الإستعماري، بمعنى في الموقف السلبي المتضمن لكل ما من شأنه أن يتعارض مع الدين، واللغة والثقافة والتقاليد، في كل ما هو مناسب أو مرفوض... " (1)

وكانت لهذا التيار مقولاته ومصطلحاته الهامة، التي تميّز بها وظلت تتكرر باستمرار، للتعبير عن تميز فكره، عن فكر التيارات الأخرى، وإن تداخل مع بعضها في العديد من المقولات، عن جوهر رؤية هذا التيار، لما يجب أن يكزن عليه، تاريخ المجتمع الجزائري في صراعه مع المحتل (2).

ومن أهم هذه المقولات مقولة - الأمة الجزائرية - والسيادة الجزائرية، والإستقلال التام، والإقتراع العام، وغيرها من الدلالات التي لا تتحقق من وجهة نظر قادة ومناضلي هذا التيار، إلا - بالجهاد -، ومعنى الجهاد هنا، هو الاعتماد على مقدرات الأمة الروحية، وفي مقدمتها الدين الإسلامي الحنيف، وفضائل الأمة وقيمها متضمنة في تاريخها الطويل والعريق.

تبلور الفكر الوطني في مسيرة الأحزاب السياسية للتيار ذاته، من نجم الشمال الأفريقي، إلى حزب الشعب الجزائري، فحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وما يؤكد ذلك أننا لا نعثر في مواقف وأقوال الأمير خالد، على مفاهيم تعنى بحرية الإنسان الجزائري، واستقلاله التام عن فرنسا، وهو الطرح الذي يمكن أن يميز التيار الوطني عن الإصلاح.

فبرنامج الأمير خالد السياسي، هو مجموعة من مطالب إصلاحية بعضها اجتماعي، وبعضها عقائدي وسياسي، في إطار التعايش مع المحتل (2)، حيث تصدّر المسرح السياسي في الجزائر طيلة أربع سنوات من 1919 إلى غاية 1923، هو وبعض رفاق دربه، وبدلوا كل ما في وسعهم لتحسين أوضاع مواطنهم، إلا أنهم في الحقيقة قد: " فشلوا في تحقيق أي شيء، ولكن جهودهم لم تذهب سدى، ذلك أن نهاية التجربة، قد أثرت النضال الوطني

1-Mahfoud Keddache, **Histoire du Nationalisme Algérien**, Edition S.N.E.D, Alger,P.2.

2- **ibid**, pp 108-111.

إثراء كبيرا، وسوف تعتمد الحركة الوطنية، وخاصة اتجاهها الثوري، إلى استثمار هذا الرصيد في نضالاتها المقبلة.⁽¹⁾

يعرض المجاهد أحمد محساس لملايسات ظهور حزب نجم شمال أفريقيا قائلا ما يلي : " وسنستعين بشهادة آكلي بانون، وهو من المناضلين القلائل، من تلك الفترة، الذين ما يزالون على قيد الحياة، لإلقاء مزيد من الأضواء؛ فليس من مهامنا التأريخ لظهور هذا الحزب، لكن إطلالة تاريخية، قد تسهم في الكشف عن خلفيات وملايسات ظهوره؛ ومن تمّ نوضح حقيقة الأفكار السياسية والأيدولوجية التي تأسس عليها هذا الحزب، والتي تفترض أنها الأفكار التي صارت، برنامج عمل متواصل للحركة الوطنية، في كل مراحل تاريخها اللاحقة، ومن خلال كل أحزاب هذا التاريخ، من النجم إلى حزب الشعب، فحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، وأخيرا جبهة التحرير الوطني، التي فجّرت وقادت حرب التحرير 1954-1962.

ومن أهم الأفكار التي طرحها نجم الشمال الأفريقي: مسألة - الإستقلال عن فرنسا - ، وهو أحد أهم الأسباب التي جعلت هذا الحزب، الذي هو طليعة التيار الوطني، يدخل في عراك سياسي مع الجميع، مع المحتل الفرنسي، وكذلك مع كل التيارات السياسية الجزائرية الأخرى، التي في عمومها لم تطرح موضوع الإستقلال عن فرنسا، كما ذكرنا سابقا عند التطرق للتيارات الفكرية و الأيدولوجية للطلبة.

• حزب الشعب الجزائري، وحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية:

نظرا لمواقفه الوطنية التي تعارض الإحتلال بالقوة، وتطرح مشروع رؤية جديدة لمستقبل المجتمع الجزائري، فقد قوبل مؤسسو وأنصار ومناضلو نجم الشمال الأفريقي، بزجر وملاحقة، إلى أن انتهى الأمر بالمحتل إلى حلّه، بموجب مرسوم مؤرخ في 26 جانفي 1937، بطلب من الحاكم العام الفرنسي للجزائر آنذاك، وذلك إثر أعمال شغب، التي قام بها بعض مناضلي الحزب، خلال التجمع التي نظمتها لجنة العاصمة (الجزائرية) للمؤتمر الإسلامي الجزائري، يوم 24 جانفي 1937.

1- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1993، ص 182.

وعلى الرغم من هذا الإجراء تواصل العمل من خلال " أحباب الأمة "، إلى أن بادروا بتأسيس " حزب الشعب الجزائري " بقيادة مصالي الحاج.

صدر عن المكتب السياسي بتاريخ 11 مارس من نفس السنة، تصريح يتضمن برنامج الحزب، والذي يعدّ الأرضية الأيديولوجية العامة للحزب، فهو من ناحية مشروع عمل مباشر لتغيير الوضعية المعنوية والمادية للجزائريين، كما أنه يؤسس لمستقبل الصراع مع المستعمر، بهدف التحرر النهائي، وبناء الدولة الوطني؛ وباختصار فإن موقف الحزب، في بيانه التأسيسي هذا، أكد على أنه لا يقبل: " لا الإندماج، ولا بالإنفصال، وإنما بالتحرير أي الإستقلال ".

فإن الإندماج يعتبر في أدبيات حزب الشعب، ضريبا من التناقض مع تقاليد الشعب وماضيه، و مناف لاتفاقيات 05 جويلية 1830، التي تقرّ بشكل مطلق، احترام دين الأمة وتقاليدها، ومقدساتها، وأرزاقها، وما إليها من الحقوق الأخرى⁽¹⁾.

فالشعب الجزائري متجانس، لغة ودينا وتاريخا، والمرتبطة فئاته بمصير مشترك، لا يمكنه الإندماج في غيره، وإنما يمكنه التحالف، وهنا يقدم الحزب فكرا جديدا، متطلعا إلى المستقبل، قوامه التحالف الذي يتجاوز الطرح الإستعماري، ويضع الجزائر على طريق المستقبل الناضج، الذي تمارس فيه حريتها، وسيادتها، وتسيطر على مقدراتها، وتقيم علائق مع الغير، من منطلق التحالف، لا الخضوع.

يختم الحزب في بيانه بنداء نظنه خليقا بالإهتمام، لما فيه من تبيان لأهداف هذا الحزب الوليد فيقول: "إن حزب الشعب الجزائري، يدعو الشعب إلى التجمع، والإتحاد، والتحابب، والنضال الجماعي، من أجل المصلحة العامة، ونهضة البلاد، وأن كل جزائر، جدير بهذه التسمية، ويحب وطنه، لا يمكنه بأي حال أن يتجاهل هذا النداء.." ⁽²⁾.

1 - Claude Collot et Jean Robert Henry, **le Mouvement National Algérien**, Office des Publications Universitaires, 2^{ème} édition, P.91.

2- Mohamed Kenaneche et Mahfoud Keddache, **le Parti du Peuple Algérien (1937-1939)**, O.P.U, Alger, P.23.

فتوجهات عناصر هذا الحزب، يختلف عن توجهات عناصر الأحزاب الأخرى، خلال عهد الإحتلال، من حيث كونه يتميزون عن الآخرين، بطرح مشروع شامل، وصريح وجذري، يجمع بين مقومات الشعب في العقيدة، واللغة، والإنتماء الحضاري، والتجانس الإجتماعي، وبين بنية الدولة، ومظاهر سيادتها، ونموذج الحكم، أو أسلوب الحكم فيها.

فيعتبر أن الأولوية، ليست في الإصلاح الإجتماعي، أو الديني وما إليه، ولا للإندماج في فرنسا، وإنما للإستقلال التام عن المحتل، بما يحقق للشعب حريته وسيادته، وبناء دولته، على أسس وضحاها البيان، ونصص بما في ذلك، على وضع ومكانة كل الأقليات المتعايشة في الجزائر، وبالتالي رسم معالم دولة، تكون مؤهلة للتحالف والتعايش، على قدم المساواة مع الدولة الفرنسية.

إن هذا الطرح، يترجم في تقديرنا، وعيا متقدما بحركة التاريخ، لأنه تجاوز مصطلحات المرحلة الإستعمارية، بل ومنطق العصر السائد، الموسوم بتنفيذ القوى العظمى في العالم، وتنافسها على احتلال المزيد من الأقطار الضعيفة.

وفي ذلك ما يؤكد، انتماء قيادة حزب الشعب الجزائري، كرواد ضمن حركة التحرر العالمية، إلى ذلك المدّ الثوري، الذي كان يعارض منظومة الإستعمار التقليدي، بما خلفته في العالم من انحطاط، وتخلف، واستغلال، وتشرذم، والتفتيت.

حتى نتساءل ونتأمل، عما كان عليه هؤلاء الرواد من المستوى، وبين ما يفترض أن يكونوا عليه، من التحصيل العلمي، والمعرفي، كأن يكونوا حملة شهادات عليا، تخرجوا من الجامعات والمعاهد المتخصصة، حتى يمكنهم ممارسة التنظير، والتفكير، والتنظيم، والقيادة، القادرة على مواجهة حجم التحديات.

إن الوطنيين الجزائريين لم يكونوا مثل بقية الوطنيين، بل على عكس أغلبية الحركات الوطنية، فإن حركتهم لم تتكون في كنف الطبقات الإجتماعية الراقية، لقد نشأت الحركة الوطنية، وسط العمال المهاجرين إلى فرنسا، وليس بتأثير من الحزب الشيوعي الفرنسي، والذي لم تكن لديه أية وصاية عليه، بالعكس عندما تمت المصادقة على لائحة تطالب باستقلال الجزائر، وصادقت عليها أغلبية ساحقة، أثار هذا غضب وانسحاب جميع

العناصر، التي كانت تعتقد، أن بإمكانها استعمال الجزائريين، كقوة مناورة، لصالح الحزب الشيوعي، وكان عبد القادر حاج علي، في مقدمة المنسحبين، كما انسحب الفرنسيون المتعاطفون مع النجم، يؤكد كل هذا المناضل محمد آكلي⁽¹⁾.

شكلت الوطنية مقياسا كافيا ميّز (حزب الشعب الجزائري - حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية)، عن منافسه العمالي وهو الحزب الشيوعي الجزائري؛ ولكن العامل الإجتماعي هو العنصر الواضح، الذي يفسر المواجهة بين الوطنية الشعبية، أي الإتجاه الحقيقي والأصلي، وبين المنتحلين البرجوازيين؛ كان حزب الشعب الجزائري يفتخر بأنه يضم بين صفوفه، أغلبية عمالية وشبه عمالية؛ وكان العلماء من بين منافسيه الخطرين لأن ثقافتهم العربية الإسلامية، كانت تمكنهم من التحلي بشرعية متينة في نظر الشعب. كان الحزب الوطني يسعى للحطّ من قيمتهم، بفضح الأصول البرجوازية لقادتهم وتحالفهم مع الحركة، من أجل الدفاع عن البيان الجزائري⁽²⁾، هذه الأخيرة كانت الهدف الأساسي لحملة " ح . إ . ح . د "، والتي عرّفها للناس باعتبارها حزب حاملي الشهادات، البرجوازيين الذين تدفعهم ثقافتهم الأجنبية، ومصالحهم الطبقية، إلى توخّي التوافق مع السلطة الإستعمارية⁽³⁾.

في الواقع، تبيّن أن رواد ومؤسسي حزب الشعب و الحركة الإنتصارية فيما بعد، كانوا روادا وما في ذلك من شكّ، ولكنهم من عامة الشعب أو يكادون، تمكّنوا رغم تواضع مستوياتهم العلمية، من هضم إشكالية الإحتلال، واستشرف حلها ثوريا، وعليه من الضروري أن نتساءل، عن الطفرة، التي بواتهم هذا المقام؛ وربما لكون إرهابات المرحلة، وتناقض مواقف الإحتلال، في سلوكه ومعاملاته الكولونيالية على أرض المستعمرات، وبين ما يعيشه شعبه ويتمتع به من نعم، في المتروبول ، فضلا عن رياح التغيير، والثورة، والتحرر، التي كانت تهبّ من بعض مناطق العالم، في الهند الصينية، والمشرق العربي، كلها تداخلت لتهيء لظهور هذه الطفرة.

1- الصادق بخوش، الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية - مقارنة في دراسة الخلفية، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 86.

2- غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكفونية، المرجع السابق، ص 589.

3- برفيلي، نفس المرجع، ص 590.

هذا دون إغفال ما كان يتمتع به هؤلاء الرواد، من الوعي والإعتزاز بالذات، وحملهم لموروث ثقافي، ونضالي تحرري، يعود إلى مراحل المقاومة الشعبية.

فجبهة التحرير الوطني و مع تطور وتسارع الأحداث، بعد تفجير الثورة في الأول من نوفمبر 1954، أجبرت على إصدار نداء بدعوى تصحيح وضع غير عادي مضمونه التالي: " إن عبء الكفاح يقع إلى حد الآن، على كاهل الطبقات الأكثر حرمانا في الأمة، هذا الوضع، غير العادي، ينبغي أن يوضع له حدّ؛ لن نرضى بأن يدفع جزء من المجتمع وحده، كل التكاليف التي على عاتق الجميع؛ فعلى كل الجزائريين أن يساهموا في بناء مستقبلهم.⁽¹⁾

نلاحظ أن وعي مناضلي الحركة الطلابية، بالتطور الحاصل في مسار النضال السياسي والمسلح، فإنهم كانوا يطمحون إلى المساهمة مباشرة في صنع مستقبلهم، فاستغل بعضهم الفرصة وتطوّر والتحق بجيش التحرير الوطني، والبعض الآخر ناضل سياسيا ودبلوماسيا، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصل اللاحق.

خلاصة:

حاولنا من خلال هذا الفصل أن نلمّ ببعض الجوانب، المتعلقة بالفكر الطلابي والحركة الطلابية، لذلك عملنا على بيان التحرك الطلابي بفرنسا، وميلاد الفكر النضالي الجزائري في الجامعة الفرنسية، عرضنا نماذج عن الحركات الطلابية في الجامعة الفرنسية، سواء في الجزائر أو خارجها في فرنسا، ثم بيّنا دور الطلبة الجزائريين في العمل السياسي والكفاح المسلح، ومساهماتهم المتنوعة بين القلم والسلاح.

1- نداء اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية "ح.إ.ح.د"، ذكره محمد حربي في كتابه "أصول جبهة التحرير الوطني، ص ص 209-211. للمزيد أنظر: لائحة المؤتمر الثاني ص 193.

ثم أفردنا بعد ذلك أهمية لبروز الإتجاهات الفكرية، داخل الحركة الطلابية الفرنكفونية، وتأثير الفكر الشيوعي الفرنسي على الحزب الشيوعي الجزائري، الذي كان يضم طلبة جزائريين يدرسون بجامعة ومعاهد وكليات فرنسية، وكذا أهم تيار الذي حمل مشروع الحركة الطلابية الوطنية الجزائرية وهو التيار الوطني الإستقلالي .

الفصل الرابع

الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين
ودوره في تجسيد المشروع الوطني

تمهيد:

إن الحركة الطلابية في الجزائر عرفت تطورا إيجابيا، اتجاه الثورة منذ بداية عام 1955، حيث أصبح التلاحم شديدا بين شريحة الطلبة وقيادة جبهة التحرير الوطني؛ فالثورة في حاجة إلى كل شرائح المجتمع، من عمال وفلاحين وحركات وجمعيات، ولا يستثنى من ذلك شريحة الطلبة التي كان لزاما عليها، أن تشارك في الفعل الثوري بكل الوسائل.

حيث جندت جبهة التحرير الوطني طلبة مناضلين، متشبعين بقيم الحركة الثورية التي تتمثل في النضال والكفاح، من أجل تحقيق السيادة الوطنية، وترسيخ مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة، في الدين الإسلامي واللغة العربية ووحدة الإقليم... .

لذا كان لزاما أن يعاد هيكله الطلبة من جديد، في تنظيم طلابي يحمل هذه المبادئ، وتم ذلك فعليا بتأسيس إتحاد طلابي ثوري، الذي هو الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بعد صراع على كلمة "مسلم" مع الطلبة الشيوعيين.

ومن مبادئ هذا الإتحاد - كما جاء في تقريره الأدبي في أحد المؤتمرات - ، العمل بكل قوة لمحاربة الإستعمار، ومساعدة البلاد للتخلص من أغلاله، كذلك إلزام الإتحاد الحياد الإيجابي واستقلاله في الميدان العالمي، والهدف منه كسب التعاطف والدعم المعنوي والمادي، من التنظيمات الطلابية العالمية، ساهم الإتحاد أيضا في مدّ الثورة، بكفاءات متنوعة ومتخصصة كلّ في مجاله.

المبحث الأول: الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كتنظيم طلابي

1/ ظروف تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

إن المتتبع لمراحل تطور الحركة الطلابية في الجزائر، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى إلى قيام الثورة، يجد أدبياتها تكاد تكون خالية من مصطلح الإستقلال، وكانت دوماً أشبه ما تكون بالنقابات، ولو أنها كانت منطوية تحت غطاء أحزاب سياسية، ولذلك أسندت لها الريادة حول قضايا مصيرية، مثل البعد الوحدوي في أقطار المغرب العربي، والمطالبة بالهوية العربية الإسلامية، وغيرها من مقومات الشخصية الوطنية وملاحم الإستقلال الحقيقي.

وإذا كان أول تنظيم طلابي ولد في جامعة الجزائر، والمتمثل في الودادية، فإن الإدارة الفرنسية أرغمت هذا التنظيم على الرحيل، من الجزائر باتجاه فرنسا سنة 1927، وأصبح مقره الجديد بسان ميشيل بباريس⁽¹⁾، حتى يكون بعيداً عن المحيط الجزائري، ويناضل بالمراسلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تذكر بعض المصادر أن سياسة الإدارة الفرنسية، في حقل التعليم أصبحت أكثر شحاً، مما كانت عليه خلال الأربعينيات، وقلص ذلك من حظوظ الطلبة في الالتحاق بالجامعة، وحتى في الحصول على الوظائف بعد التخرج.

وتبين إحصائيات سنتي 1955-1956، أن عدد التلاميذ في الصف الإبتدائي، لم يتعد 170 تلميذاً، أما في الثانوية بلغ 6 آلاف مقابل 38000 أوروبي، ولم يتعد في الجامعة 500 طالب مقابل 5000 طالب أوروبي⁽²⁾.

ومع بداية الخمسينات وتسارع الأحداث في بلدان المغرب العربي، حاول الطلبة من جديد البحث عن إطار وحدوي، يتلاءم والمستجدات السياسية وحتى العسكرية، ففي جويلية 1952 تم اللقاء بين مسؤولي مختلف فروع، جمعية الطلبة المسلمين شمال أفريقيا، وطرح من جديد مشروع تأسيس اتحاد المسلمين للطلبة المغاربة (U-M-E-M)⁽³⁾، وأصبح يجمع المستوى التنظيمي لثلاث فدراليات.

1- أحمد مريوش، الحزب الشيوعي في الجزائر وثورة التحرير، مرجع سابق، ص 313.
2- ألان سافاري، ثورة الجزائر، ترجمة: نخلة كلاس، مطابع إدارة الشؤون العامة والتوجيه القومي، مصر، ط1، 1961، ص 21.
3- نفس المرجع، ص 45.

كل فيدرالية تمثل قطر من أقطار المغرب العربي، لكن تطور الأحداث السياسية واندلاع الثورة في كل من المغرب وتونس سنة 1952، أرغمت كل فيدرالية أن تجتهد حسب ظروفها الخاصة.

وفي خضم كل هذه التطورات، لم ينجح أي تنظيم طلابي لتوحيد أقطار المغرب العربي، ففي سنة 1953 أعلن الطلبة التونسيون، عن تأسيس الإتحاد لعام للطلبة التونسيين (U.G.E.T) ⁽¹⁾، وحسب شهادة الأمين خان فإن ميلاد هذا التنظيم، كان ضربة قاضية لطموح العمل الموحدوي لطلبة، المغرب العربي الذين كثير ما ألحوا على تطبيقه ⁽²⁾.

كما أسس الطلبة الجزائريون بباريس هم أيضا، سنة 1954 تنظيما طلابيا جديدا بإسم اتحاد الطلاب الجزائريين بباريس (U.E.A.P) ⁽³⁾، والذي أشرف على تأسيسه الحزب الشيوعي الفرنسي، أكثر مما سيّره الطلبة الجزائريون أنفسهم.

يبدو أن إسناد مسؤولية تسيير هذا التنظيم الجديد، للشيوعيين الفرنسيين والمتعاطفين مع الطلبة الشيوعيين الجزائريين، لم يكن مرغوبا فيه لدى جميع الطلبة الجزائريين المتواجدين بفرنسا، ولذلك وقع شرخ في الإتحاد الطلابي الجزائري بباريس، الذي أصبح يمثل شريحة طلابية ضيقة، لا تتناسب مع التكوين السياسي والديني لباقي الطلبة، خصوصا بعد اندلاع ثورة التحرير 1954، كل هذه الظروف أخرجت العديد من الطلبة الجزائريين الذين أجبروا ودفعوا دفعا، لإقناع زملائهم سواء من الجزائريين أو الفرنسيين بعدالة القضية الجزائرية، ومن ثم استجاب عدد كبير من الطلبة لنداء أول نوفمبر، الذي كان يهدف إلى تنظيم الفئات الإجتماعية وتجنيدتها في الكفاح المسلح، وبعث المنظمات الجماهيرية وتعبئتها للعمل التحرري، وفصلها عن الهياكل التنظيمية للإدارة الفرنسية، التي ظلت ترفض شرعية الثورة ⁽⁴⁾.

وقد سبق ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، العديد من الإجماعات التحضيرية ما بين 1953 و1955، وفي هذا الصدد يذكر أحد مؤسسي الإتحاد وهو الطالب

1 - U.G.E.T : Union Générale des Etudiants Tunisiens

وبالعربية: الإتحاد العام للطلبة التونسيين.

2 - Merad Ali, **Le réformisme musulman en Algérie, 1925-1940**, Opcit, p. 75.

3- مقابلة شخصية مع المبحوث السيد الأمين خان بمقر سكنه بالأبيار بالجزائر العاصمة بتاريخ 2010/09/10، أنظر المقابلة رقم (01).

4- يحي بوعزيز، **الطلبة الجزائريون ودورهم في الثورة**، مرجع سابق، ص 277.

صالح بن القبي: " أنه مع حلول سنة 1955 أصبحنا نبحث عن ضرورة، تأسيس مكتب خاص للطلبة الجزائريين في جامعة الجزائر، حتى يكون التمثيل الطلابي ناجحا وقريبا من الواقع الجزائري المستجد، بعكس الفترة السابقة التي كنا فقط مهيكليين، مع جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي ظل مقرها بباريس⁽¹⁾.

تأسس مكتب الطلبة بالجزائر العاصمة في فيفري 1955، وكان مقره بالمطعم الجامعي المسمى بمطعم عميروش، ولا يزال مكتب الطلبة به حتى كتابة هذه السطور، وقد نشطت خلال هذه الفترة مجموعة من الطلبة أمثال: الأمين خان وبغلي والأخضر الإبراهيمي وبابا أحمد وغيرهم، وفي هذا الصدد يواصل القبي إدلائه بشهادته قائلا: "خلال هذه الفترة الهامة من إعادة هيكلة التنظيم الطلابي، وبرغم مشكلة الميم فإننا إستطعنا التوصل إلى كتابة لנסاند من خلالها، قضايا الطلبة الجزائريين والقضية الجزائرية.."⁽²⁾.

يبدو أن الثورة التحريرية أصبحت في أمس الحاجة إلى مثل هذا التنظيم الطلابي، ومن ثم عجلت بميلاده، خصوصا وأن الثورة لم تكن غريبة على الطلبة، فهم صانعوها من قريب أو من بعيد، وقد انتشر صداها بينهم في الداخل والخارج، وخاصة بباريس التي كانت قبلة طلبة العالم آنذاك.

تشير العديد من الشواهد والمصادر أن الحركة الطلابية في الجزائر، عرفت تطورا إيجابيا هاما تجاه الثورة منذ بداية 1955، وأصبح التلاحم بين شريحة الطلبة وقيادة جبهة التحرير الوطني، وتمثلت هذه الأخيرة في تعبئة، ما يزيد عن 600 طالب بين جامعيين وثانويين.

كما برزت أسماء طلابية لامعة في الثورة، ففي شهر فيفري 1955م، دعا الطالب عمارة رشيد عبر نداء موجه للمشرفين، على فرع جامعة الجزائر لطلبة مسلمي شمال أفريقيا، وخلايا الطلبة الجزائريين بكل الجامعات الفرنسية، إلى ضرورة عقد جمعية عامة بغية توحيد الصفوف الطلابية باسم، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تحت لواء جبهة التحرير الوطني⁽³⁾.

1- مقابلة مع صالح بن القبي بمقر سكنه بحيدرة بالجزائر العاصمة بتاريخ 2010/09/11، انظر المقابلة رقم (07).

2- أنظر المقابلة رقم (07).

3- Youcef Zertouti, **Les alliés de l'adversaire**, Op.Cit., P 278 ;

أشار زهير إحدادن أن الطالب عمارة رشيد اتصل به، بغرض التنسيق ووقع هناك لقاء في حديقة الحامة، بحضور كل من عمارة رشيد وعبّان رمضان⁽¹⁾.

خلال هذه الفترة نشط ممثلو الطلبة في عملية تحسيسية، بغرض التوصل إلى ائتلاف طلابي موحد، وسافر على جناح السرعة إلى باريس وفدا طلابيا لشرح هذا الغرض، بين الطلاب على اختلاف تياراتهم ومشاربهم السياسية، ومن بين عناصر هذا الوفد نذكر بلعيد عبد السلام، محمد الصديق بن يحي، وبغلي؛ وقد استطاع الوفد تبليغ الرسالة وإقناع عدد من الطلبة بأنه، حان الوقت للبحث عن الوحدة الطلابية، كما تمكّن الوفد أيضا من ترجيح الكفة، لصالح مؤيدي الاتجاه الإسلامي وهو تثبيت حرف الميم.

بادر الطلبة الأولون إلى تأسيس اتحاد طلابي، تحت اسم إتحاد الطلبة الجزائريين بباريس " إ. ط . ج . ب "، وكان تنظيمًا مفتوحًا لكل طالب، من أصل جزائري، مؤمن بضرورة استقلال بلاده دون تمييز عرقي أو ديني، (وهذا وفق توجهات الحزب الشيوعي الجزائري)، هدف هذا الإتحاد كان تشكيل نواة أولى، للمّ شمل الطلبة الجزائريين بنفس المقاييس السياسية، غير أن المؤتمر التأسيسي الذي كان مزعم عقده في جوان 1954⁽²⁾ لم يتم، لأن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يفضل تشكيل، اتحادين متميزين عن بعضهما واحد في فرنسا والآخر في الجزائر، وأثناءها جلب هذا الاتحاد عددا كبيرا من الطلبة، بفضل نشاطه النقابي والاحتجاجات التي كان يقوم بها.

وكان المكتب الإداري يضم، إلى جانب مؤسسيه الشيوعيين (مثل أحمد ينال)، عددا من الوطنيين المستقلين، من أنصار الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين، وكذا أعضاء من حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وعلى ما يبدو، كان بلعيد عبد السلام، الرئيس السابق لجمعية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية، والمسؤول عن الطلبة في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، قد استقر في باريس في أواخر سنة 1953، لمقاومة مشروع الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، ولتجسيد مشروعه وهو: الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تقرّب من المناضلين الشباب، في جمعية العلماء وهو أحمد طالب الإبراهيمي، وكذا في الإتحاد

1- مقابلة شخصية مع المبحوث زهير إحدادن، بمقر سكنه بالعاصمة، تاريخ 2011/03/16، أنظر المقابلة رقم (6).

2- غي برفيلي، الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية 1880-1962، مرجع سابق، ص 219.

الديمقراطي للبيان الجزائري، مصطفى ياكور اللذان سبقا أن طرداه من قيادة جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية⁽¹⁾، وكان بلعيد في مسعاه هذا، يهدف إلى عزل الشيوعيين وأنصارهم، داخل إتحاد الطلبة الجزائريين بباريس.

في شهر ديسمبر 1954، انتخبت جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية في مدينة الجزائر، مكتبا قياديا وحدويا تحت رئاسة محمد بغلي، وكانت حركة انتصار الحريات الديمقراطية، المنحلّة في شهر نوفمبر من طرف السلطات الفرنسية، قد انضمّ إليها من جديد عبد القادر بلعربي وعبد الرحمان خان؛ تميز المكتب المذكور بطرح سياسي جديد، تمثل في المصالحة مع الجمعية العامة للطلبة الجزائريين، (التي خصصت للمسلمين منصبا قياديا)، على أساس قاعدة الحياد السياسي الذي تمسكت به هذه الأخيرة.

كان هناك ميلا مفاجئا إلى المواقف النقابية التقليدية، من طرف الأمانة العامة للجمعية، وتقربا إلى الطلبة رفقاءهم من الفرنسيين، لكن هذا التقارب لم يغير من قناعاتهم السياسة النابعة من مقومات الهوية الوطنية، وهي الإسلام واللغة العربية وتاريخ الأجداد.

فبالنسبة للوفد الذي توجه إلى باريس، كانت قناعات أعضائه وجموع الطلبة الممثلين لهم، هو عدم البقاء على ولاء الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بباريس، المشوب بالتوجه اليساري المرتبط بالتوجهات الفرنسية، وكان أيضا هناك أثر كبير للنجاح الذي حققته الحركة الطلابية التونسية، التي تمكنت في سنة 1953 من تأسيس الإتحاد العام للطلبة التونسيين، وهذا الرأي يؤكد صالح بن القبي في إشارته للظروف، التي مر بها إتحاد الطلبة المسلمين في أولى مراحلها⁽²⁾.

وحسب رأي بن القبي دائما، فإن مبادرة ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كانت بادرت بها أولا جمعية طلبة مسلمي شمال أفريقيا المقيمين في الجزائر، بإيعاز من جبهة التحرير الوطني، وفي ذلك المسعى احتضنت باريس ما بين 4 إلى 7 أبريل 1955، اجتماعا تحضيريا للتشاور في كيفية تشكيل منظمة طلابية جزائرية موحدة⁽³⁾، وقد

1- غي برفيلي، نفس المرجع، ص 220.

2- مقابلة مع المبحوث صالح بن القبي بمقر سكنه، بتاريخ 2011/08/28، للمزيد أنظر: المقابلة رقم (7).

3 - Ahmed taleb- Ibrahimi, Mémoires d'un Algérien, rêves et épreuves (1932-1965), Tome 1, Ed Casbah, Alger, 2006, P 95.

ضمّ هذا الاجتماع بعض الممثلين، عن طلبة جامعة الجزائر وطلبة الجامعة الفرنسية، وخلالها أعلن عن تشكيل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (L'U.G.E.M.A)⁽¹⁾.

والإعلان عن ميلاد هذا التنظيم الطلابي لم يكن بالشيء اليسير، بل يعد مخاضا عسيرا مشوبا بنقاشات حادة تمت خلال اللقاءات التحضيرية، التي تركزت حول تسمية الإتحاد، الذي يحمل بين طياته مدلول التوجه الأيديولوجي الجديد لجموع الطلبة، ولذلك فلا غرابة أن يحتدم الصراع حول الإلتناء الفكري والعقائدي فيما بينهم⁽²⁾، إذ حبّذ بعضهم الإبقاء على تسمية الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين (L'U.N.E.A.P)، في حين يؤكد البعض الآخر تبني التوجه الإسلامي في التنظيم الطلابي، وتسمية الاتحاد باسم الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (L'U.G.E.M.A)، أي إضافة كلمة مسلم في عنوان الإتحاد، ويؤكد الكثير من الطلبة أن التسمية الجديدة جاءت لحسم الموقف، والتعبير عن الإلتناء للهوية الإسلامية للطلبة الجزائريين، الذين ناضلوا من أجل هذا التوجه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، خلال مؤتمرات جمعية طلبة مسلمين شمال إفريقيا، ما يجسد إنتمائهم الإسلامي والذي هو جزء من طموحات ثورة التحرير، ومن ثمّ رفض الطلبة التنازل عن أقدس مقومات شخصيتهم، وقد زكوا ذلك الإلتناء وطالبوا بترسيمه خلال مؤتمرهم التأسيسي، الذي احتضنه قصر التعاون بباريس ما بين 8 إلى 14 جويلية 1955.⁽³⁾

إن ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بباريس، ليس بفضل مساهمة الطلبة المقيمين بباريس فقط، بل كانت هناك أطراف طلابية أخرى، فاعلة في إيجاد المناخ الملائم لهذه التشكيلة الطلابية الجديدة، هؤلاء الطلبة كانوا في جامعة الجزائر، وفي المؤسسات الثقافية الأخرى بتونس والقاهرة، وغيرهم من المعاهد العربية، كما يذكر يحي بوعزيز في هذا الشأن، حيث يقول: "...ومن الرواد المؤسسين للإتحاد العام سواء داخل الوطن أو خارجه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، محمد الصديق بن يحي، ومسعود آيت شعلال، وعبد السلام بلعيد، وأحمد طالب الإبراهيمي، وعبد الرحمان مهري، وعبد الرحمان شريط، وعيسى مسعودي والجنيدي خليفة، ومولود قاسم، وشلالي عبد القادر، ويحي بوعزيز

1- أنظر الملحق رقم (6) الذي يوضح القانون الأساسي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

2 - Moufouk Ali, Parcours d'un étudiant Algérien de l'UGEMA à l'UNEA, Ed Bouchenne, 1999, p.61.

3- حسين السعيد، "نشأة الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في معركة التحرير"، مجلة الأصالة، العدد 22، أكتوبر/نوفمبر 1974، ص 121.

والظاهر عمراوي⁽¹⁾، وصالحي أرزقي والبشير كعيس، وعيسى بوضياف، وعبد الحميد بن هذوقة، ونور عبد القادر، وقاسي عبد القادر وأبو القاسم سعد الله، ومنور مروش، وزعوب إبراهيم، ومحمد فارح، ومصطفى بوزيان⁽²⁾.

تزامن ميلاد الإتحاد مع فترة هامة من تاريخ الجزائر، وبعد تصعيد أسلوب القطيعة مع كل ما هو فرنسي، وقد زاد تلاحم الطلبة وتثمين علاقاتهم، مع الطبقة العريضة الشعبية ورفض الإستعانة بالقوة للاستعمار، ومن ثمّ فلا غرابة أن نجد توافق الاسم مع المسمى، بعد أن أصبح مصطلح الإتحاد، الذي استوحى مرجعيته من الدين الإسلامي، يعبر عن الأغلبية من الطلبة، باعتبار أن الإسلام يعد العامل الموحد والمشارك بين الجزائريين، والمعبر عن انتمائهم الحضاري، وأصبحت كلمة مسلم لا تعبر عن التعصب الديني، بل جسدت مستوى التكوين الذي بلغه الكثير من الطلبة وقتها، بما فيهم الطلبة الذين يزاولون دراستهم في المؤسسات الفرنسية، ولعل ذلك مردّه إلى نضج الحركة السياسية وتوغلها بين صفوف الطلبة، ورفض الكثير منهم سياسة المسخ والإندماج، بل تحولت التنظيمات الطلابية، إلى منهج للتعاون ونبذ الفرقة والتصادم، وهذا ما أشار إليه فرحات عباس بقوله: "إن ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، يمثل نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ الكفاح الثوري الجزائري..."⁽³⁾

إن صراع الميم جلب للاتحاد بعض المتاعب، وبرزت الاعتراضات بين الطلبة خصوصا، من طرف مجموعة الشيوعيين والإندماجين واللاوطنيين، الذين رفضوا الإنتساب للإسلام، بل دافعوا على التوجه اللائكي، وقبلوا بالعيش في كنف الوجود الفرنسي الكولونيالي.

ومن هؤلاء الطلبة الذين رفضوا حرف الميم بعض طلبة جامعتي باريس وتولوز، ولم يخفوا معارضتهم للتسمية الجديدة للطلبة، النابعة من المدلول الإسلامي الحضاري للجزائريين الوعاء الحافظ للشخصية الوطنية، لكن مناورة دعاة التوجه اللائكي باءت كلها بالفشل

1 - يحي بو عزيز، نفس المرجع، ص 228.

2 - نفس المرجع، ص 287.

3- فرحات عباس، "إن مشاركتكم في الكفاح التحريري يجعل منكم طليعة الثورة"، جريدة المجاهد، 8 أوت 1960، ص 9.

الكبير، ولم تتمكن من حذف كلمة " الإسلام " والغائها من تسمية الطلبة⁽¹⁾، وبعد ذلك انتصارا جديدا للمسار الوطني، وفصلا نهائيا بين الطلبة المسلمين الجزائريين الوطنيين، وبين الطلبة الجزائريين الخادمين للحضارة المسيحية⁽²⁾، حسب تعبير بلعيد عبد السلام الذي يعدّ من المؤسسين للإتحاد⁽³⁾.

هكذا خرج النضال الطلابي من حيز الصراعات الضيقة، إلى الأخذ بمبدأ الوطن قبل كل شيء، وإدراج المكتسبات اللغوية والدينية والوطنية، في انشغالات الطلبة من خلال تعميق الإتصال، وإصدار المناشير ونشر اللوائح وكتابة البيانات، وتمكنوا بذلك من الفصل في وقت مبكر، في قضية الهوية الوطنية منذ لقاء شهر أفريل 1955، وقد دون الطلبة ذلك الانتصار في نشرتهم بقولهم: " لقد جرّد الطالب الجزائري منذ زمن طويل، من ثقافته العربية الإسلامية ومن لغته العربية، وعليه وقبل كل شيء أن يفرض شخصيته الجزائرية، مطالباً ومدافعاً عن تراثه الثقافي الذي ورثه عن الحضارة العربية، وما تأسّس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سوى شهادة ناطقة، عن تلاحم وتفاعل الطلاب الجزائريين مع الشعب الذي ينحدرون منه، وهو الشعب الذي أبقى إلا أن يحافظ على شخصيته، ورفض أن ينسى ماضيه وأمجاد الحضارة التي ينتمي إليها، كما نرفض أن يخون الدور التاريخي المنوط به، الذي لا يخرج بأي حال من الأحوال عن إطار عروبه وإسلامه⁽⁴⁾.

إعتبر إتحاد الطلبة الجزائريين بباريس (U.E.A.P)، الإنتصار الذي حققه الطلبة في فرض "حرف الميم" انتكاسة في حق الإفتتاح الطلابي، بل حاول إفشال مؤتمر (L'UGEMA)، ودعا إلى مؤتمر مواز بباريس، استجاب له ممثلين جاءوا من كل جامعات فرنسا⁽⁵⁾، ولكن المؤتمر آل إلى الفشل الذريع، ومن ثمّ إجبار بقايا المناضلين في إتحاد الطلبة للإلتحاق بالإتحاد العام للطلبة، بعد أن أصبحوا أقلية لا يمثلون إلا أنفسهم، وبذلك اندمجوا مكرهين مع الإتحاد العام، بصفته الممثل الشرعي الوحيد للطلبة المسلمين الجزائريين، المساندين لمبدأ وقرارات أول نوفمبر 1954⁽⁶⁾.

1- مقابلة مع المبحوث محمد تومي، بمقر عيادته الطبية بالجزائر العاصمة، بتاريخ 2012/06/08، للمزيد أنظر: المقابلة رقم (9).

2- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، مرجع سابق، ص 18.

3 - Mohamed Harbi, FLN mirage et réalité, Casbah édition, Alger, 2004, P. 303.

4- أحمد ينال ومحمد حربي، " كفاح الطلبة الجزائريين "، مجلة الطالب الجزائري، عدد 1، 15 نوفمبر 1955، ص 6.

5- حمادي عبد الله، نفس المرجع، ص 55

6- غي برفيلي، نفس المرجع، ص 221.

صراع الميم هذا دوافعه بالنسبة لإتحاد الطلاب الجزائريين ، كان اعتناقهم وتبنيهم لإيديولوجيات سياسة معينة، فهم مناضلون ماركسيون متأثرون بالحزب الشيوعي الفرنسي، وبالنظرة الكولونيالية العنصرية، هؤلاء الطلبة كانوا لا يعيرون أهمية للبعد الديني والثقافي، الذي طبع الحركة الوطنية الجزائرية، وشكّل حاجزا منيعا لوقايتها من الاندماج، حيث استطاعت الحجج التي قدمها أحمد طالب الإبراهيمي، - وهو أول رئيس لـ (L'UGEMA) - في هذا الصدد، إفشال مساعيهم التي أكدها أمام أغلب المشاركين، على أن الطالب المسلم الجزائري قد فطم بالرغم عنه، وحرّم من ثقافته العربية الإسلامية، ومن لغته الأصلية التي هي اللغة العربية ، فعليه إذن قبل كل شيء، إثبات شخصيته والمطالبة بترائه الثقافي ، الذي خلّفته الحضارة العربية والدفاع عنه ...". (1)

في هذا الشأن يقول أحمد طالب الإبراهيمي :".إن المشاكل المطروحة على الطالب المسلم الجزائري من نوع خاص، ففي الجزائر تتعايش مجموعتان بشريتان، ويجب أن يسود بينهما جو من الإحترام المتبادل للشخصية المميزة لكل منهما؛ في حين كانت الشخصية الجزائرية يوميا عرضة للقمع والتكيل (...)، ينبغي أن تعطى لها فرصة إثبات نفسها ، يجب أن نكون موجودين أولا، قبل أن نسعى للتعايش...".

إذن، حسم الطلبة في قضية الإنتماء الإسلامي، وأدخلوا حرف الميم في تنظيمهم الطلابي، وتمكنوا من عرض ذلك الإنتماء الحضاري، الذي كاد أن يلغى من الهوية الجزائرية، فرضا مالك وهو من مناضلي الإتحاد، أبرز بدوره ضرورة التماشي مع ما كانت تهدف إليه الثورة، من طلبتها ولم يعد التنظيم الطلابي مجرد نقابة تعاضدية، بل أن يقدم نصيبه النوعي لمعركة التحرير، وهو نصيب يتوافق مع المستوى الثقافي، الذي كانت الثورة في حاجة ماسة إليه، والطموح كله كان يتمثل في بروزهم كمنقذين عضويين وكبداية لإنتليجانسيا قليلة العدد، ولكنها تشاطر بصورة حميمية مصير شعبها⁽²⁾، لذلك وجب الحسم بشأن هذه الهوية وتأسيس (L'UGEMA) ردا على هذا التساؤل.

لقد جرى التلاعب زمتا طويلا بالشخصية الجزائرية، فكيف يقبل الطلبة الجزائريون في ذلك المنطلق الحاسم، أن يغضّوا الطرف عن هذا الموضوع بمثل هذه الأهمية، وأن

1 - L'étudiant Algérien (UGEMA), n°1, 15 Novembre 1955, p 4.

2 - Charfa Ibrahimi, L'intellectuel Et La Révolution Algérienne, Edition Houma, Alger, 2001, p.55.

يفسحوا المجال باسم تنازل في غير موضعه، والحقيقة هي أن أطروحة الذين أسسوا الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تعارض أفكار مورييس طوريس حول الأمة الجزائرية في طور التكوين⁽¹⁾، وكان ذلك خلال زيارته إلى الجزائر في فيفري 1939، حيث اعتبر أن هذه الأمة الجزائرية، هي خليط من العديد من الأجناس المختلفة، منها البربر والعرب، وقد غرس التيار الشيوعي مبادئ حزبه وسط المؤسسات الثقافية، ونشر أفكاره التي وجدت برامجها عند العديد من الطلبة الجزائريين، خصوصا الذين درسوا في المؤسسات الفرنسية، لكن عددهم كان قليلا، لأنه في بداية 1934 كان عدد الطلبة، الذين يدرسون في كليات ومعاهد وجامعة فرنسا لا يتعدى الـ 300 طالب.

2- مبادئ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

أرسى الإتحاد لنفسه أسسا تنظيمية، كي يحافظ على استمرار عمله، جعل من المؤتمر الهيئة العليا للإتحاد وبسيطرة الميكانيزمات المستقبلية للعمل الطلابي، ودراسة آفاق تتلاءم وطروحاته، هذا فضلا عن اللجنة المديرية للمؤتمر والتي تشرف على توفير المناخ الملائم لإنجاحه، ثم المجلس التنفيذي المنتخب الذي يتولى التطبيق الميداني، لكل الإجراءات والقرارات التي يصادق عليها المؤتمر، وأسندت رئاسة مكتب الإتحاد بجامعة الجزائر، إلى محمد الصديق بن يحي⁽²⁾، برفقة مجموعة من زملائه أمثال: عمارة رشيد وصالح بن القبي. وفي هذا الصدد يذكر بن القبي، أن دوافع اختيار باريس للإتحاد كمقر رسمي له، مردّه إلى جملة من العوامل أهمها : سهولة النشاط الطلابي في باريس، بفضل وجود بعض

1- رضا مالك ، الإتحاد العام لطلبة المسمين الجزائريين ، المغزى من حرف الميم في هذه التسمية، جريدة الخبر، الموافق لـ 5 جويلية 2005، للمزيد أنظر: المقابلة رقم (4).

2- ولد محمد الصديق بن يحي- وهو أحد مؤسسي الإتحاد العام- في 30 جانفي 1932 بجيجل، زاول دراسته ، واستطاع الحصول على شهادة الليسانس في الحقوق بجامعة الجزائر.

- نضاله قبل الثورة : مارس بن يحي عدة مهام منها : أنه انضم إلى حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية عام 1951، ثم انسحب منها ، لكنه بقي متصلا بمناضلي الحزب باستمرار=

= نشاطه الثوري: شارك في تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، سنة 1955، مع كل من أحمد طالب الإبراهيمي، والأمين خان، كان من المنظمين لإضراب الطلبة الجزائريين عن الدراسة، والتحاقهم بصفوف جبهة التحرير الوطني في مؤتمر الشباب بباندونغ سنة 1956، عيّن عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، ثم عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1960، شارك في المفاوضات الجزائرية، الفرنسية (1960-1962)، ولعب دورا كبيرا في التأثير على مسارها.

نشاطه السياسي بعد الإستقلال : عيّن وزيرا للخارجية عام 1979 وعضوا المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني. توفي محمد الصديق بن يحي ليلة 3 ماي 1982 ، إثر حادث طائرة على بعد 50 كلم من الحدود الفاصلة بين العراق وتركيا ، حيث كان في مهمة دبلوماسية لحل الخلاف بين العراق وإيران.

الحريات التي كانت مفقودة في الجزائر، فضلا عن كثرة الطلبة الجزائريين بفرنسا، وحتى الطلبة الأجانب من دول عربية وأجنبية، التي عادة ما كانت تساند قضايا مناهضة للإمبريالية والإستعمار⁽¹⁾.

إنّ المبادئ التي آمن بها الإتحاد مستوحاة، من الروح الوطنية والثورية التي ميزت الفترة، وهي تصب في قالب الدفاع عن المصالح المعنوية والمادية، لمجموع الطلبة أينما كانوا، لكن كان الهدف الأسمى الذي راهن عليه جميع أفراد الشعب الجزائري المكافح، بحيث تزول جميع الفوارق التي أرسنها التقاليد الجامعية الفرنسية.⁽²⁾

لقد تجسدت مبادئ الإتحاد منذ المؤتمر التأسيسي، من خلال المداخلات والخطب الهامة التي عبر عنها الطلبة، وهي التمسك بمقومات الشخصية الجزائرية منها اللغة العربية والدين الإسلامي⁽³⁾، وقد راهن الطلبة على جملة من المبادئ والأهداف، التي سوف تعزز من تميز وجودهم، كشريحة مثقفة مناضلة وجدت لخدمة القضية الجزائرية، ومن أهم الخطوات التي رسمها الإتحاد:

1- بناء كتلة طلابية موحدة الصفوف، مع فتح آفاق أوسع للانخراط وانتشال باقي الطلبة من التنظيمات الغيروطنية، مع تجنب الصراعات ونبد الحزبات⁽⁴⁾، التي عادت تمزق التنظيمات الطلابية والجمعية.

2- إدراج المطالبة باستعادة اللغة العربية في أولى مطالب الإتحاد، وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل الإحتلال، باعتبار أن عنصر اللغة يحتل لبنة الوحدة، بل أحد دعائم الشخصية الجزائرية.

3- الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للشرعية الطلابية في الجزائر، وفتح الآفاق للتبادل الثقافي والفكري مع الدول الصديقة، وخاصة المجاورة، منها كتونس والمغرب وغيرها⁽⁵⁾.

4- محاربة آفة الجهل باعتباره وسيلة استعمارية، ونشر التعليم وربط المدرسة بالواقع الجزائري.

1- مقابلة شخصية مع المبحوث السيد صالح بن القبي، بتاريخ 2012/10/23 بمقر سكنه بالجزائر العاصمة.

2- مجلة المجاهد، عدد خاص، 1 نوفمبر 1959، ص 08.

3- مقابلة خاصة مع المبحوث السيد أحمد طالب الإبراهيمي، بتاريخ 2012/11/05 بمقر سكنه بالجزائر العاصمة.

4- مجلة المجاهد، عدد 74، 8 أوت 1960.

5- حسين السعيد، نفس المرجع، ص 123.

5- ربط مصير الطلبة بمصير الأمة الجزائرية، لإزالة الحواجز السيكولوجية المتمثلة في عقدة التفوق، التي غرستها الجامعة الفرنسية في نفسية الطلبة الجزائريين ، لإبعادهم عن الواقع ومعاناة شعبهم⁽¹⁾.

3- برنامج الإتحاد وأهدافه في خدمة عدالة القضية الجزائرية:

تمثل البرنامج في خدمة القضية الجزائرية داخليا، بوسائل مختلفة سواء منها المدنية أو العسكرية، وثانيا هو النضال والعمل على المستوى الخارجي، هذا الجانب يكتسي أهمية بالغة مقارنة بالعمل الداخلي، وبزعم من ضخامة العمل ، فإنّ الإتحاد رأى ضرورة رسم هدفين لإنجاح العملية؛ الأول هو إعداد الإطارات والفنيين والمكونين، ويعتمد ذلك بالخصوص على الإكثار، من البعثات الطلابية إلى الدراسة في الخارج، سواء إلى أوروبا الشرقية أو الغربية، أو حتى إلى العالم الجديد، وكذلك جنوب شرق آسيا بما فيها الصين، مع متابعة وتعزيز البعثات الطلابية إلى البلاد العربية، خصوصا إلى تونس والمغرب بعد ارتفاع، عدد اللاجئين الجزائريين إلى هذين البلدين الشقيقين.

أما الهدف الثاني: فيتمثل في خدمة عدالة القضية الجزائرية وكسب مناصريها، بين مختلف الأوساط الطلابية والنقابية، التي يتصل بها الطلبة الجزائريين⁽²⁾.

1- عمار هلال ، نفس المرجع، ص 29.

2- نفس المرجع ، ص 30.

المبحث الثاني: هيكلية الإتحاد العام ضمن التنظيمات الجماهيرية وعقد المؤتمرات:

1- المؤتمر التأسيسي بباريس 8-14 جويلية 1955:

المؤتمر التأسيسي للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين "L'UGEMA" ، الذي احتضنته قاعة التعااضدية (Mutualité) بباريس، ما بين 8 و 14 جويلية 1955 ، يعدّ نقطة فاصلة بين عهدين مختلفين في مسار النضال الطلابي الجزائري، وذلك سواء من الجانب الإيديولوجي، أو التكتيكي والمستقبلي للعمل الطلابي وعلاقته بالوطن، خصوصا بعدما تبلورت معالم الصراع الفكري والسياسي، بين فصائل الطلبة المتواجدة في جامعة الجزائر أو في الخارج، وبالخصوص بين الفريق المناصر لحرف « M » أي المسلمين، والفريق المدعم لحرف « L » أي « Laïques » اللاتكي، وهو ما يسمى وقتها ولا يزال على الألسن بما عرف بمعركة حرف الميم.

وهكذا دخل الطلاب هم أيضا في ثورة فكرية وعقائدية أيديولوجية، أرادوا من خلالها تعميق الإنتماء الحضاري الإسلامي في سلوكهم اليومي، والتعبير بكل صراحة عن مرجعيتهم الفكرية والدينية، التي طمسها الإستعمار لأزيد من قرن من الإحتلال، ومن ثمّ غلق الطريق أمام دعاة الردّة والهوية المستوردة، والهادفة إلى فرض هوية الإستعمار وتحبيذ قيام مجتمع لائكي شيوعي⁽¹⁾.

ومن دون شك فإن ميل (L'UGEMA)، في هذا الظرف الصعب والثورة التحريرية تحت المحكّ، سوف يوجه جملة من العواصف سواء من طرف، خصومه التقليديين الفرانكو-شيوعيين أو من قبل الإدارة الإستعمارية، الراضة لأي تغيير في الجزائر، ما لم يكن من طرف إدارتها الخاصة، وخصوصا إذا كان التغيير من قبل الطلبة الذين يمثلون الفئة الحية في المجتمع، وهم قلة في الجامعة، عشية اندلاع الثورة التحريرية، ولا يمثلون سوى نسبة ضئيلة جدا مقارنة بأبناء المعمرين، الذين يدرسون في التعليم العالي، ولو كانت نسبة التمدريس بالجامعة تتماشى ونسبة السكان الجزائريين، فوقتها وصل عدد الطلبة الجزائريين إلى ما يقارب الـ 570 طالبا، لكن حقيقة الأمر والواقع يبرز أنّ كل طالب

1 - Bouguessa Kamel, "Aux sources Du Nationalisme Algérien, Les Pionniers Du Populisme Révolutionnaire En Marche", Casbah Editions ,Alger, 2000, p.100.

جامعي أوروبي لكل 227 من مجموع المعمّرين، يقابله كل طالب جزائري لكل 15342 من سكان الجزائر، والجدول المرفق يوضح ذلك:

الجدول رقم (05): يبيّن نسبة الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في جامعة الجزائر مقارنة بالطلبة الأوروبيين 1957⁽¹⁾.

الكلّيات	مجموع الطلبة	الطلبة الأوروبيون	الطلبة الجزائريون
الحقوق	1913	1534	179
الطب	824	714	110
الصيدلة	427	393	34
الآداب	1347	1175	172
العلوم	835	773	62
المجموع العام	5147	4589	557

وبتتبع سير الإتحاد في هذا المؤتمر، نجده زكى أحمد طالب الإبراهيمي رئيساً للمنظمة، وإثرها قدم خطاباً أوضح فيه برنامج الإتحاد، ووضع الأهداف الأساسية للإتحاد، من بينها توحيد الطلبة وربط مصيرهم كمتقنين، بمصير شعبهم المكافح، وإزالة جميع الفوارق التي أقامتها وكرّستها التقاليد الإستعمارية⁽²⁾.

إن إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، هو نتيجة حركة جدلية تعرّف في آن واحد من جهة، رغبة الطلبة في الإلتحاق بصفوف الشعب والمساهمة في الثورة، ومن جهة أخرى رغبة جبهة التحرير في احتواء طاقة الطلبة وتوظيفها⁽³⁾.

يقول السيد مسعود آيت شعلال: "...أنه لن نستطيع فهم رسالة الإتحاد، ما لم نضعها في إطارها الطبيعي، الذي هو الكفاح التحريري الذي يخوضه شعبنا ضمن هذا الإطار،

1- كوليت وفرانسيس جانسون، الجزائر الثائرة، ترجمة: محمد علوي شريف خليل وهنري يوسف سردار، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، 1957، ص 127.

2- صالح بن القبي، " الحركة الطلابية وثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة"، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 02، جانفي 1999، ص 406.

3- غي برفيلبي، نفس المرجع، ص 110.

ندرك حينها أن المشاكل الطلابية الثقافية هي في حقيقة الأمر ثانوية، ومرتبطة بظروف المعركة التحريرية، التي يتوقف عليها مصير الجزائر بأجمعها، فاتحادنا قد كَوّن ليكون وجهة نضالية في إطار ثورتنا⁽¹⁾.

وتجسيدا لتوصيات المؤتمر، بدأ بإنشاء الفروع للإتحاد، والتي اقتصرت في البداية على جامعة الجزائر والجامعات الفرنسية، إذ أنه في الجزائر، بعد عودة الطلبة المؤسسين من المؤتمر، تم التوجه نحو تشكيل مكاتب فرعية .

2-المؤتمر الثاني بباريس 1956:

بعد مضي ثمانية أشهر على ميلاد "L'UGEMA" ، عقد الإتحاد مؤتمره الثاني ما بين 24 و 28 مارس 1956، وجاء وسط ظروف استثنائية، بعد تعرّض العديد من الطلبة إلى الإعتقال والإغتيال، من طرف السلطة الإستعمارية في العديد من الأحيان.

تزامن عقد المؤتمر أيضا والثورة تفكر، في عقد مؤتمر الصومام سنة 1956، ولذلك فإن الحدث الطلابي يعكس نقطة جوهريّة، في مشوار النضال الطلابية وعلاقته بالثورة الجزائرية، كما يمثل اختبارا حقيقيا وجديدا، حول مدى استيعاب الإتحاد للقيم والتوجهات الجديدة، التي أفرزتها الساحة الجزائرية.

المؤتمر شدد اللهجة ضد السياسة الفرنسية، وعملائها من بعض الطلبة الجزائريين الذين ظلوا يحلمون بالجزائر فرنسية، بل إنهم تنكروا لهويتهم وشخصيتهم العربية الإسلامية، ونلمس ذلك من خلال الكلمة الختامية التي ألقاها الطالب محمد خميستي، والتي جاء فيها على وجه الخصوص: " كيف نزول دراستنا ونحن نجرّ في أرجلنا قيود العبودية والإستعمار...، يطالب الطلاب المسلمون الجزائريون بحقهم في الحفاظ على شخصيتهم وأصالتهم، بدراسة وتعليم لغتهم والبحث عن جذورهم الثقافية، قضيتهم الأساسية قضية الحرية والإستقلال⁽²⁾ يعتبران، الركيزة الأساسية لكل ما يترتب عن ذلك..".

كما شنت الإدارة الإستعمارية على طلبة الإتحاد حربا نفسية، وحرمتهم من حقوق الخدمات الجامعية، كما حاولت تشتيت صفوفهم وتعميق بعض الحساسيات، التي عادة ما

1- مركز الأرشيف الوطني، رصيد الحكومة المؤقتة الجمهورية الجزائرية، "التقرير الأدبي المؤتمر الرابع للإتحاد"، من 26 جويلية إلى 09 أوت 1960 ببئر الباي ، العلبة 225، الملف: 03، أنظر الملحق رقم (10) و رقم (11).

2- عمار هلال ، نفس المرجع، ص 34.

تكون موجودة بين فصائل الطلبة، واللائحة التي توجت أعمال المؤتمرين، تبدا من خلالها مواقفهم الواضحة من قضية وطنهم.

وتكرّس كلمة مسعود آيت شعلال أمام الطلبة في المؤتمر الثاني، ذاك الموقف من قضية الوطن في قوله: "...اعتبارا من أن الإستعمار مصدرا للبؤس والجهل، وسلب كرامة الشعوب، فإننا نعلن بأن كفاح الشعب الجزائري عادلا وشرعيا، ومسائرا للتطور التاريخي للشعوب، وأن هذا النضال لن تكون له أية نهاية، غير وصول الشعب الجزائري إلى سيادته..."(1).

ويضيف السيد الأمين خان لما تم تداوله في المؤتمر قائلا: " عبّرنا بصراحة على أن جبهة التحرير الوطني، هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، وقيادته في معركة التحرير الوطني... ". (2).

إتخذ الإتحاد في هذا المؤتمر موقفا جريئا من الإستعمار، هو كفاح الشعب الجزائري والمطالبة بالإستقلال، الذي يعتبر أول هدف للثورة الجزائرية، فنشاط الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أثر إيجابا على البنية الثقافية والتعليمية في الجزائر.

وتذكر مصادر تاريخية، أن سنة 1956 شهدت نشاطا تضامنيا في قطاع التعليم، تمثّل في بروز حركات احتجاجية منها المظاهرة، التي شاركت فيها هيئات تعليمية هامة، مثل جمعية التعليم ومحاربة الأمية، واتحاد التعليم الوطني ونقابة المعلمين، ونقابتا التعليم الفني، والإتحاد الجزائري لمجالس أولياء التلاميذ⁽³⁾، وخلال هذه المسيرات رفع المتظاهرون شعارا، يؤمّن معاهد التعليم في الجزائر، كما ألصقوا على الجدران منشائر يطالبون فيها، بضرورة فتح وتوسيع المدارس في القرى والأرياف، كما أجمعت الهيئات المجتمع على نبذ واضح قائلة من خلاله: " إن لم توضع سياسة ثورية للتعليم، فإن الحالة خطيرة جدا وسرعان ما تتحول إلى الكارثة المروعة"⁽⁴⁾.

1- مسعود آيت شعلال ، في المؤتمر الثاني لـ UGEMA المقاومة الجزائرية ، العدد /03، 03 ديسمبر 1956، ص 09.

2- الأمين خان ، " إضراب 19 ماي 1956 "مجلة أول نوفمبر، العددان 138-139، 1992، ص 22. للمزيد: أنظر الملحق رقم (7).

3 - أحمد مريوش، نفس المرجع ، ص 379.

4- كوليت وفرنسيس جانسون ، نفس المرجع، ص 128.

3- دور إضراب 19 ماي 1956 في قلب موازين الإتحاد العام

كان للإتحاد العام من خلال مؤتمراته السابقة، مطالب عديدة ومتكررة ومحددة، والتي لم تستجب لها الإدارة الفرنسية، خاصة بعد المؤتمر الثاني، بالإضافة إلى ما كانت تشهده الساحة الجزائرية من تطور كبير، كاتساع رقعة الثورة وشمولها، بانضمام جل التشكيلات السياسية وشرائح واسعة من المجتمع إلى صفوف الثورة، لذا أصبح الطلبة في موقع يحتمّ عليهم اتخاذ قرار يعبرون فيه، عن مشاركتهم العلنية والميدانية في الثورة، فكان الإضراب اللامحدود هو المجدّد لذلك.

يقول في ذلك السيد صالح بن القبي: "... إن بدايته كانت قد تقرر منذ شهرين على الأقل، من خلال مشاورات اجريت بين ممثلين لقيادة الثورة، ومنهم عبان رمضان وبعض الطلبة منهم عمارة رشيد - بعد خروجه من السجن - ، ومحمد الصديق بن يحي - قبل مغادرته الجزائر، ومن المؤكد أن السيد بن يوسف بن خدة، كان هو الآخر من الفاعلين في اتخاذ القرار والإعداد لتنفيذه، وترك الحرية للمكتب لتحديد التاريخ المناسب له، مع أسباب تبريره..."⁽¹⁾.

وهذا الأمر تؤكده القرارات التي خرج بها الطلبة في المؤتمر الثاني، والتي كانت صريحة في موقفها من الثورة، وجبهة التحرير الوطني من جهة، ومن فرنسا وسياستها الإستعمارية المطبقة في الجزائر من جهة أخرى.

وتجمع أغلب الشهادات التي اعتمدنا عليها، أن قرار الإضراب كان بإيعاز من قادة الثورة، حيث هيئت الطلبة بصفة مباشرة أو غير مباشرة لذلك، لأن الاتصالات كانت قائمة بين قادة الجبهة، وأعضاء فرع مكتب الجزائر للإتحاد.⁽²⁾

في حين اختلف الأمين خان في هذا الأمر ويقول: "... كان العمل جاريا على عقد الإجتماع، في أول الأمر بالحي الجامعي "لا روبيرتسو" بتيليملي، غير أننا بعد النظر قررنا توسيع هذا الاجتماع إلى اجتماع عام، وقبل وقته حيث وصل إلى أسماعنا أن أبناء الكولون - المعمرين - ، يعملون على إفساد هذا الاجتماع بكل الطرق والوسائل..، فغيّرنا المكان

1- مقابلة مع المبحوث صالح بن القبي بتاريخ 2011/08/28، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة ، أنظر المقابلة رقم (7).
2- أكد لنا هذا كل من المبحوثين: صالح بن القبي، مسعود آيت شعلال واحمد طالب الإبراهيمي، أنظر المقابلات رقم (7)، رقم (8) ورقم (2). للمزيد: أنظر الملحق رقم (7).

إلى نادي الترقى⁽¹⁾، وبعد ذلك قمنا بإعلام الطلبة بالمكان الجديد، وفي الوقت المحدد حضر الطلبة وقد تعدى عددهم المائتين، بحيث كانت القاعة الواقعة بالطابق الأول من العمارة مكتظة، وحسب اتفاق سابق، كان من المفروض ان يترأس الإجتماع الأخ علاوة بغلي، لكن لظروف ذاتية، تعذر عليه القيام بذلك، فصار لي شرف ترؤس هذا الإجتماع...، الذي طرحت فيه عدة قضايا تهمّ عالم الطلبة، وخاصة الوضع الذي صاروا عليه، وما وقع للأخ زّور بلقاسم، والدكتور بن زرجب بئلمسان، وغيرهما من الطلبة المناضلين، وما هو مطلوب منا نحن معشر الطلاب...، وقد برز أثناء النقاشات رأيان متميزان هما : الرأي الأول وكان يرى القيام بإضراب جزئي ومحدد، إنطلاقا من كونهم يرون بأن اتخاذ مثل هذا القرار الخطير، خارج قانونيا عن صلاحيات فرع الجزائر، أما الرأي الثاني وكان هو الأقوى ، فيرى القيام بإضراب عام ومفتوح، ويمتنع فيه نهائيا عن التقدم إلى الإمتحانات التي كانت على الأبواب، وسار الرأي الثاني الذي اتفق عليه بالإجماع...⁽²⁾.

هكذا إذن يبدو أن الطلبة عندما وصلوا إلى حل لم يعد بعده أي حل مجد، أو أي إحتجاج، اتجهوا نحو طريقة مباشرة تجعلهم يندمجون في صفوف الثورة ، خاصة - ، وأنه كما تبين - كانت العديد من الظروف، قد هيأت الجو لاتخاذ مثل هذا القرار، وعلى رأسها القمع الإستعماري واشتداد الثورة، ممّا سمح للطلبة بالخروج من ترددهم، بل مساندة زملائهم الذين التحقوا بالثورة من البداية.

وتوّج اجتماع الطلبة ببيان يعلنون فيه، الدخول في إضراب لامحدود عن الدروس والإمتحانات ابتداء من 19 ماي 1956.⁽³⁾

وفيما يخص الطلبة الجزائريين بفرنسا، فقد أصدرت اللجنة التنفيذية للإتحاد بيانا مطوّلا، أكد فيه تأييد الطلبة الجزائريين بفرنسا المطلق لنداء فرع الجزائر، وذلك بتاريخ 25 ماي 1956، ليتم تنفيذه من يوم الإثنين 28 ماي 1956، وندد البيان بقمع فرنسا للطلبة الجزائريين، وذكر بعض الأسماء الطلابية، التي كانت ضحية القمع الوحشي للشرطة الفرنسية.

1- يتفق على أنه المكان الذي انعقد فيه الاجتماع مع الطلبة كل من السادة: يوسف الخطيب ، سعيد حمروش ، وعلي لونيبي، في شهادتهم حول إضراب 19 ماي سنة 1959 ، وذكروا بأنه تم في يوم 15 ماي، أنظر: مجلة أول نوفمبر، العددان/ 138-139، ص 19.

2 - مقابلة مع المبحوث الامين خان بتاريخ 2010/09/11 بمقر سكنه بالجزائر العاصمة ، انظر المقابلة رقم (01)

3- أنظر نص النداء في الملحق رقم (7) .

وبهذا القرار الذي قام به الطلبة الجزائريين بفرنسا، اكتملت مقاطعة مقاعد الجامعات الفرنسية بالجزائر وفرنسا، مما فتح الباب أمام الطلبة، بالإلتحاق بصورة جماعية بصفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، واستطاعوا بذلك تجاوز الخلافات التي برزت، خلال المناقشات على قلتها، مما جعل القناعة تسود جلمهم.

والملاحظ أن البيان الذي أصدره الطلبة في فرنسا، يختلف عن البيان الذي صدر في الجزائر، ويرجع السيد مسعود آيت شعلال، هذا الإختلاف إلى سببين أساسيين هما: "عدم وجود نفس الظروف، فالجو المعيشي بفرنسا يختلف عنه في الجزائر هذا أولا، وثانيا في فرنسا كان فيه نوع من الحرية، التي سمحت بالإرتباط ببعض الأصدقاء، والنقابات الطلابية والسياسية، فأعلنّا أننا ضد الاستعمار الفرنسي، ولسنا ضد الثقافة الفرنسية، لطمأنة بعض الأوساط، ولهذا كان التعبير نوعا ما بيّنا، لكن المحتوى لا يختلف، فالجوهر نفسه في كلا البيانيين، وهذا الشيء كان مقبولا⁽¹⁾.

بهذا الإعلان سجل الطلبة الجزائريون موقفا حسم ترددهم، ومن دون شك شكّل دعما لرصيد ومسيرة الحركة الطلابية الجزائرية، التي التصقت بها لمدة طويلة صفة الإندماجية، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا، هو: ما سرّ تأخر الطلبة عن الإلتحاق بالثورة إلى غاية شهر ماي 1956 ؟.

أغلب الإجابات التي ظهرت في مقابلات الأعضاء الفاعلين في UGEMA ، تجمع على أن المرحلة التي سبقت الإضراب، كانت مرحلة تريث ورصد للموقف الملائم، وهناك أمر يجب أن نقف عنده، هو أن العديد من الطلبة الجزائريين التحقوا بالثورة - منذ بدايتها - ، وقد سبق ذكر أسماء عديدة - في الفصل الثالث - ، ولكن الإلتحاق بصفة جماعية وحتى تنظيمية، لم يتم إلا في التاريخ المذكور، ومن الأسباب التي جعلت الطلبة لا يلتحقون جماعيا بصفوف الثورة، هو المخاض العسير الذي عرف ميلاد الإتحاد نفسه، حيث ساد صراع حاد بين الطلبة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن جبهة التحرير الوطني لم تصدر قرارا، يجعل الطلبة يخضعون لأمرها، وقد يكون لهذا تأثير على الطلبة، فرمّا اعتقدوا أن دراستهم وإعدادهم للمستقبل، في حد ذاته يشكل سندا للثورة والجبهة.

1- مقابلة مع المبحوث السيد مسعود آيت شعلال بتاريخ 2012/04/06، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة ، أنظر المقابلة رقم (8).

لقد صاحب قرار الإضراب ضجة إعلامية كبيرة، حيث أذيع في ندوات صحفية، مما أعطاه صدى كبيرا في الأوساط الثقافية والسياسية بفرنسا، إذ كان بمثابة صفة للدوائر الفرنسية، حيث أثبت الطالب الجزائري على وحدة الشعب الجزائري، في كل فئات المجتمع ووراء قيادته الثورية، ولطمأنة بعض الأوساط الفرنسية ورد في البيان مايلي: "... عند الإعلان كتبنا حوالي ألفي رسالة، إلى العديد من الشخصيات نعبر لهم فيها، بأننا لسنا ضد الثقافة الفرنسية، بل تعبيرنا هذا وموقفنا من أجل تجسيد طموح شعبنا.."⁽¹⁾

وللإشارة فإن قرار الإضراب ومقاطعة الجامعة، لم يشمل كل الطلبة الجزائريين وكل الجامعات، بل اقتصر على مقاطعة الجامعة الفرنسية، كما تجمع حول هذه النقطة عدة آراء وشهادات شخصية، فمثلا الطلبة بالمشرق العربي، لم يكونوا معنيين بمقاطعة الدراسة، بل كانت لهم حرية التطوع في الالتحاق بالثورة، لأن الهدف الأول والأساسي من الإضراب، هو التأكيد لفرنسا بأن كل الشعب الجزائري مع الثورة، وكذلك بإبطال إدعاءاتها، ولفت انتباه الرأي الفرنسي إلى خطورة، أزمة العلاقات القائمة بين الشعبين الجزائري والفرنسي، وإشعار الأوساط الجامعية بوظيفة المتقنين، باحتمال مقاطعة الثقافة الفرنسية، إذ كانت تستعمل مبررا لإبادة الشعب برمته.."⁽²⁾

ويصف الأمين خان كيفية الالتحاق بصفوف جيش التحرير قائلا: "... أذكر أننا طلبة الجزائر العاصمة، قد دخلنا مرحلة السرية منذ بدء سريان الإضراب يوم 19 ماي 1956، حيث خضعنا بعدها بفترة تدريبية بأمر، وتحت إشراف الأخ الدكتور محمد الصغير نقاش، ودام التدريب أزيد من أسبوع، في منزل الأخ الدكتور بوضربة محمد، وقد تلقينا خلال تلك التدريبات على استخدام، وتقديم العلاج الأولي، مع بعض التوجيهات التي تدخل في مجال التوعية والتعبئة، ثم بعدها التحقنا بالجيال..."⁽³⁾

4- المؤتمر الثالث بباريس 1957 وحلّ الإتحاد "UGEMA":

1- مقابلة مع المبحوث مسعود آيت شعلال، بتاريخ 2012/04/06، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة، أنظر المقابلة رقم (8).

2- مقابلة مع المبحوث صالح بن القبي، بتاريخ 2011/11/08، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة، أنظر المقابلة رقم (7) للمزيد: أنظر الملحق رقم (17).

3- مقابلة مع المبحوث مسعود آيت شعلال بتاريخ 2012/04/06، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة، أنظر المقابلة رقم (8)

في شهر ديسمبر من سنة 1957، انعقد المؤتمر الثالث للإتحاد العام بباريس في سرية تامة، وبحضور ممثلين عن الجمعيات والمنظمات الدولية للطلبة، لدراسة أوضاع الطلبة المادية والمعنوية، وأوضاع الثورة وتطوراتها⁽¹⁾.

من الشخصيات التي حضرت المؤتمر السيد كليمو مور "Clément Moore"، ممثل الإتحاد الوطني للطلبة الأمريكيين، الذي ألقى كلمة جاء فيها: "... إن الحرية لا تتجزأ، والطلبة الأمريكيون يصرحون برفضهم لآثار الدنيئة للاستعمار الفرنسي، على الحريات الأساسية والشرعية في الجزائر، بالإضافة إلى العنصرية..."⁽²⁾

إضافة إلى هؤلاء حضر ممثلون عن ثلاثين فرعا للإتحاد، نيابة عن الطلبة الجزائريين المتواجدين في عدد من الدول كتونس، والمغرب، ألمانيا الغربية، سويسرا، بلجيكا وغيرها⁽³⁾.

وبعد إتمام كافة المراسيم والإفتتاحية، تمت مناقشة العديد من القضايا الخاصة بالطلبة، حيث تناول المؤتمر قرارات، المؤتمر الثاني تجاه الإستقلال، والمفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، والإقصاء لكل من لم يضرىوا.⁽⁴⁾ وفي آخر جلسات المؤتمر كان على الممثلين للفروع، تجديد انتخاب اللجنة التنفيذية، للإتحاد وبعدها تم اختتام الأشغال.

تجدر الإشارة إلى أن هذا المؤتمر قد نجح نجاحا كبيرا، جعل السلطات الإستعمارية الفرنسية تضاعف من قمعها للطلبة، ما يؤكد ذلك اتخاذها قرارا بحل الإتحاد بتاريخ 28 جانفي 1958 ، أي بعد شهر فقط من عقد المؤتمر، وغادر كثير من الطلبة فرنسا باتجاه دول أوروبية وعالمية، عبر سويسرا التي تحولت إلى نقطة عبور⁽⁵⁾.

أما الوضعية المأساوية التي كان يعيشها الطالب الجزائري بجامعة الجزائر، فكانت على النحو الذي وصفه بها أحد الطلبة الفرنسيين قائلا: "...إن جامعة الجزائر تشبه بطبيعتها أية جامعة إقليمية في فرنسا من جميع الوجوه، وإن الطلبة المسلمين لم يدمجوا فعليا، بل التحقوا بها، ولم يكن باستطاعتهم متابعة المحاضرات، والبحوث التي تجرى في مختلف

1- نفس المرجع، ص 128.

2 - **Le Monde**, n° 4022, 28 Décembre 1957, p. 03.

3 - **Alger Université**, Janvier 1958, p. 04.

4 - Le Monde, **Ibid**, p.03.

5- نفس المرجع، ص 128.

الكليات، إذ أنهم أبعدهم من الحياة الجامعية للطلاب الأوروبيين إبعادا تاما، والمسؤول عن ذلك هم المدرسون والطلبة الأوروبيون أنفسهم، الذين عاملوا الطلبة المسلمين بكل ميز وعنصرية، حيث كشفت عنها بوضوح وعملت على تدعيم تبيان هذا الميز...".⁽¹⁾

قرار حل الإتحاد، كان مادة إعلامية وظفها الطلبة الجزائريون لصالحهم، أكثر ما عكر قرار الحل نشاط الطلبة، وجعلوا من القرار الفرنسي وسيلة هامة، أكسبتهم الدعم المادي والمعنوي من زملائهم الطلبة، عبر منظمات عالمية عديدة المحبة للسلام، والمناهضة للسياسة الفرنسية الغير عادلة، بل إن نشاط الطلبة الجزائريين مكّنهم، من كسب ودّ العديد من الطلبة بالإتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين.⁽²⁾

5-المؤتمر الرابع بتونس من 26 جويلية إلى 01 أوت 1960:

إن التفاعل الطلابي بين الطلبة الجزائريين والتونسيين، كان منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وما ترتب عنه من عقد المؤتمرات الهامة، التي خلدت النضال الطلابي الوحدوي، كما عالجناه سابقا، فاختيرت تونس هذه المرة لعقد المؤتمر الرابع للإتحاد، والذي ميّزه عن باقي المؤتمرات السابقة.

إفتتح الجلسة رئيس اللجنة التنفيذية للإتحاد السيد آيت شعلال⁽³⁾، حيث ألقى التقرير الأدبي، الذي عرّج من خلاله على تقييم مسيرة الإتحاد منذ المؤتمر الثالث، ووقف مطوّلا عند القضايا المصيرية التي عالجها الإتحاد خدمة للطلبة، سواء الذين يدرسون في الجزائر أو في الخارج، وذلك حفاظا على مزاوله دروسهم، رغم العراقيل الكثيرة التي وضعتها الإدارة الفرنسية أمامهم.

كما تطرق الرئيس في كلمته، الى الوقوف والتدعيم اللامشروط للثورة الجزائرية، بكل الوسائل المتاحة لذلك، والأخذ بحرية الشعوب في تقرير مصيرها بيدها ، كوسيلة لحل المعضلة الجزائرية العادلة، وعرّج المتدخل على الإصرار وبشدة من فرنسا، أن تعترف بالقضية الجزائرية، وممثلها الشرعي والوحيد جبهة التحرير الوطني، وأن تلتزم فرنسا بالجلوس

1- يحي بوعزيز، **نفس المرجع**، ص 286.

2- مقابلة مع المبحوث السيد رضا مالك، بتاريخ 2011/02/06، بمقر سكناه بالجزائر العاصمة ، أنظر المقابلة رقم (4).

3- أنظر الملحق رقم (10).

إلى طاولة التفاوض مع الممثلين الجزائريين، والاعتراف الرسمي بالتفاوض المباشر مع الجبهة⁽¹⁾.

والملفت للانتباه أن أهازيج المؤتمر، كانت مفعمة بنشيد الطلبة الجزائريين (نحن طلاب الجزائر) لمفدي زكريا، هذه القصيدة التي أحبها كثير من الطلبة، خصوصا الذين يعرفون اللغة العربية⁽²⁾.

ومن خلال التقرير دائما، عبّر الإتحاد عن تعاونه مع الحكومة الجزائرية المؤقتة ، والممثل الشرعي والدبلوماسي للقضية الوطنية، وفتح بعدها المجال لممثلي الفروع بغرض التعبير، عن انشغالات زملائهم الطلبة في الأقطار العديدة، وعبّروا خلالها عن الكثير مما يعانونه، من مضايقات من قبل السلطات الفرنسية، وأكدوا عن المعاملة العنصرية التي يعاملون بها مقارنة مع باقي الطلبة من الدول الأخرى، بالإضافة إلى المشاكل البيداغوجية والصعوبة التي يتابعون بها دروسهم، التي آلت إلى الرسوب في الإمتحانات بسبب قلة الإمكانيات المادية.

لكن أهم قضية تطرق لها ممثلي الفروع الطلابية هي قضية الثورة الجزائرية، حيث عبّروا عن تتبعهم للقضية الوطنية ، وانشغالهم الدائم بمسار تطور الثورة، ومن الطلبة المتدخلين مثلا ممثل فرع دمشق محمد الشريف سيسبان، الذي كانت له إسهامات كبيرة بتقريب وجهات النظر، بين الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، وقد عبّر هو الآخر عما ذهب إليه من سبقه، واعتبر أن الوقت أصبح يحتم على الطلبة، أكثر مما كان في السابق للإلتحاق بالثورة وتدعيمها، وترك الحسابات وغيرها من الذرائع، التي تفرّق بين جموع الطلبة الجزائريين....⁽³⁾

كما مثّل رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة وفدا طلابيا، من بينهم محمد بلعيد ويوسف فتح الله⁽⁴⁾.

أما الحكومة المؤقتة التي تشكلت في سنة 1958 بقيادة " فرحات عباس"، والتي كانت منشغلة هي الأخرى بأشغال المؤتمر، لأنه عقد بتونس، وهو المقر الجديد للحكومة

1- مقابلة مع المبحوث السيد مسعود آيت شلال ، بتاريخ 2012/04/06، بمقر سكناه بالعاصمة، أنظر المقابلة رقم (8)
2- للإطلاع على القصيدة التي كانت محفوظة لدى المجاهدين ، راجع الملحق رقم (13)، في طفولتنا كنا أحيانا نسمع الوالد يرددّها، خاصة عند الاحتفال بعيدي الثورة والإستقلال وهذا بعد استقلال الجزائر في 1962.
3- عبد الحميد مهري ، "أحداث مهدت للفتاح نوفمبر 1954"، مجلة المجاهد ، العدد 1526، 03 نوفمبر 1989.
4- مقابلة مع المبحوث السيد عبد القادر نور بتاريخ 2011/02/28، بالمكتبة الوطنية للحامة، أنظر المقابلة رقم (5)

الجزائرية، لذلك كانت إسهامات رئيس الحكومة مكثفة في ثنايا المؤتمر، بالخصوص وأنه بالإمكان جلب الكثير من الدعم للقضية الجزائرية، وسط الوفود الكثيرة المشاركة في المؤتمر. ومن خلال كلمة رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك فرحات عباس، الذي أعطى بدوره فيها، نبذة تاريخية عن النضال الطلابي⁽¹⁾ في الجزائر، والذي قال عنه أنه سبق العمل السياسي المنظم، وهو يعود إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، كما وقف مطولا عند الإجراءات التعسفية التي فرضتها الإدارة الفرنسية، على الطلبة الجزائريين في الجامعات وحتى في الثانويات والمدارس الإعدادية، وهي إجراءات غير عادلة مقارنة، بما كان يتمتع بها الطلبة الفرنسيين في جامعة الجزائر، والجولات العديدة التي قام بها رئيس الإتحاد، والحضور كان ممثلا لجميع فروع الطلبة، التي قدّرت ب 26 فرعا، موزعة على البلاد العربية وأوروبا وأمريكا.

واعتبر فرحات عباس أن الجهد الطلابي، هو امتداد طبيعي للنضال الطلابي خلال مرحلة الثلاثينات والأربعينات، وخلال البناء الثقافي والسياسي للدولة الوطنية الجزائرية، وقد قال في هذا الشأن: "...وها أنتم الآن تخلفون الأجيال السابقة، وقد تغير الزمن وتطور العالم، إن مشاركتكم في الكفاح التحريري، وفي المحنة الدامية التي فرضت على الجزائر، تجعل منكم طليعة الثورة، غير أن الكفاح الصامد الجبار الذي يخوضه شعبكم ضد الاستعمار الوحشي، يجب أن يملي عليكم تضحيات جديدة، إنني على يقين أننا نستطيع أن نعتمد عليكم، وأنكم ستضاعفون جهادكم وطاقاتكم وشجاعتكم لسحق الإستعمار نهائيا، وتحرير وطنكم تحريرا كاملا، لقد استطعتم أن تقضوا على إحدى النظريات الإستعمارية العنصرية البغيضة، ففي كل عام تقدمون الأدلة الحاسمة على هذه الحقيقة اليقينية، وهي أنه ليس هناك جنس متفوق وجنس منحط، وفي ست سنوات فقط استطاعت الثورة أن تخلق، من بين صفوفكم عددا من الخبراء والفنيين، أكبر من العدد الذي كوّنه الإستعمار خلال 130 سنة من الاحتلال....."⁽²⁾.

1- فرحات عباس، "مشاركتكم في التحرير يجعل منكم طليعة الثورة"، جريدة المجاهد، عدد 74، 1960، ص 8. للمزيد: أنظر الملحق رقم (9).

2- التقرير الأدبي لمؤتمر الطلبة الجزائريين الرابع، جريدة المجاهد، عدد 74، الموافق لـ 1960/08/08، ص 7. للمزيد: أنظر الملحق رقم (10).

كما ألقى وزير الشؤون الثقافية والإجتماعية عبد الحميد مهري خطابا، عزز من خلاله ضرورة تواصل الأجيال، وتفاعلها مع بعضها البعض، بغض النظر عن البعد اللغوي الذي درست به، وكان مهري يرى في ذلك خدمة للقضية الجزائرية المصيرية، بين النخب الجزائرية بتباينها اللغوي المعرب والمفرنس⁽¹⁾، وأن التكوين يعد نقلة نوعية في البناء الوطني، وليس العكس، مثلما يروج له البعض بخلق الفرقة بين أبناء الأرض الواحدة، وقال أن الجزائر في حاجة ماسة لكل أبنائها.

تذكر بعض المصادر، أن خطاب مهري شد إليه الأسماع، واستطاع ببلاغة بيانه وفصاحة لسانه وثقل حنكته ، أن يقرب بين جيلين من الطلبة الشباب، جيل زاول دراسته في المعاهد والزوايا والمؤسسات الدينية، والجامعات العربية والإسلامية، ومنها تغذى وترعرع وترى وأخذ عنه شتى علومه ، وجيل آخر ساعده الحظ للدراسة في المدارس افرنكو-إسلامية⁽²⁾، وأكمل تعليمه في الجامعات الغربية، وخاصة الفرنسية وأخذ من مشاربها، وقد خلص مهري في تدخله، أن الجيلين استطاعا تجاوز العقبة، وتمكنا من إيجاد الإطار المنظم والمشارك بينهما، وأن النضال السياسي هو الذي أوجد وجمع كل فئات الطلبة، لذلك علقت جريدة المجاهد عن مداخلة مهري، بعنوان هام يقول: " الثورة ربطت المثقف الجزائري بروح الأمة، وضمته إلى أحضان الشعب".⁽³⁾

وكان للمرأة الجزائرية كلمتها خلال المؤتمر، فلا ننسى أن الطالبة كان لها دورا في النضال السياسي، حيث كانت عنصرا فاعلا، داخل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

وعلى عادة أشغال المؤتمرات، فقد انبثق عن المؤتمر الوطني، تشكيل العديد من اللجان والورشات، وأوكلت إليها مسؤولية وضع التقارير، وكتابة اللوائح الخاصة بقضايا السياسة والثقافة، والعلاقات الخارجية وقضايا العمل النقابي وأمور الإعلام، ولذا أنهى المؤتمر جلساته بالمصادقة، على العديد من اللوائح الخاصة بالنضال الطلابي، الذي صب في خدمة قضية الثورة، ناهيك على ما احتوته التقارير، على الوقوف عند شعوب المغرب

1- عبد الحميد مهري، "الثورة ربطت المثقف الجزائري بروح الأمة وضمته إلى أحضان الشعب"، جريدة الشعب، عدد 74، 1960/08/08، ص 6. للمزيد: أنظر الملحق رقم (8).

2- مقابلة مع مسعود آيت شعلال ، بتاريخ 2012/04/06، بمقر سكنه بالجزائر العاصمة ، أنظر المقابلة رقم (8).

3- جريدة المجاهد، العدد 74 الموافق ل 8 أوت 1960، أنظر الملحق رقم (8).

والمشرق العربيين، كما أفردت التقارير الختامية ضرورة، فتح آفاق التعاون بين الإتحادات العالمية للطلبة.

من بين اللوائح الهامة، اللائحة الخاصة بالسياسة العامة في الجزائر، والتي تضمنت مساندة الطلبة الجزائريين، اللامحدود واللامشروط للثورة التحريرية، وركزت اللائحة على دعوة الطلبة الملحة للدولة الفرنسية، بغرض التفاوض المباشر والإعتراف الرسمي، بجهة التحرير الوطني كمثل شرعي ووحيد للجزائر.

كشفت اللائحة أيضا المؤامرة الديغولية الساعية، لإفشال الثورة والتي أخذت بشعار سلم الشجعان أحيانا، وفصل الصحراء عن الجنوب أحيانا أخرى⁽¹⁾، بعد تنصيب الجنرال ديغول سنة 1958 على هرم السلطة للجمهورية الخامسة الفرنسية، وتطرت اللائحة لقضية ومفهوم الأمة الجزائرية، نقرأ في اللائحة التالي : " ...أننا نرفض كل تأويل يهدف إلى إنكار وحدة الشعب الجزائري، التي تريد فرنسا أن تضع مكانه خليطا، من جماعات عنصرية حسب اللهجات والمعتقدات، مما يؤدي إلى تجزئة الجزائر وتقسيمها، إن الوحدة الوطنية الجزائرية واقعا محسوسا، ونحن مصممون على الدفاع عنها وحمايتها..، أما الطلبة الجزائريون فإنهم يعلنون عن تعلقهم المتين، بالهدف الذي يكافح من أجله الشعب وهو الاستقلال...".⁽²⁾

أصدر الإتحاد أيضا لوائح خاصة بقضايا شعوب المغرب العربي، كلائحة تدعيم جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية، أكد من خلالها تجديد الدعم الطلابي لوحدة المغرب العربي، والتصميم على العمل من أجل مغرب عربي موحد وحر.

كما صدرت توصيات عن المؤتمر، منها تعزيز التعاون بين المنظمات الطلابية العربية، ونصت اللائحة على تشكرات الطلبة للمجهودات، التي رصدتها الدول العربية لخدمة الطلبة الجزائريين، ودعت اللائحة إلى ضرورة التعاون الثقافي وترقية اللغة العربية⁽³⁾.

إعتبر هذا المؤتمر ناجحا، حيث ازداد صداه بين الوفود الطلابية المشاركة، فقد وصفته مجلة المجاهد، بأنه خرج من طوره الضيق إلى الطور الأوسع، وختم الأمين العام

1 - Pierre Montagnon , l'affaire si Salah, Edition Gérard Watelet, Paris 1987, P 101 .

2- عبد الله حمادي، نفس المرجع، ص 148.

3- جريدة المجاهد العدد 75، الموافق ل 22 أوت 1960، حسب ما جاء في كلمة فرحات عباس خلال ، المؤتمر الرابع للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بتونس، للمزيد أنظر: الملحق رقم (9).

للإتحاد آيت شعلال بأن المؤتمر، يعتبر تحد صريح وصفعة قوية للإستعمار الفرنسي⁽¹⁾، الذي ازداد في مضايقة للطلبة الجزائريين، مما دفعهم إلى الهجرة خاصة مع نهاية الخمسينات، نحو الدول العربية خاصة، حيث استقبلت المغرب 364 طالبا لاجئا، أما تونس فاستقبلت حوالي 1000 طالب، ودرس كثير منهم في الزيتونة، واستقبلت مصر 240 طالبا وسوريا 80 طالبا، وبالعراق 100 طالب، استفاد هؤلاء الطلبة من المنح من قبل البلدان المستقبلية، وفي أواخر، 1961 استفاد حوالي 2000 طالب من المنحة المدرسية⁽²⁾.

المبحث الثالث: وضع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بعد الاستقلال

1- الجولة الأولى من المؤتمر الخامس للإتحاد ومعركة حذف "الميم"

تشير الكثير من الدلائل أن الفصل في الهوية الوطنية، لم يكن واردا بالدرجة التي كان يريدها الطلبة، الذين ظلوا على ولائهم للتوجه الشيوعي، المتحالف مع التيار البربري- كما ذكرنا سابقا في الفصل الثالث- ، الذي فرض عليه أغلبية الطلبة التعامل مع الدافع الجزائري، بل استطاعت الحركة الثورية أن تجمع في تنظيمها، جميع التيارات والتوجهات والمشارب الثقافية والفكرية والأيدولوجية، بما فيهم أولئك الذين يمثلون الأغلبية " الوطني "، فبعض منهم ظلوا مصدر اتخاذ القرار السياسي⁽³⁾.

وإذا كان الشعب الجزائري قد انشغل ببشائر التحرير، منذ الإعلان عن توقيف القتال وإجراء الاستفتاء والاستقلال سنة 1962، فإن هناك من كان يترصد بنشوة الإنتصار، وكان انتماؤه للثورة انتماءا ظرفيا بهدف التمكين والتموقع، وخدمة الحساسية المفرطة على حساب طموح، ومصير أغلبية فئات المجتمع الجزائري، بمن فيهم طبقة النخبة التي فضل الكثير منها، اللجوء لحمل السلاح ومقاومة فرنسا الكولونيالية، بدلا من العمل في القطاع الإداري والسلك الدبلوماسي، والعمل في الخارج بعيدا عن المأساة المرّة، التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في الداخل.

1- نفسه، العدد 74، الموافق ل 8 أوت 1960، حسب ما جاء في كلمة رئيس المؤتمر مسعود آيت شعلال ، للمزيد أنظر الملحق رقم (10).

2- مقابلة مع السيد آيت شعلال ، بتاريخ 2012/01/20 بمقر سكناه بالعاصمة، أنظر المقابلة رقم (8)
3- مقابلة مع السيد آيت شعلال ، بتاريخ 2012/07/20 بمقر سكناه بالعاصمة ، أنظر المقابلة رقم (8).

فبعد الاستقلال ، عاد الطلبة إلى أرض الوطن، واستطاع التيار الفرنكو- شيوعي أن يسيطر على مقاليد الإدارة، وخزائن الدولة ومن ثمّ النظر في هوية الحركة الطلابية، وأشار إلى ذلك عثمان سعدي في هذا الشأن قائلاً: ".عاد صناديد اتحاد الطلبة بعد الإستقلال إلى الجزائر، سيطروا على مفاتيح إدارة الدولة المستقلة، ووجدوا أنفسهم يعزفون على نغمة نشاز واحدة، مع عناصر دفعة لاكوست « Promotion La Coste »، وشنوا حرباً على إعادة الاعتبار للغة العربية، وعمّقوا هيمنة اللغة الفرنسية على الدولة الجزائرية، وكان عليهم أن يدركوا أن الاستقلال الحقيقي، ليس في الحكم ولا في تغيير أسماء الحكام، من جاك وروبير إلى أحمد والهوري ، وإنما في تحرير الذات، لم يدركوا أن أي ثورة لا يمكن لها أن تعتبر نفسها ناجحة، إلا إذا حققت الهدفين " تحرير الأرض وتحرير الذات".(1)

الظروف التي جرى فيها التحضير، لهذا المؤتمر الخامس بعد استقلال الجزائر، كانت صعبة جداً، حيث أفرز التحرير بروز صراعات، بين القيادة العسكرية والحكومة المؤقتة من جهة، وبين بعض فصائل المجاهدين من جهة أخرى، خبايا هذا الصراع لم تكن غريبة على عناصر الطلبة، وخصوصاً القيادات منها والتي كنت دائماً، على علاقة بقيادة الثورة بما فيها السياسية أو العسكرية، طلب المكتب الوطني من جميع فروعهم، في الخارج خلال شهر أوت 1962 إلى انتخاب، من يمثلهم في المؤتمر الخامس المزمع عقده في 5 سبتمبر 1962.

وقد انعقد الإجتماع بحي بن عكنون و افتتح المؤتمر، يوم 5 سبتمبر رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد السيد مقران، وابتدأت الأعمال بتوزيع التقارير باللغة الفرنسية، على الطلبة والوفود الممثلين لطلبة البلاد العربية، برغم محاولات رئيس المكتب جنيدي خليفة في التصدي للظاهرة، لكنه فشل، وقرر استبدال كاتب مفرنس - لعدم تمكن الجنيدي من اللغة الفرنسية -، واستأنف المؤتمر أشغاله ووزع على الحضور، القانون الداخلي للمؤتمر باللغة الفرنسية(2).

1- عثمان سعدي، "حول مساهمة الطلبة في المقاومة والثورة"، جريدة الشروق، العدد 180، 17 نوفمبر 2005.
2- إن التآمر على الهوية وضرب اللغة العربية ، من قبل حزب فرنسا الذي كانت تمتلكه شلة من الجزائريين التغريبيين، لم يكن منذ ها التاريخ بل يعود على ترسيم الفرنسية ، منذ مؤتمر الصومام عام 1956، وأصبح لغة المراسلة والتخاطب والعمل داخل الثورة وهمّشت العربية ، التي كانت رسمية في قوانين الحركة الوطنية ، للمزيد أنظر الملحق رقم (14).
Francis Janson, la révolution algérienne problèmes et perspective, édition Milano, 1962, P 157

وتحضر في ثنايا هذه الأحداث، موقفا تاريخيا حدث سنة 1935، عندما اجتمعت جمعية طلبة مسلمي شمال أفريقيا في مؤتمرها الخامس بتلمسان، واتخذ القرار على أن تسيّر الأشغال باللغة العربية، وكان تحد كبير آنذاك، وتعرض المؤتمر للتوقيف، واضطر الطلبة تغيير القاعة والتنقل إلى أخرى لإستكمال الأشغال.

بالإضافة إلى أن المؤتمر حضره كثير من الغرباء وليسوا أعضاء في الإتحاد، وعيّن كثير منهم ضمن إدارة المؤتمر وأيضا ليسوا جامعيين، وهذا ما زاد من الشرخ بين الطلبة المعرّبين والطلبة المفرنسين يقول بلعيد رابح⁽¹⁾.

يبدو أن وفد جيش التحرير كان القوة الضاغطة على المؤتمر والطلبة، حيث طالب بقبول كل الحاضرين كأعضاء شرعيين، وعدم الرجوع إلى القانون الأساسي، ويعتبر هذا غير شرعي حسب حلّيمي عبد القادر، وكل هذا يؤكد أن خيوط المؤامرة حبكت ضد العربية والإسلام، وعبر وفد المشرق العربي عن سخطه، وانسحب 8 وفود من مجموع 13 وفدا في اليوم الثالث من المؤتمر، وطالبوا بتحويل المؤتمر إلى ندوة وطنية يحضر فيها المؤتمر بكل شفافية، لكن الإقتراح رفضه الأغلبية داخل القاعة، وأغلبتهم من المفرنسين، وهذا ما وسع الشرخ أكثر مع الجناح المعرّب⁽²⁾، الذي أصدر بيانا في جريدة الجمهورية آنذاك وجاء فيها التالي:

"...نحن طلبة القاهرة والكويت والعراق وسوريا والأردن وليبيا والمواصلات اللاسلكية، نعلن لجميع الطلبة الجزائريين والضمير الوطني، الإيضاحات حول الأزمة التي أدت إلى شلل الحركة الطلابية، والكل يدرك ما لعبته المنظمة الطلابية الجزائرية أثناء ثورتنا المقدسة، ولقد جننا إلى هذا المؤتمر في نيتنا متابعة النضال الوطني، والمساهمة في بناء الجزائر الحرة المستقلة، مع الأسف قوبلنا بجو غير مشجع ولهذا نعلن:

1- أن هذا المؤتمر خرق للقانون الأساسي للإتحاد.

2- التحضيرات للمؤتمر غير سليمة، وغابت عليها الأغراض الشخصية وكثير من الشبهات.

1- رابح بلعيد من الطلبة الذين درسوا في الجامعات العربية والغربية، كان رئيس وفد الطلبة في القاهرة الذي حضر المؤتمر الخامس، بعدها تولى التدريس في الجامعة. للمزيد: أنظر الملحق رقم (13).

2- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص 414.

3- منحت الإمتيازات لبعض الوفود خاصة وفد الجزائر المفرنس، على حساب الوفود الأخرى.

4- أغلب المشاركين في المؤتمر غير شرعيين⁽¹⁾.

إثر هذا البلاغ انسحبت وفود طلابية أخرى، حتى بلغ عددها ثلاثة عشر (13) وفداً، منها وفد الولايات المتحدة وروسيا، بلغاريا، وألمانيا، مصر، الكويت، سوريا، تونس، ليبيا وألمانيا الشرقية، وبالتالي ازداد الإنشقاق ما بين الطلبة المعريين والمفرنسين⁽²⁾.

وحسب احصائيات رابح بلعيد، يقول أن 90 % من الطلبة المفرنسين يمثلون الطلبة في المؤتمر، مع أنهم لا يعكسون سوى 10 % من سكان الجزائر، هذا في حين مثل الطلبة المعريين 10 % من مجموع طلبة المؤتمر، برغم أنهم يمثلون 90 % من سكان الجزائر، ويقول أيضاً أن هناك 30 طالبا معرياً، وجد نفسه وسط 300 طالب مغترب في المؤتمر.

يقول بلعيد أيضاً في هذا الشأن: "أن الأسبوع الأول من سبتمبر عام 1962 كان بالفعل مثيراً، وما زلت أتذكر بوضوح، الاضطرابات النفسية التي تعرضت لها بشدة، بعد ساعات من انسحاب وفد القاهرة من المؤتمر، لقد كنت جالسا على الحشيش أمام كافيتيريا الطلبة، أين تناولت فيه الغداء، قبل ذلك بقليل سمعت إمام أحد المساجد القريبة ينادي لصلاة الظهر...، قالت فتاة (طالبة) جزائرية بصوت عال ساخرة إلى شاب جالس بجانبها على الحشيش، ماذا يقول هذا المارابو، فردّ عليها الشاب أيضاً بسخرية وابتسامة رخيصة على وجهه، أن المارابو ينادي الناس للصلاة هي تعالوا للصلاة، وكانت الفتاة تلبس لباساً شفافاً وشبه عارية، قالت للشاب كيف يقومون بالصلاة هنا عندكم، ولم أستطع تصديق ما سمعت، وما زاد في جرح شعوري، الصليب الذي كان معلقاً على رقبتها...، إن الحادث المؤسف جعلني أشعر بأنني كنت غريباً تماماً عن بلدي، لأنني وجدت من الصعب أن أصدق أن الطلبة الجزائريين، الذين تحصلوا على ثقافتهم في الجامعات الفرنسية المختلفة، وفي جامعة الجزائر كانوا هم بالفعل أبناء هذا الشعب الفخور، الذي استطاع أن ينزع سيادته الوطنية، من مفكّ الإستعمار الذي أستعبده أكثر من 132 سنة...."⁽³⁾.

1 - **Alger Républicain** N° 45-11 septembre 1962.

2- حلّيمي عبد القادر، **مخطوط حول الطلبة**، ص 04، وكذلك أنظر الملحق رقم (14).

3- رابح بلعيد، أصول المؤامرة على العربية والإسلام، الحلقة الثالثة، **جريدة السفير**، 22 إلى 28 جويلية 2002.

خلافات الطلبة في هذا المؤتمر كانت الوجه الحقيقي، لخبايا السياسة الجزائرية وكل طرف يرى أن له شرعية في ذلك، فبانسحاب وفد القاهرة ووفود أخرى، وبإصرار لجنة المؤتمر على مواصلة الأشغال، وتزكية أعضاء غير منتمين للإتحاد فشل هذا المؤتمر. وقد حاول جناح الطلبة المتكونين باللغة الفرنسية، إقناع الجناح المعرب المنسحب من المؤتمر لكنه فشل، وبعد مضي أسبوع من المفاوضات غير مثمرة، أعلن رئيس المؤتمر عن نهاية أشغال المؤتمر في 14 سبتمبر 1962⁽¹⁾، وتأجيل الحسم في بعض القضايا، إلى حين استقرار الأمور السياسية في البلاد، والتي كانت تتميز بصراعات الأجنحة داخل السلطة الجزائرية، بين جيش الحدود والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية آنذاك.

2- الجولة الثانية من المؤتمر الخامس: 11 أوت 1963 بالجزائر:

بعد احتفالات أول نوفمبر 1962، التي حضر فيها 20 إتحادا طلابيا من الطلبة العرب الأجانب، كان للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، انشغالات كبيرة بالوفود الطلابية برئاسة مصطفى مقيداش.

بدأت الجولة الثانية للمؤتمر الخامس، الذي انعقد يوم 11 أوت بقاعة محاضرات، بنادي الطلبة بالحي الجامعي بابن عكنون بالجزائر العاصمة.

وإستقبلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر منذ 2 أوت، الوفود الطلابية المدعوة من داخل الجزائر وخارجها، وحسب ما ذكرته جريدة الجزائر الجمهورية، أن عشية انعقاد المؤتمر الأجواء كانت عادية للغاية، رغم الأزمة الحادة التي عاشها إتحاد الطلبة خلال شهر جويلية 1963، وكانت الحكومة خلالها تسعى للتسويق، مع المنظمات الطلابية أن يأخذ المؤتمر بالمبدأ الديمقراطي⁽²⁾.

وتذكر الجريدة أن فعاليات المؤتمر كانت في الكواليس، قبل بداية الفعلية لإنطلاق أشغال المؤتمر، واتضح ذلك في حوار الذي جرى بين مختلف التنظيمات الشبانية، وخصوصا بين شباب جبهة التحرير الوطني، برئاسة عبد المجيد بن ناصر، والإتحاد العام

¹- نفس المرجع..

2 - Alger Républicain, 10 Août 1963.

للطلبة المسلمين الجزائريين، وذلك من أجل تحقيق أرضية مشتركة للحركة الشبانية الجزائرية⁽¹⁾.

قبل بداية الأشغال علقت لافتة على منصة القاعة، كتب عليها بالبنط العريض باللغة الفرنسية، "يحيا المؤتمر الخامس" وكذلك " من أجل الجبهة ضد الإمبريالية". وحضر المؤتمر وزير التربية آنذاك عبد الرحمن بن حميدة، وكانت زيارة الرئيس بن بلة مفاجئة للطلبة، ففي الوقت الذي كانوا فيه منصبين ، على دراسة القانون الداخلي مادة بمادة، فاجئهم دخول الرئيس إلى النادي، واستقبل من طرف رئيس الإتحاد السيد مقيداش حيث أدخل إلى قاعة المؤتمر، وبعد الكلمة الترحيبية أعطيت الكلمة لبنة⁽²⁾، وألقى خطابا مطولا، ذكر من خلاله بضرورة ضمان استقرار وحدة الطلبة المسلمين الجزائريين، حتى يتمكنوا من أداء نشاطاتهم في إطار برنامج طرابلس، كما ركّز في خطابه على بند التعصّب والتطرف من أي جهة كانت.⁽³⁾

إمتدت أيام المؤتمر إلى ستة أيام، تمّ الاستماع فيها إلى تقارير الوفود الطلابية، من ممثلي وفد طلبة لوزان، الذي عرّج على المراحل التاريخية لإتحاد الطلبة، والذي ولد من رحم الثورة، وخدم القوى الوطنية وأثرى الحياة السياسية، وأشاد المتدخل بوفد طلبة المغرب العربي⁽⁴⁾.

وخلال اختتام المؤتمر في اليوم السابع ، قرأت تقارير اللجان الطلابية من طرف اللجنة المديرة لإتحاد الطلبة، ركزت في تدخلها على دراسة أوضاع الجزائر منذ 1 نوفمبر 1954، كما توقفت مطولا عند اتفاقيات إيفيان، التي أدت للاستقلال السياسي للجزائر، مع الإشارة إلى التبعية الإقتصادية وبقاء مطامع الرأسمالية والإستغلالية، كما ذكر المتدخلون أيضا بخطورة القواعد العسكرية الفرنسية، التي أخفتها الإتفاقية في بعض الجهات من الوطن، وذلك هو التناقض بعينه⁽⁵⁾.

1 - **Alger Républicain**, Vendredi 9 août 1963.

2 - **Le peuple**, Mercredi 14 Août 1963.

3 - **Alger Républicain**, Mercredi 14 Août 1963.

4 - **Le peuple**, Vendredi 16 Août 1963.

5 - **Le peuple**, Samedi 17 Août 1963.

للمزيد: أنظر الملحق رقم (14)

إختتمت الجلسة النهائية بتشكيل مكتب جديد لإتحاد الطلبة المسلمين، الذي تحول إلى الإتحاد العام للطلبة الجزائريين⁽¹⁾، أي بمعنى التخلي عن كلمة "مسلم"، وهو ما اصطلح عليه وقتها بمعركة "الميم" بين الطلبة.

ومنذ اختتام أشغال المؤتمر الخامس في الجولة الثانية، أصبح إتحاد الطلبة منظمة نقابية تحت توجيه جبهة التحرير الوطني، وهذه المنظمة في خدمة تنفيذ سياسة الدولة وقراراتها، وأصبحت (L'UNEA) الممثل الوحيد للطلبة الجزائريين، في ظل التوجه الإشتراكي، وذلك ما أقره فرع الطلبة لجامعة الجزائر في اجتماعه يوم 6 ديسمبر 1963، بشارع عميروش بالعاصمة، والتركيز على العمل النقابي الطلابي، كما أوصى به المؤتمر الخامس⁽²⁾.

وهكذا طويت صفحة مشرقة من تاريخ النضال الطلابي، الذي فصل نهائيا في مشكلة الهوية منذ المؤتمر التأسيسي للإتحاد سنة 1955، إلى مؤتمر صائفة 1963، وأصبح عمل الطلبة جزء لا يتجزأ من عمل الشباب، وذلك ما كشفت عنه الهيئة التنفيذية (L'UNEA) للدور الذي ستقوم به، وهي ترحّب باحتضان المؤتمر الوطني للشبيبة الجزائرية.⁽³⁾

1 - **Le peuple**, Samedi 17 Août 1963.

2 - **Alger Républicain**, 06 Décembre 1963.

3 - **Alger Républicain**, 09 Avril 1963.

خلاصة:

أفردنا الفصل الرابع لموضوع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، حيث خصّصناه لتناول ظروف ميلاد هذا الإتحاد، بغرض الفصل نهائيا في موضوع الهوية الوطنية، التي كثيرا ما كانت مثار جدل بين الطلبة الجزائريين باختلاف حساسياتهم، خصوصا دعاة اليسار، الذين كانوا دوما متحالفين مع التنظيمات الطلابية الفرنسية ونحوها، ثم أوضحنا مبادئ أهداف وبرنامج الإتحاد، وانتقلنا إلى ابراز مؤتمرات الإتحاد، التي انعقدت أثناء الحقبة الإستعمارية، وتمثّلت في أربعة مؤتمرات، اجتمع خلالها الطلبة الجزائريون خارج الجزائر المستعمرة، لتحقيق المسعى الوطني الذي أرادوا تجسيده .

الفصل الخامس

التعريف بالمبهمات وعرض المقابلات

المبحث الأول : التعريف بالمبجوثين

إشتملت الدراسة على تسع (09) مقابلات مع الأعضاء الفاعلين في الحركة الطلابية، وتحديدًا العينة المختارة المتمثلة في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA)، سنحاول عرض التعريف بالمبجوثين المتعلقة بهم في الجداول التالية :

الجدول رقم (6): يبيّن التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (1):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
1	الأمين خان	1931/03/06	القل (سبكدة)	إجتياز البكالوريا 1950/1949. - اشتغل مراقبا في قسنطينة 1954/1953 -انتقل لمواصلة الدراسة في فرنسا	- حركة انتصار الحريات الديمقراطية. - عضو مؤسس للإتحاد لعام للطلبة المسلمين الجزائريين 1954-1955 أصبح عضوا في مكتب الجمعية بالإتحاد بالجزائر بعد العودة من فرنسا	- إلتحق بجيش التحرير الوطني سنة 1956. - نقيب بالولاية الثانية التاريخية. - عضو المجلس الوطني للثورة التحريرية 1957. - وزيرا مندوبا في الحكومة المؤقتة 1958.	- مدير ديوان المالية 1962/1961. - رئيس مجلس إدارة للجنة التقنية لتقييم الثروات الباطنية في الصحراء 1962. - وزير الأشغال العمومية 1966. - مدير تنفيذي لوكالة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية 1975. - محال على التقاعد 1985.

الجدول رقم (7): يبين التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (2):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
2	أحمد طالب الأبراهيمي	1932/01/05	سطيف	- درس في المدرسة الفرنسية من الابتدائي إلى الثانوي بجدارة. - متحصل على شهادة الطب بعد إلتحاقه بجامعة الجزائر 1949. - واصل تعليمه في باريس والتحق بكلية الطب. - شغل منصبا في مستشفى بفرنسا.	-ناضل في الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان. -انخرط في جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا في فترة دراسته الجامعية وشارك في كل تظاهراتها. - مناضل في UGEMA. -مناضل في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير. -رئيس UGEMA	- إنضم إلى جبهة التحرير -عين ممثلا للحكومة المؤقتة بالقاهرة. - إعتقل في مارس 1956 حتى فيفري 1957 من السلطات الفرنسية . - واصل عمله النضالي في سرية. - إعتقل عدة مرات والتقى في السجن بزعماء عديدين للثورة وكان له دورا فعليا أثناء الثورة.	- تولى عدة حقائب وزارية (من الستينات إلى الثمانينات) - ترشح لرئاسة الجمهورية سنة 1999. - أسس حزب الوفاء - عين وزيرا للتربية الوطنية 1965 (يمكن ذكر كل نشاطاته بعد الإستقلال. -له عدة مؤلفات....

الجدول رقم (8): يبين التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (3):

رقم المقابلة	إسم المبجوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
3	بلعيد عبد السلام	1928/08/03	بن الكيرة (سطيف)	- نال شهادة البكالوريا - سجل في كلية الطب خلال السنة الدراسية (1951/1950) - توقف عن الدراسة لأسباب سياسية. - التحق بمدرسة تكوين الاطارات وكان مسؤولا عن الطلبة والتكوين داخل الحكومة المؤقتة.	- مناضل في حزب الشعب الجزائري 1944 - عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. - رئيس جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية بالجزائر سنة (1953-1951) - عضو مؤسس UGEMA سنة 1955 .	ألقي القبض عليه في مظاهرات 08 ماي 1945 -التحق بجبهة التحرير في ماي 1955. - إشتغل مع وزير الثقافة والشؤون الإجتماعية 1958. - عين مستشارا بديوان رئيس الحكومة المؤقتة (1961). - عمل مديعا باللغة الأمازيغية في إذاعة الثورة.	- كلف بإدارة الشؤون الاقتصادية في الحكومة المؤقتة 1962. - رئيس مؤسسة سوناطراك (1964-1966) - وزير الصناعة والطاقة (1965-1977) - وزير الصناعات الخفيفة (1977-1979) - رئيس الحكومة 1992. - ترشح للانتخابات الرئاسية 1999.

الجدول رقم (9): يبين التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (4):

رقم المقابلة	إسم المبجوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
4	رضا مالك	1931/12/21	باتنة	- أكمل دراسته الابتدائية بين بجاية وعين البيضاء. - إنتقل إلى العاصمة ليواصل دراسته وتحصيله العلمي. - تحصل على البكالوريا خلال السنة الدراسية 1948-1949. - أول سنة جامعية له كانت (1949-1950) - سجل في كلية الآداب لدراسة الفلسفة. - التحق بجامعة باريس 1953 ليواصل عمله السياسي النضالي. - كان بذلك على رأس إتحاد الطلبة بباريس وعضو القيادة الوطنية للإتحاد إلى غاية 1956.	- عين أمينا عاما للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في باريس 1954. - عضو مؤسس للإتحاد (UGEMA) 1955. - إنتخب أمينا عاما للإتحاد 1955.	-التحق بجبهة التحرير الوطني. -أصبح مدير جريدة جبهة التحرير الوطني (المجاهد) 1957-1962. -كان الناطق الرسمي وعضو الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان. -إشتغل عضوا بديوان وزير الاعلام للحكومة المؤقتة 1958. - أحد محرري برنامج طرابلس 1962.	- عين سفيراً بدولة يوغسلافيا 1963. - سفير بفرنسا(1965). -ثم الإتحاد السوفييتي سابقا (1970) -وزير الإعلام والثقافة 1977-1979. - سفير بالولايات المتحدة الأمريكية 1979. - سفير ببريطانيا 1982. - مبعوث خاص إلى الو. م. أ 1992. - رئيس المجلس الوطني الإستشاري بعد حل المجلس الشعبي الوطني 1992. -العضو الخامس في المجلس الأعلى للدولة 1992. -وزير الشؤون الخارجية 1993. - رئيسا للحكومة 1993

- شكل حزبا يدعى حزب التحالف الوطني الجمهوري 1995. - ترشح للإنتخابات الرئاسية لسنة 1995 و 1999.							
---	--	--	--	--	--	--	--

الجدول رقم (10): يبين التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (5):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
5	عبد القادر نور	1931/10/23	الشرفة بالمسيلة	- تعلم القرآن وحفظه على يد والده وشيوخ آخرين والتحق بمعهد عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة 1950. - نال الشهادة منه سنة 1954. - أكمل دراسته في القاهرة 1954. - التحق بكلية دار العلوم بجامعة الأزهر ونال شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية	- تأسيس أول رابطة للطلاب الجزائريين بالقاهرة سنة 1956. - عضو في UGEMA	- من مصر التحق بجهة التحرير الوطني 1954. - ساهم في إلحاق وتعبئة الطلبة بالجهة وأسس أول رابطة للطلاب الجزائريين بالقاهرة مع بوزيان التلمساني (1956) - تولى منصب الأمين العام للرابطة. - شارك في العديد من المؤتمرات الطلابية الدولية باسم الإتحاد وجهة التحرير. - شارك في الإعلام المسموع أثناء الثورة.	- التحق بالإذاعة الوطنية وشارك في تحريره سنة 1962. - التحق بوزارة الخارجية 1962... - عين مديرا عاما للإذاعة الوطنية الجزائرية.

الجدول رقم (11): يبين التعريف بالمبجوث من خلال المقابلة رقم (6):

رقم المقابلة	إسم المبجوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
6	زهير إحدادن	1929/08/17	بيشوش (بجاية)	- درس في المدرسة الفرنسية (1942). -تحصل على شهادة التعليم الابتدائي - تعلم القرآن وحفظه بقسنطينة 1946. -إجتاز مسابقة للتسجيل بمعهد العلوم الاسلامية بالجزائر. - درس سنتين وتحصل على دبلوم يعادل البكالوريا. - سجّل في كلية الآداب مرغما رغم رغبته في دراسة التاريخ والجغرافيا لتحضير ليسانس فلسفة والسبب استعماري -أتم دراسته في مليانة - وعمل كأستاذ في مليانة عام 1956.	-عضو مؤسس للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. -مناضل في حزب الشعب الجزائري. -مناضل في حركة الإنتصار الحريات الديمقراطية -ساهم في تأسيس UGEMA في الجزائر بالتنسيق مع الأمين خان ومحمد الصديق بن يحي عام 1955.	- عضو في جبهة التحرير الوطني. - عضو مؤسس برفقة بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية 1958. - ألقى القبض عليه في مليانة من طرف الشرطة الفرنسية - أطلق سراحه في 1956 - طرد من العاصمة إلى وهران ومنها هاجر إلى فرنسا وناضل منها في مكتب UGEMA والتقى بلعيد عبد السلام - ثم توجّه لتونس لمواصلة النضال السياسي ثم إلى المغرب للإشراف على جريدة المقاومة الوطنية ثم المجاهد.	-عضو مؤسس لجمعية القيام 1963-1965. -عضو مؤسس برفقة بن يوسف بن خدة لجمعية تدعى الأمة 1990. -عين عضو المجلس الأعلى للغة العربية في 1998.

الجدول رقم (12): يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (7):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
7	صالح بن القبي	1933/04/10	قسنطينة	- درس في الكتاتيب القرآنية ومدرسة السلام. وابتدائية أراغون وتكميلية جول فيري والثانوية الفرنكو إسلامية. - تابع دراسته الجامعية بالعاصمة.	كان من مؤسسي UGEMA.	- إعتقل سنة 1957 فيما يسمى بمعركة الجزائر العاصمة. - قضى أربع سنوات في الإعتقال.	- إشتغل في وزارة الخارجية كمدير - ثم كسفير حتى أحيل على التقاعد 1997 - يتولى حاليا رئاسة المجلس العلمي لمؤسسة الأمير عبد القادر

الجدول رقم (13): يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (8):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والإنتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
8	مسعود آيت شعاعل	1927/07/08	تلمغوم العبد (ميلة)	- تعلم القرآن وحفظه - دخل المدرسة الفرنسية وتحصل على شهادة إبتدائية. - أكمل دراسته الثانوية بقسنطينة والجزائر وسطيف. - أكمل دراسته في أوروبا (فرنسا) -تخرّج طبيبا مختصا في أمراض القلب .	- مناضل في حزب الشعب الجزائري - مناضل في حركة الإنتصار للحرريات الديمقراطية -عضو مؤسس UGEMA - رئيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين 1961-1957.	- رئيس البعثة الدبلوماسية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ببيروت (لبنان). - أمين عام لمؤتمر قمة رؤساء دول وحكومات دول عدم الإنحياز بالجزائر (1973) - نائب رئيس مجلس الشؤون الإجتماعية للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني من (1979-1990). - سفير بالاتحاد السوفيتي سابقا من 1982-1984. - سفير في تونس (1984/1988) -سفير في فرنسا (1988) - وزير مستشار لدى رئيس الحكومة (1992).	- سفير الجزائر بإيطاليا (1967-1970) - ممثل دائم للجزائر لدى FAO بروما -سفير بلجيكا - سفير بهولندا - سفير بلكسمبورغ لدى CCE 1971-1979. - أمين عام لمؤتمر قمة رؤساء دول وحكومات دول عدم الإنحياز بالجزائر (1973) - نائب رئيس مجلس الشؤون الإجتماعية للجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني من (1979-1990). - سفير بالاتحاد السوفيتي سابقا من 1982-1984. - سفير في تونس (1984/1988) -سفير في فرنسا (1988) - وزير مستشار لدى رئيس الحكومة (1992).

الجدول رقم (14): يبين التعريف بالمبحوث من خلال المقابلة رقم (9):

رقم المقابلة	إسم المبحوث	تاريخ الميلاد	مكان الميلاد	المسار التعليمي	النضال السياسي والانتماء إلى الحركة الوطنية	النضال والكفاح أثناء ثورة التحرير	التدرج الوظيفي بعد الإستقلال
9	محمد قومي	1926	تاج مزاب	- أتم درسته وتحصل على البكالوريا - درس الطب بجامعة مونبلييه بفرنسا. - طبيب مختص في أمراض القلب والأوعية الدموية	- مناضل في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. - إتحق بالتنظيم UGEMA منذ 1955. - إستجاب للإضراب الذي نادى به الإتحاد العام سنة 1956.	- ناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني. -إلتحق بالقطاع الصحي للجبهة. - ترأس كذلك قطاع الصحة للولاية الثانية التاريخية .	- مارس مهنة الطب في المستشفيات الجزائرية ، و بعيادته الخاصة بالجزائر العاصمة.

يظهر من خلال الجداول المذكورة أعلاه، التي تضمنت بيانات تتعلق بالعينة المقتطفة من مجتمع البحث، والمتمثلة في الأعضاء الفاعلين في إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والمناضلين في إطاره، أي أغلبهم مولودين بين الفترة (1928-1933)، وهي فترة النضال و الكفاح السياسي السلمي، الذي قادته تنظيمات سياسية ودينية ونقابية وثقافية متعددة، ومنها التنظيمات الطلابية، كالجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية (1918)، التي لاقت التمييز والعنصرية من التنظيمات الطلابية الفرنسية، فنادت بضرورة لم شمل طلاب شمال إفريقيا، وتسهيل الإحتكاك فيما بينهم، ونداؤها الرئيسي كان من أجل الوحدة، وإيجاد هيئة تعبّر عنهم وعن أوضاعهم.

بالإضافة إلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا (1927)، وجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين (1933)، فكل هذا الحراك ساهم في تكوين نخبة مثقفة، صنعت الواجهة النضالية للجزائر المستعمرة، ومن بينهم النخبة التي تم مقابلتها.

ويلاحظ من خلال الجدول أن أغلب أفراد العينة ينتمون للجهة الشرقية للوطن، وهي الجهة التي شهدت حركية كبيرة أثناء حقبة الإستعمار، وكانت الكثير من الحوادث متمركزة بهاته المنطقة، التي استقطبت أفراد المجتمع الجزائري، للإنضمام والمشاركة في الثورة، والنضال السياسي خاصة أحداث 8 ماي 1945، كحدث حرّك الجزائريين بمختلف أطيافهم، خاصة فئة الطلبة والمجاهدين.

وإذا تتبعنا المسار التعليمي لأفراد العينة ، فإننا نجد أن أغليبيتهم تكوّن وحفظ القرآن الكريم ، وتكون تكويننا دينيا في أسرهم، التي كانوا ينتمون إليها، بالإضافة إلى تلقي التعليم الفرنسي والحصول على البكالوريا، وتلقي التعليم في الجامعات الفرنسية سواء بالجزائر، (كلية الآداب والفلسفة والطب والصيدلية)، أو بفرنسا (تحديدا الطب والصيدلة).

ويظهر أن غالبيتهم كذلك ينتمي لعائلات الأعيان، من أعوان وباشوات وقياد وتجار وقضاة وموظفين في الإدارة الفرنسية، ومنهم المتشعب بالفكر الغربي (الشيوعية-اللاتيكية-الإندماج....)، ورغم ذلك تجدهم متأثرين بالجو العائلي والإجتماعي، الذي عايشوه ، من كون عائلاتهم مسلمة وتنشئتهم ، تمت بالصلة بالعادات والتقاليد الإسلامية المحافظة.

وكل هذا كان له دورا كبيرا في بروز الفكر الوطني، والنضالي في وقت مبكر لديهم، وكذلك تشكيل الذهنية المتشعبة بالتعاليم الدينية الإسلامية، حتى وإن كان فكرهم وتوجّههم

لائيكيا واندماجيا، يدعو إلى ادماج الجزائر في فرنسا، ونيل الحقوق والواجبات مثل الفرنسيين.

بالإضافة إلى ذلك نجد فئة من المبحوثين تلقوا تكوينا عربيا إسلاميا، وتحديدًا المقابلة (رقم 5) عبد القادر نور، الذي تعلم تعليما قرآنيا وتحصل على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، وكذلك المقابلة (رقم 6) لزهير إحدان والمقابلة (رقم 7) لصالح بن القبي.

وفيما يتعلق بالنضال السياسي والانتماء إلى الحركات الوطنية والتنظيمات السياسية الأخرى، يظهر أن المبحوثين كان لهم ارتباط وثيق بما حصل على الساحة السياسية، حيث لم يكونوا بمعزل عن المستجدات، ومنهم من كان له دورا رياديا، في تأسيس بعض الحركات الوطنية وتحديدًا UGEMA، الذي تأسس العام 1955، حيث نجد مثلا أن العديد من المبحوثين كانوا منطوين تحت لواء هذا الإتحاد، كالأمين خان وأحمد طلب الإبراهيمي وبلعيد عبد السلام ورضا مالك، وزهير إحدان، ومسعود آيت شعلال، ومحمد تومي، بينما نجد صالح بن القبي مؤسسًا له، وأحمد طالب الإبراهيمي رئيسًا للإتحاد ومنشئًا لفروع أخرى له في فرنسا، ومسعود آيت شعلال ترأسه بعد ذلك من 1957 إلى غاية 1961.

أما بالنسبة إلى التيارات الأخرى فتكشف المقابلات أن المبحوثين، كان لهم ارتباطا وثيقا ببعض الأحزاب والحركات، والجمعيات النضالية الطلابية، كحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحزب الشعب الجزائري، وكذلك النضال في جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا، وفيدرالية فرنسا لجهة التحرير وتأسيس رابطة الطلاب الجزائريين.

ويتبين أن أغلبهم كان مناضلا سياسيا، في حركات وطنية معينة وتحديدًا PPA-MTLD.

أما النضال الثوري فالمبحوثين التحقوا بجيش التحرير الوطني، بعد انفجار ثورة أول نوفمبر 1954، ومنهم المؤسسين لهذه الجبهة، التي رأت أن ما يأخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وقد شغل أغلبهم مناصب في الحكومة المؤقتة.

وقد تعرضوا لمضايقات واعتقالات وتعذيب ونفي من قبل السلطات الفرنسية، وساهموا في الإعداد للإضراب الذي نظّمه الإتحاد، كما ساهموا في الإعداد للمؤتمرات الطلابية والدولية باسم جبهة التحرير الوطني.

بينما تدرجهم الوظيفي بعد الإستقلال، فإنه يتبع بسلسلة التكوينات العلمية التي تلقوها أثناء الإستعمار، حيث أن الجزائر فوجئت بتركة استعمارية ثقيلة، احتاجت إلى إعادة هيكلة مختلف المؤسسات، فبرزت هذه الأسماء التي شغلت مناصب حساسة، في جهاز الدولة ووزراء وسفراء ومدراء تنفيذيين، وكونوا أحزابا سياسية وترشحوا للرئاسيات.

ونستنتج أن الجزائر وجدت في هذه الفئة من المناضلين والمجاهدين، الذين تلقوا تكوينا لائيكيا وآخر اسلاميا، نخبة متميزة ساهمت في صياغة المشروع الوطني، الذي سنحاول إعادة تفكيكه عبر الإتحاد العام للطلبة للمسلمين الجزائريين (L'UGEMA)، الذي واجه مختلف التيارات بإشارة مميزة تكشف عن مفارقة، وهو جمعه لمختلف الأطياف والتشكيلات الوطنية، التي ارتبطت بما يحدث في واقع المجتمع الجزائري آنذاك.

حيث وحسب ما ورد في جريدة استعمارية - بيان لجنة أفريقيا الفرنسية- ، بمناسبة إنعقاد المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين أنهم شكلوا: "...جماعة واعية، من الغرباء الذين تجمعهم المصادفة مثيرا لدى كل واحد منهم، المشاعر نفسها والأفكار نفسها والطموحات نفسها، ويعتقد الملاحظ الأوروبي، أنه يرى وسط هؤلاء الأفراد المتحولين، روح جنسهم تتجلى لعينه... إن مؤتمر الجزائر ليتيح لنا دليلا جديدا بين عديد الأدلة ، على أن التعليم الذي تمنحه لتلاميذنا، لا يقتل لديهم قط روحهم الأزلية، بل هو على النقيض من ذلك يزيده إنعاشا...."⁽¹⁾. وقد زادت الأدلة المشار إليها تأكيدا لتكتل أفراد المجتمع الجزائري، في تلك الفترة خاصة فكرة الارتباط بالشخصية الثقافية الوطنية.

ورغم قلة هذه النخبة الطلابية التي اكتسبت معارف وشهادات عليا، وتردها على المدارس والثانويات والجامعات الفرنسية، وكذا تلقي التكوين العربي الإسلامي، في جامعات عربية إسلامية كالزيتونة والأزهر، إذ أنهم تولوا مهام النخبة المفكرة لمصير شعبها ووجوده، فكيف تمظهرت أفكار هذه النخبة الفاعلة من الطلبة، في صياغة المشروع الوطني بمقوماته وأبعاده المختلفة ؟

1- بلعيد عبد السلام، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2011 ، ص 23.

المبحث الثاني: عرض المقابلات مع المبحوثين :

تاريخ المقابلة: 2010/09/10	المقابلة رقم (1)
2010/09/11	التعريف بالمبحوث
2010/09/12	1-إسم المبحوث:
مكان المقابلة: مقر سكن المبحوث (الأبيار-الجزائر)	-عبد الرحمن المدعو (لمين) خان
مدة المقابلة: الحصة (1) : 3 ساعات	2- تاريخ ومكان الميلاد:
الحصة (2) : 2 ساعة	- من مواليد 6 مارس 1931 بالقل ولاية سكيكدة
الحصة (3) : 6 ساعات	

3- الأصول العائلية للمبحوث:

- ينحدر المبحوث من عائلة ميسورة الحال.

حيث كان والده من أعيان المنطقة، كان يشغل رتبة مساعد قاضي، فهو عصامي درس بمساعدة محامي جزائري للحصول، على دبلوم محامي أهلي، عوض أن يمتحن المحاماة الخاصة بشؤون الأهالي، فضّل القبول بوظيفة مساعد في شؤون القضاء الإسلامي.

4- الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

كانت ميسورة، بحكم مهنة الوالد كانت توفر للمبحوث كل احتياجاته، من مأكّل وملبس ومزاولة التعليم في جميع مراحل.

حيث درس المبحوث مراحل التعليم كاملة، وصولاً إلى حصوله على شهادة البكالوريا، في مدينة قسنطينة في السنة الدراسية 1949-1950، اشتغل مباشرة مراقباً في ثانوية بنفس المدينة، بعد سنة توجه إلى الجزائر العاصمة للتسجيل بجامعة، في السنة الجامعية 1952-1953، بعدها انتقل إلى فرنسا في السنة الجامعية 1953-1954، للتسجيل في شعبة الطب ثم تحصل على دبلوم طبيب.

5- المسار النضالي قبل الثورة (النضال السياسي) :

- ناضل المبحوث أولا في حزب الشعب الجزائري ابتداء من عام 1946، ثم حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947.

- ساهم في تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، سنة 1955م، حيث كان عضوا فعالا قبلها في جمعية طلبة أفريقيا الشمالية بالجزائر، فنضاله في حزب الشعب الجزائري في أوائل الخمسينات، سمح باستمالة طلبة الجمعية إلى الحزب، وانتقائهم وتجنيدهم لخدمة الحركة الوطنية السياسية بالجزائر دائما.

إتسم نضاله السياسي بالحزم والصرامة، والشجاعة في اتخاذ المواقف السياسية المصيرية، حيث تحدى الإدارة الاستعمارية الفرنسية، باتخاذ قرار وقف الدراسة، والإعلان عن إضراب الطلبة في المعاهد والكليات الفرنسية، وهذا بعد إخطار جبهة التحرير الوطني، وكان هذا بعد اندلاع ثورة التحرير بعدة شهور.

6-المسار الثوري (النضال في الجبهة):

- إلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956م ، بالولاية التاريخية الثانية برتبة نقيب إلى غاية سنة 1958 ، أين أصبح عضوا في الحكومة المؤقتة المعلنة في سبتمبر 1958م، عيّن وزيرا مندوبا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

- إشتغل مدير ديوان المالية ما بين سنتي 1961 و 1962.

7-التدرج الوظيفي بعد الاستقلال:

-ترأس بعد الإستقلال اللجنة التقنية لتقييم الثروات الباطنية في الصحراء، وكان هذا إبتداء من 14 سبتمبر 1962.

- عيّن وزيرا للأشغال العمومية بتاريخ 22 سبتمبر 1966.

- عيّن مديرا تنفيذيا لوكالة الأمم لمتحدة للتنمية الصناعية، من سنة 1975 إلى غاية 1985 سنة إحالته على التقاعد.

عرض المقابلة

[s'agissant de la création de l'UGEMA, il faut savoir que tous les étudiants musulmans nord-africains se retrouvaient périodiquement en congrès. Après l'interruption due a la seconde guerre mondiale. Les réunions entrepris et à l'encontre de 1950, l'idée fut avancée de regrouper toutes les associations en une seule union générale.

Je suis arrivée en 1949 à Alger , on se retrouvait au sein de la section universitaire du PPA avec d'autres camarades de Constantine que étaient de la medersa et d'autres comme Belaid Abdesselam, on s'est réuni pour étudier la résolution d'une fusion en une union Maghrébine des étudiants musulmans (UMEM), c'était l'année scolaire 1952-1953, mais l'idée n'a pas pu se réaliser, puisque les étudiants tunisiens ont créés leurs association L'UGET, ainsi que les étudiants Marocains « L'UNEM », même le projet pour créer ensuite et les fédérer n'a pas pu se réaliser. Arrivant en 1954 la guerre fût déclenchée, arrivant à la date du 27/02/1955, il y'a eu la bagarre à Paris. Concernant le « M » Musulmans, les étudiants communistes ont créés leurs associations « L'UGEAP » et voulaient que tout le monde y adhèrent les juifs aussi .toutes le autress tendances ,mais c'est Abdesselam qui s'est illustré dans l'organisation de la défense de l'idée de l'UGEMA. Au niveau de Paris, où il à convaincu les étudiants de toutes les provinces de la France d'y adhérer, A Alger on a décidé de faire une appel pour la constitution le l'UGEMA, appel qui doit partir d'Alger et c'était fait à la date du 27/02/1955.

Les revendications de L'UGEMA nationalistes étaient pendant le congrès constitutifs basées sur :

- *La lutte contre la domination colonialiste.*
- *La sauvegarde et la défense de la personnalité historique algérienne.*

كان هناك المؤتمر الثاني للإتحاد حيث أسسنا لجنة سياسية، ترأسها محمد الصديق

بن يحي فكان شابا مناضلا في جبهة التحرير الوطني، الذي قدم اقتراحا بإمضاء ستين

(60) مندوبا عن مكاتب " لوجيما " في بلدان عديدة.

C'est pourquoi le congrès examina une question extra universitaire, telle que la formation d'infirmiers et d'infirmières pour le maquis et ainsi que pour les étudiants médecins et pharmaciens, la révolution à besoin de ce renfort.

Le choix – de s'engager ?

كنا نناضل في حزب الشعب الجزائري، وكنا نرى أن فرنسا دخلت الجزائر بالقوة، لذا

يجب أن نخرجها بالقوة، وكانت هذه الفلسفة الثورية للحزب، وانخرطنا في النضال السياسي

من أجل تحقيق هذا الهدف، وعندما اندلعت الثورة، كان من الطبيعي أن نتبع هذا الخط الثوري.

كان هناك طلبة يناضلون في حزب الشعب ويدرسون في نفس الوقت، مثل بلعيد عبد السلام، رضا مالك، زهير إحدادن، انضمنا إلى الجبهة والتقينا بعبان رمضان وبين يوسف بن خدة رحمهما الله.

جندنا قليل من الطلبة في الجامعة، فعدد الأطباء والصيادلة كان قليل جدا .

Ça se compte sur le bout des doigts, la révolution à besoin des gens alphabétisés pour qui' ils (puissent) ou soient engagés, pour des missions purement politiques.

مثلا يقومون بمهام محافظين سياسيين.

فيما يخصني، عمارة رشيد آنذاك كان طالبا في الجامعة والتقيته عدة مرات استشهد في الجبل، كنت طلبت منه أن يضعني في اتصال مع جبهة التحرير، ونجح في ذلك والتقيت بعبان رمضان وكان هذا في ربيع 1955.

أهم مؤتمر عقد في الإتحاد كان المؤتمر الرابع في تونس عام 1960 ، حيث كان مؤتمرا طلابيا جزائريا دوليا ضخما ، حضرت فيه كل فروع الإتحاد، من البلدان العربية المشرقية والبلدان الأوروبية خاصة فرنسا، وأيضا اتحادات طلابية من أمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية والإتحاد السوفييتي، حينها كانوا الطلبة ممثلي الجزائر في الخارج، وأصبح للقضية الجزائرية صدى كبيرا، ونجحنا في كسب تعاطف شعوب كثيرة في العالم، حينها أيضا كانوا الطلبة يلتحقون بالجمال أيضا، ومنهم حتى الذين كانوا في الحزب الشيوعي، مثل محمد ينال استشهد في الجبل.

-la grève des étudiants avait d'abord été une décision des étudiants d'Alger, et n'est pas venue de la direction du FLN. A mon avis la séparation nette des communautés européennes et algérienne s'est faite au lendemain de l'offensif du 20 Août 1955 dans le nord constantinois.

إضراب طلبة الجامعات في الجزائر وفرنسا كان له صدى كبيرا، حيث بين أن فرنسا فشلت في تكوين نخب، كانت تظن أنها فصلتها على شعبها وآلامه ومعاناته، فالطلبة جزء من الشعب واتخذوا القرار، ليس فقط بترك مقاعد الدراسة، بل التضحية والاستشهاد في سبيل عدالة القضية الجزائرية، وتحرير الشعب الجزائري من هيمنة واستعمار، أرهق الشعب الجزائري مدة تزيد عن 130 سنة.

- كان رد فعل فرنسا عنيفا ، حيث حلّ الإتحاد العام للطلبة، وزج بطلبة مناضلين كثيرين في السجون في فرنسا والجزائر، ومنهم رئيس الإتحاد الأول أحمد طالب.

فيما يخص اللغة العربية هي أحد، مقومات الشخصية الجزائرية و الهوية الوطنية، فهي لغة القرآن، والقرآن هو عقيدة، ونمط حياة، وممارسة يومية للجزائريين.

عند عقدنا لمؤتمرات الإتحاد، ولم أحضرها جميعا، حيث كنت بمنطقة الشمال القسنطيني وبعدها، عضوا في الحكومة المؤقتة ، لكن أظن ونحن كنا في ظروف إستثنائية، تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، المطلب الأساسي و الأول كان - السعي لتحقيق الإستقلال، والتحرر من الاستعمار بالنضال السياسي والكفاح المسلح.

أتذكر في المؤتمر الأول للإتحاد، وفي الكلمة التي ألقاها أحمد طالب، تعرض لمشكل الهوية العربية الإسلامية، وضرورة إعادة بعث من جديد اللغة العربية في برامج التعليم.

حضور طلبة المشرق والذين تكوّنوا في الزيتونة والأزهر، ومشاركة طلبة الجامعات الفرنسية، واحتكاكهم ببعضهم، بغضّ النظر عن العامل اللغوي الذي تكوّنا به نحن الطلبة، فقضية الكفاح وتحرير الجزائر جمعتنا نحن الذين درسنا في الجامعات الفرنسية، والذين درسوا في الجامعات والمعاهد العربية، فكلمة عبد الحميد مهري في المؤتمر الرابع، أكد فيه على ضرورة تواصل الأجيال، المتكونة بالعربية والفرنسية وأصبحنا نلتقي، ولا ننسى أن كلمة " مسلم " جمعت كل شرائح الطلبة، وهي لغة الإسلام.

عند تأسيسنا للإتحاد دخلنا في ثورة فكرية عقائدية وإيديولوجية، أردنا من خلالها تعميق الإنتماء الحضاري الإسلامي، فنحن أردنا التميز عن الآخر المستعمر، المسيحي اللاتيني، بهويتنا العربية الإسلامية، فالجزائر قبل الاحتلال، كانت أمة لديها أرض (إقليم)، ولغة التي هي العربية ودين تدين به الذي هو الإسلام، فالنظرية الاستعمارية الفرنسية تقول

أن هذا الشعب يتكون من عدة أجناس، من معمرين وأهالي بدياناتهم المختلفة وهذا غير صحيح، فالأجناس الأخرى هي دخيلة على الجزائر، جاءت مع الغزو الفرنسي واستوطنت بقوة السلاح.

وعندما اندلعت الثورة التحريرية لمقاومة الإستعمار، وإخراجه بالقوة وتحقيق الإستقلال، تعالت أصوات تقول أن الجزائر في طور التكوين، والشيوخيين الفرنسيين يقولون ذلك مع شذمة من الكولون العنصري.

فعبّرنا عن مرجعيتنا الدينية التي حاول الإستعمار طمسها لأزيد من القرن، ونجحنا في ذلك، لكن اتفقنا مع المناضلين المؤسسين للإتحاد، أنه بعد تحقيق الإستقلال، سيتم حذف كلمة " مسلم " من عنوان الإتحاد، لأننا سنكون حينها مستقلين، ولن نحتاج لاصطلاح يميزنا عن الآخر، لأنه سيكون غير موجود فلا داعي للإحتفاظ بالكلمة .

إن الدين الاسلامي شكّل وجداننا ونحن أطفالا، وتتشبّثنا الإجتماعية كانت مبنية على أسس وتعاليم الشريعة الاسلامية السمحة، حتى المصطلحات التي استعملت في الثورة كانت توحى بذلك ، كلمة السر بيننا كانت " الله أكبر " ، ومناداة بعضنا البعض نقول " الخاوة " .

المقابلة رقم (2)	تاريخ المقابلة: 2010/10/10
التعريف بالمبحوث	2010/10/12.
1-إسم المبحوث:	مكان المقابلة: مقر سكن المبحوث
أحمد طالب الابراهيمي	بحيرة بالجزائر العاصمة
2-تاريخ ومكان الميلاد:	مدة المقابلة:الحصة (1) : 2ساعة
ولد في 1932/01/05 بالمدينة	الحصة(2) : 5 ساعات

3-الأصول العائلية للمبحوث:

-هو ابن الشيخ العلامة البشير الابراهيمي؛
أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمشرف على نشاطاتها في الغرب الجزائري.

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

- زاول أحمد طالب تعليمه بمراحله الثلاث، الابتدائية، الإكمالية والثانوية بالمدرسة الفرنسية، ما بين مدينتي تلمسان وآفلو بالأغواط في الفترة ما بين 1937-1948.
درس أيضا وفي نفس الوقت " بدار الحديث" والذي أسسها والده، وهي عبارة عن مجمع تربوي وديني، يلقن فيه التعليم الديني والفقه والتاريخ والعلوم باللغة العربية.
تحصل على شهادة البكالوريا بجدارة ، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة ، للتسجيل بجامعة الجزائر بكلية الطب عام 1949، والتي كانت تسمى آنذاك PCB (أي الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا)، استفاد من منحة للدراسة، ثم تخلى عنها بعد أن أمره والده بذلك، فالوضعية الإجتماعية والإقتصادية للطالب أحمد كانت لا بأس فيها، حيث كان يسكن بيته العائلي الذي اكتراه والده، وكان ينفق على الإبن الطالب في الجامعة، تم اختيار أحمد طالب لهذا الاختصاص، تفاديا أن يصبح موظفا في الإدارة الإستعمارية، فالطب يعتبر مهنة حرة.
بعد ثلاث سنوات في جامعة الجزائر، هاجر أحمد طالب إلى باريس والتحق بكلية الطب، وتفوق فيها، مما مكنه من التردد على المستشفيات الفرنسية- الباريسية، وقضى

هناك ثلاث سنوات في التحصيل العلمي- الطبي، ثم عاد بعدها إلى الجزائر ليستأنف دراسته في الطب دائما، بالسنة الرابعة وكان ذلك في عام 1953. ثم سافر مرة أخرى إلى باريس في الأول من نوفمبر 1954، يوم اندلاع الثورة التحريرية، والتي سجل أثناءها في السنة الخامسة بكلية الطب في باريس؛ وهي السنة التي تتوّج بآخر امتحان نظري، الذي اجتازه بنجاح في ماي 1955.

6-المسار النضالي قبل الثورة التحريرية (النشاط السياسي):

إبتدأ أحمد طالب نضاله السياسي، بعد مرور خمس سنوات على دراسته الطبية في جامعة باريس، أي سنة 1955، أولا في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ثم بعد ذلك في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، وبعدها ربط الصلة ببعض إدارات الفيدرالية بعدما علموا بمشروع إنشاء التنظيم الطلابي، والذي تولى رئاسته في جويلية 1955، ثم أصدر رفقة مناضلين معه في الإتحاد، لسان حال الإتحاد جريدة " الطالب الجزائري "، التي لم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد، وفي نفس الوقت أوجد فروعاً للإتحاد في العديد من المدن الفرنسية.

إبتداء من مارس 1956، دخل نضال أحمد طالب السياسي مرحلته السرية التامة، حيث كلف من طرف جبهة التحرير الوطني، القيام بمهام خاصة تصب مجملها باتجاه التنسيق، بين أعضاء فيدرالية فرنسا وقيادة جبهة التحرير، إعتقلت أحمد طالب الشرطة الفرنسية بتاريخ 27 فيفري 1957، وزجّ به في السجن مع مجموعة من رفاقه من فيدرالية فرنسا، إلتقى خلالها بالزعماء الخمسة، أحمد بن بلة، محمد بوضياف، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، رابح بيطاط، وأيضا مصطفى الأشرف، وكانت له معهم نقاشات سياسية، غادر أحمد طالب سجون فرنسا في سبتمبر 1961، ومنها اتجه إلى تونس، ثم المغرب وبعدها إلى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث خضع للعلاج هناك، توجه بعدها إلى القاهرة، حيث التقى بأسرته ووالده البشير الابراهيمي، الذي كان مقيما هناك منذ عام 1952، ومن تم كان رجوعه إلى الجزائر سنة 1962، الذي عيّن حينها في لجنة مصغرة، تشكلت من ثلاثة أعضاء لإجراء الاتصالات الضرورية، بين القادة الكبار تقاديا للمواجهة المسلحة، بين المجاهدين الفرقاء المتناحرين على السلطة بعيد الإستقلال مباشرة.

عين مندوبا عن الحكومة المؤقتة، في الجلسة السنوية لهيئة الأمم المتحدة في ديسمبر 1961.

7- التدرج الوظيفي بعد الاستقلال :

- عين وزيراً للتربية الوطنية عام 1965 .
- عين وزيراً للإعلام والثقافة بتاريخ 21 جويلية 1970.
- أصبح وزير مستشاراً لرئيس الجمهورية في 27 أبريل 1977.
- عين وزيراً لمجلس المحاسبة بتاريخ 16 ماي 1979.
- عضو المكتب السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني في فيفري 1979، إلى غاية جويلية 1981، وأيضاً عضواً في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني.
- عين رئيساً للجنة التربية والإعلام والثقافة، تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني في شهر جانفي 1980.
- عين مرة أخرى وزيراً للشؤون الخارجية بتاريخ 08 ماي 1982.
- أسس مع أحمد سحنون، بن يوسف بن خدة، وعبد الحميد الإبراهيمي وعبد الله جاب الله، لجنة مساندة لتحرير السجناء السياسيين في أكتوبر 1991م.
- ترشح للانتخابات الرئاسية يوم 3 فيفري 1999، لكنه انسحب ليلة الانتخابات بمعية المترشحين الخمسة الآخرين.
- أسس حزبا سياسيا سمي " وفاء " في جويلية 1999 ، لكنه لم يتحصل على الترخيص.

مؤلفات المبحوث:

- رسائل من السجن، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.
- من التحرير إلى الثورة الثقافية 1962-1972، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
- مذكرات جزائري الجزء الأول: أحلام ومحن (1932-1965)، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2006-2007.

- مذكرات جزائري الجزء الثاني، هاجس البناء (1965-1978)، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2008.

عرض المقابلة:

يمكن القول أن إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، هو نتيجة حركة جدلية تعبّر في آن واحد من جهة، رغبة الطلبة الجزائريين في الإلتحاق بصفوف الشعب والمساهمة في الثورة، وتعبّر من جهة ثانية، عن رغبة جبهة التحرير في احتواء طاقة الطلبة، وتوظيفها لصالح قضية التحرير المقدسة، فلولا الحركة الوطنية لما كانت الحركة الطلابية.

ومع بداية الخمسينات وشارع الأحداث في بلدان المغرب العربي، يعجّ بحراك سياسي و ثوري، حاول الطلبة من جديد البحث عن إطار وحدوي، يتلاءم مع المستجدات السياسية وحتى العسكرية، فحاول طلبة المغرب العربي الثلاث، تأسيس إتحاد فيدرالي يجمع ويوحد الأقطار الثلاثة لكن حال دون ذلك، وأسّس طلبة تونس إتحادهم، وكذلك المغرب، كما أسس الجزائريون في باريس هم أيضا، سنة 1954 تنظيما طلابيا جديدا، أشرف على تسييره الحزب الشيوعي الفرنسي بباريس « **U.G.E.A.P** » أكثر مما سيّره الطلبة الجزائريين.

ويبدو أن إسناد مسؤولية تسيير هذا التنظيم الجديد، للشيوعيين الفرنسيين المتعاطفين مع الطلبة الشيوعيين الجزائريين، لم يكن مرغوبا فيه لدى جميع الطلبة الجزائريين المتواجدين بفرنسا، ولذلك وقع شرخ في الإتحاد الطلابي الجزائري بباريس، الذي أصبح يمثل شريحة قليلة العدد، وعدم وجود انسجام فكري وأيديولوجي، مع التكوين السياسي والديني لباقي الطلبة، خصوصا بعد اندلاع ثورة التحرير، والتعبير عن مقدرته العسكرية بعد هجوم 20 أوت 1955، كل ذلك عجلّ بعدد من الطلبة إلى محاولة إقناع زملائهم، سواء من الجزائريين أو الفرنسيين بعدالة القضية الجزائرية، واستجاب العدد الأكبر من هؤلاء الطلبة لنداء أول نوفمبر، الذي كان يهدف إلى تنظيم الفئات الإجتماعية وتجنيدتها في الكفاح المسلح، وبعث المنظمات الجماهيرية، وتعبئتها للعمل التحريري، وفصلها عن الهياكل التنظيمية للإدارة الفرنسية، وعلى هذا الأساس تكوّن في جويلية 1955 الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

كانت من أهم مطالبنا الأساسية تحقيق الاستقلال التام للجزائر، ومقاومة الإستعمار الفرنسي بكل الوسائل، واستعادة شخصيتنا العربية الإسلامية.

في جويلية 1955، انعقد المؤتمر التأسيسي للإتحاد بباريس، وانبثق عنه مكتبا إداريا مكونا من خمسة وعشرين عضوا، تولوا بدورهم انتخاب لجنة تنفيذية من خمسة أعضاء، وكان لي الشرف أن انتخب كأول رئيس للإتحاد.

قمنا خلال رئاستنا للإتحاد بأعمال كثيرة أذكر منها:

- تنظيم كل شعبنا في المدن الجامعية الفرنسية.
- الإتصال بالطلبة الجزائريين في المشرق العربي، والذين بدأ عددهم يتزايد بفضل بعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- إصدار جريدة الطالب الجزائري، التي ظهرت منها ثلاثة أو أربعة أعداد .

في مارس 1956، انعقد المؤتمر الثاني للإتحاد ، حيث طلبت مني قيادة الثورة من مدينة الجزائر، الإلتحاق بقيادة الجبهة في فرنسا، والتفرغ لهذا العمل، ودخلت السرية كاملة، حتى ألقى علي القبض في فيفري 1957م.

طبعاً كان خيار الإلتحاق بالثورة خياراً ضرورياً، وواجباً يحتّمه علي نداء الوطن، خاصة بعدما التحمت الجماهير الشعبية، مع جبهة التحرير الوطني شيئاً فشيئاً، وبدأت فئات عديدة من المجتمع تلتحق بالثورة، والجهاد في سبيل تحرير الوطن، فلا يمكن أن أرى شعبي يتألم تحت وطأة وشراسة المستعمر، ورفقائي في الدراسة والنضال يلتحقون تباعاً، وينخرطون في جيش التحرير ونبقى نتفرج على الوضع المأساوي

إضراب 19 ماي وقرار دعوة الطلبة التي اتخذته قيادة الثورة، كان الشهيد عبان رمضان رحمه الله، الشخصية القوية في هذه القيادة، التي أدركت عام 1956 أن الحرب مع الاستعمار الفرنسي سوف تكون طويلة وشاقة، وأن الإتصالات التمهيدية التي تمت مع فرنسا، لم تكن إلا مغالطة من طرف العدو، خاصة وأن الطريقة التي تم بها منح تونس والمغرب استقلالهما، توحى بأن فرنسا عازمة على الإحتفاظ بالجزائر، كجزء منها، وبالتالي مصممة على تركيز قواها على هذه الرقعة، وبما أن الحركة الشاملة تقتضي إحداث القطيعة الكاملة مع الإستعمار الفرنسي، وتجنب الوقوع في فخاخه، فلا يمكن للطلبة أن يبقوا للحظة على الحياد، في الإختيار المصيري للشعب، والعبارة التي استعملت في نداء 19 ماي

صحيحة في رأيي، إن التأطير للجزائر المستقلة ضروري، ولكن هل يصح تأطير الخراب ؟
".

أظن أنه عندما يتعلق الأمر بمصير الأمة، يصبح مصير الفرد ثانويا، وأن نيل الشهادة مهما كان مقصدا نبيلًا، إلا أنه يهون أمام الشهادة في سبيل الوطن.
ردّ فعل الإدارة الاستعمارية كان دائما عنيفا، ويزداد عنفا يوما بعد يوم ، حيث في مرحلة أولى، مارست سياسة العنف الرمزي أكثر في الجامعة، حيث أصبح الطلبة الفرنسيون يمنعون الطلبة الجزائريين من الدخول الحرم الجامعي، ثم بعد ذلك منعوا الأساتذة من تدريس الطلبة الجزائريين، ثم اتخذت السلطة الإستعمارية الفرنسية قرار حل الإتحاد في سنة 1958، وإلقاء القبض على أعضاء الإتحاد، والزج بهم في السجون والمعتقلات، في فرنسا والجزائر، وخطف الطلبة وتعذيبهم ورميهم في أماكن عديدة، مثل الطالب عبد الرحمان... ومع ذلك واصل الطلبة الكفاح المسلح، ومارسوا اختصاصاتهم العلمية خاصة في الطب والصيدلة في الجبال، بمعالجة المجاهدين وحتى في مقاومة المستعمر، والقيام بعمليات جهادية استشهد عدد منهم.

فيما يخص اللغة العربية، فالمستعمرة التي تفقد لغتها تفقد هويتها، وأعتقد أن اللغة عنصرا أساسيا في الهوية الوطنية، ومن بين الخطوات التي رسمها الإتحاد الطلابي، واعتبرت من المبادئ والأهداف التي سوف تعزز و تثمن وجودنا، كشريحة مثقفة مناضلة، نذكر منها وجاءت في الترتيب الثاني لهذه الأولويات :

- إدراج المطالبة باستعادة اللغة العربية، وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال، باعتبار أن عنصر اللغة هي إحدى دعائم الشخصية الجزائرية.
- كان المطلب الأساسي في الإتحاد هو حق تقرير الجزائر مصيرها بنفسها، والتحرر والإستقلال من قيود الإستعمار، فالسيادة الوطنية تمكّنا من استعادة شخصيتنا الوطنية بكل مقوماتها.
- فيما يخص موافقة الأهل على تعلم وتلقي الثقافة الفرنسية، صحيح أنه بعد احتلال الجزائر في تلك الفترة، كان الجزائريون برفضون ذهاب أولادهم إلى المدارس، الفرنسية خوفا من التصير والتمسيح، وآثروا الجهل والأمية لفترة معينة على أن يستلب أبناءهم، وأتذكر فيما يخص التحاقني بالمدرسة الفرنسية، الوالد كان معارضا بسبب محتواها

الاغترابي، والدليل أن والدي منعني عندما كان عمري تسع سنوات، حين قدمنا إلى تلمسان سنة 1933 من الدخول المدرسة الفرنسية، لكن حينها الشيخ ابن باديس رحمة الله عليه، هو الذي أقنع والذي بفوائد تعلم الفرنسية، خلال زيارته إلى تلمسان في السنة نفسها، وكان ابن باديس يرى أن اللغة الفرنسية ستساعدنا في كفاحنا، مستشهدا بمثال الأمين العمودي، الذي برع في اللغتين، وأفاد بذلك الجمعية .

أعطيت اللغة العربية حقها في كل مؤتمرات الإتحاد، وخاصة في المؤتمر الرابع بتونس سنة 1960، حيث اتخذت قرارات بشأنها:

أنه تعتبر ثقافتنا الوطنية ذات طابع عربي - إسلامي، واللغة العربية هي لغتنا الوطنية الأولى، حيث حاول الإستعمار طمسها وجعلها لغة أجنبية في وطنها. ولتحقيق هذين القرارين يبدو لي كان صعبا أثناء الحقبة الإستعمارية، لأن أولوية النضال والكفاح المسلح أهم بكثير من أي شيء آخر، كنا نحاول التفكير وطرح التصورات، والوعي بذاتنا وانتمائنا العربي الاسلامي، يجعلنا في كل مرة نؤكد على الحفاظ على هذا المقوم وترسيخه أو بالأحرى استعادته، لا ندري متى بالفعل سيجسد ميدانيا ؟ لكن المهم كنا نفكر .

أما بعد الإستقلال فالأمور كانت أكثر تعقيدا، الإدارة كانت مكونة من عناصر وموظفين متكونين باللغة الفرنسية بنسبة تقريبا 100%، والوثائق أيضا كانت بالفرنسية، كانت آنذاك أمامنا تحديات كبيرة أهمها، بناء الدولة الجزائرية وبعدها تفكير في مشروع إجتماعي وطنيأعتقد ذلك.

فمن مقومات الشخصية الجزائرية العروبة، نحن نستمد عروبتنا من الإسلام؛ ففي عهد الرئيس الراحل بومدين، ربما لطول فترة حكمه، كانت من المبادئ الأساسية المتمثلة في نشر التعليم ومجانيته، مع استرجاع الثقافة الوطنية، وتعزيز مقوماتها، و اعتبار اللغة العربية لغة وطنية، مع ضرورة تعريب التعليم والإدارة، وقد دعا بومدين إلى ما سماه بـ " الثورة الثقافية"، وأكد على ضرورة أن تكون الثقافة الجزائرية باللغة العربية، باعتبارها من المقومات الأساسية للهوية الوطنية، وقد كانت من بين أهم مطالب الحركة الوطنية.

لكن في الواقع كان التعريب في الجزائر، يحوي عدة نقائص بعد خروج الإستعمار الفرنسي، فالتدريس كان منخفضا جدا، ونسبة الأمية مرتفعة، الأمر الذي يعني نقص في الإطارات والكفاءات العلمية.

كما بقي الإقتصاد الوطني، والمصالح الاجتماعية والإدارية دون إطارات كفئة، فالتعريب لم ينجح على العموم.

بالنسبة للدين الاسلامي هو عقيدة وشريعة وعبادات وممارسات يومية، أتذكر المسيرة التي نظمتها أنا ورفاقي من الطلبة في باريس، وتناولت الكلمة علنا وارتجالا، باسم أعضاء " الميم " يعني مسلم، حيث شرحت أن التعلق بكلمة " المسلمين "، يعني الإنتماء إلى فضاء حضاري، وبأن النقاش حول حرف " الميم " لا معنى له، إلا في جزائر تنعم بالإستقلال، الحركة الوطنية السياسية ركّزت، على مقومات الشخصية الوطنية من دين ولغة وتراث، مما أدى إلى فشل فرنسا في دمج ومسح وفرنسة الجزائريين، إلا فئة قليلة جدا من الجزائريين برغم، دوام احتلالها للجزائر مدة مئة وثلاثين عاما.

كانوا أكثر المعارضين لنا طلبة شيوعيين عددهم قليل جدا، أسسوا تنظيمًا طلابيا مكن من انخراط أعضاء، مهما كانت توجهاتهم الدينية و العرقية، سواء أكانوا يهودا أو مسيحيين ومن جنسيات مختلفة، المهم أن يكونوا مع استقلال الجزائر، وكان هذا من غير الممكن، فهؤلاء لن يستطيعوا الإنصهار فينا، فنحن لنا عادات وتقاليد، ودين ولغة تختلف تماما عن عقائدهم وتقاليدهم، فلا يمكن أبدا أن تمتزج العقيدة الإسلامية، مع العقيدة المسيحية أو اليهودية. بالإضافة إلى أنه فيه اعتقاد راسخ لدى المسلمين، أن الديانة المسيحية حرفت وليست هي، التي نزلت على سيدنا عيسى عليه السلام، وهؤلاء الصليبيون أتوا لغزونا وتدميرنا وقهرنا، فوق كل هذا فكيف لنا أن نندمج معهم؟ !

وحسم الأمر في الأخير لصالحنا وثبتت كلمة " مسلم " في الإتحاد، لكن تم الإتفاق مع الأعضاء المؤسسين للإتحاد، أي بعد تحقيق التحرير والاستقلال، سيتم حذفه، لأننا سنكون داخل إطار دولة يعتنق غالبية شعبها الدين الإسلامي، وهذا ما تم فعلا، فخلال المؤتمر الخامس في سنة 1962، الذي انعقد تحت راية جزائر الإستقلال والحرية، اتخذ القرار بحذف الكلمة مسلم وأصبح " L'UNEA "، أي الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين.

ثم في مؤتمر أخير في صيف 1963، تمّ دمج هذا الاتحاد مع المنظمات الجماهيرية الأخرى الإتحاد للعمال، والإتحاد العام للفلاحين الفلاحين، يحمل اسم " الاتحاد لوطني للشبيبة الجزائرية" « L'U.N.J.A »

- "U.N.J.A ": Union Nationale de la jeunesse Algérienne.

- المقابلة رقم (3)**
التعريف بالمبحوث
1-إسم المبحوث:
بلعيد عبد السلام
- 2-تاريخ ومكان الميلاد:**
ولد في جويلية 1928 بعين الكبيرة
بمدينة سطيف.
- 3-الأصول العائلية للمبحوث:**
تعود عائلة بلعيد في أصولها إلى ولاية تيزي وزو دائرة عين الحمام، وبالضبط بدوار ايغيل بوغماس ابني بودرار، والده كان في الأصل تاجرا متجولا، استقر في عين الكبيرة بعد شرائه أراضي فلاحية، جعلته يخرج من دائرة الفقر نهائيا.
- هاجرت أسرة بلعيد من موطنها الأصلي في جرجرة، بعد فشل المقاومة الشعبية عام 1871، التي خسرت فيها العائلة أراضيها، بلعيد هو الابن الأكبر للعائلة المكونة من ستة أبناء.
- 4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:**
درس بلعيد كل المراحل التعليمية في المدارس الفرنسية، حيث سمحت له ظروفه الإجتماعية بحكم الظروف المادية للعائلة التي كانت ميسور، بالتنقل بين سطيف، قسنطينة، سكيكدة والجزائر العاصمة، تحصل خلالها على شهادة البكالوريا، وسجل بكلية الطب بفرنسا، بعد ما هاجر الجزائر، في السنة الدراسية 1950-1951.
- توقف عن الدراسة في السنة الأولى منها، بسبب الإهتمامات السياسية خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر.

5-المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

إلتحق بلعيد عبد السلام بحزب الشعب الجزائري منذ سنة 1944، حيث شارك في مظاهرات 08 ماي 1945، وألقت الشرطة الفرنسية القبض عليه، وكان سنه لا يتجاوز السبعة عشر سنة.

إلتحق بعدها باللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري، وسنّه لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة، تجسيدا لذلك الإنفتاح الذي قام به الحزب، على الفئات المتعلمة والحركة الطلابية، حيث انتخب على رأس جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية " AEMAN"، مرتين متتاليتين في الفترة 1951-1952 و 1952-1953م

الإنشقاق الذي حدث داخل الحزب، وجد المناضل نفسه مصنفا في خانة المركزيين، هذه الأزمة وتداعياتها السياسية، هي التي تفسر المسؤوليات المتواضعة التي أداها المركزي " عبد السلام " .

6-المسار الثوري (النضال في الجبهة):

إلتحق بالمحوث بجبهة التحرير الوطني في شهر ماي 1955م، عضو مؤسس للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في جويلية 1955.

طول فترة التحرير عمل مديعا باللغة الأمازيغية في إذاعة الثورة في المغرب، قبل أن يلتحق بمدرسة تكوين الإطارات، ثم مسؤولا عن الطلبة والتكوين داخل هياكل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، والذي عاد إلى الواجهة من خلالها جزئيا، مع بعض رفقاءه في النضال، من قدماء الحكومة المؤقتة والمركزيين على الخصوص.

في سنة 1958، اشتغل مع وزير الثقافة آنذاك أحمد توفيق المدني، ووزير الشؤون الإجتماعية بن يوسف بن خدة.

ثم عين مستشارا بديوان رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1961.

7-التدرج الوظيفي بعد الاستقلال:

- بعد الاستقلال في جويلية 1962، كلف بإدارة الشؤون الاقتصادية في الحكومة المؤقتة، بعد وقف إطلاق النار في عام 1962.
- عين رئيس مؤسسة " سوناتراك" ما بين: 1964 و 1966.
 - عين وزيرا للصناعة والطاقة من جويلية 1965 إلى غاية أفريل 1977.
 - عين وزيرا للصناعات الخفيفة من أفريل 1977 إلى غاية مارس 1979.
 - عين رئيسا للحكومة في 8 جويلية 1992.
- ترشح للانتخابات الرئاسية سنة 1999، لكن لم يحصل الـ 75.000 إضاء المنصوص عليها في قانون الإنتخابات.

عرض المقابلة

فيما يخص النضال السياسي، كان حزب الشعب الجزائري، أول حزب يطالب باستقلال الجزائر بقيادة مصالي الحاج، هذا الحزب يضم مناضلين أكفاء، يتميزون بالحزم والصلابة والتضحية في سبيل هذه المبادئ، والكفاح بكل الوسائل من أجل استقلال الجزائر. كان مطلوبا من نحن المناضلين أن نؤسس، تنظيمات طلابية كل على مستواه في المدينة الذي يقيم فيها.

إنفجار الثورة التحريرية في 1954، فرض على الطلبة واقع معين، يجب استثمار وتجنيد هذه الفئة المتعلمة، والإستفادة من تكوينها العلمي خاصة في الجامعات، من بعض الأطباء وممرضين وصيادلة، فهذه الفئة المتعلمة يجب تجنيدها في خدمة الثورة..

تم إطلاق حملة تأسيس تنظيمنا الطلابي ، تحت اسم الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، لكن أهم مطالبنا ومبادئنا، هو الكفاح و التحرر من الهيمنة الكولونيالية، والتأكيد على استقلال الجزائر، والتفاوض فقط مع جبهة التحرير الوطني.

كان حرف " الميم " قد جلب للإتحاد بعض المتاعب، من طرف حركة طلابية تأسست في فرنسا، طلبتها من الحزب الشيوعي الجزائري، حيث رفضوا هذا " الميم " والإنتساب إليه، ودافعوا على التوجه اللاتكي- الشيوعي.

فالجزائر ترتبط على صعيد هويتها الثقافية، والحضارية بالعالم العربي الإسلامي، دون نسيان أن الجزائر تحتل ضمن الدائرة التي تغطيها هذه الحضارة العربية الإسلامية، موقعا مركزيا في المغرب العربي.

الجزائر ترتبط على صعيد هويتها الثقافية والحضارية بالعالم العربي الإسلامي، دون تشكيك أن الجزائر تحتل ضمن الدائرة، التي تغطيها هذه الحضارة العربية الإسلامية، موقعا مركزيا في المغرب العربي، والذي هو بدوره وطن البربر أو الأمازيغ، هؤلاء البربر هم الفاعلين والمنشئين وحاملين، لواء الحضارة العربية الإسلامية في الموقع الأول، ضمن جميع الشعوب المنتمية لدائرة انتماء هذه الحضارة، والمنتسبة شرعيا لميزاته التاريخية، فالثقافة العربية الإسلامية بالنسبة لأمازيغ المغرب، ليست إسهما خارجيا أجنبيا عن عبقريته جاء ليفرض نفسه، بفعل الغزوات التي اقترفت أقاليم أخرى، بل العكس تماما، فالثقافة العربية الإسلامية، تمثل تراثا شاركوا في تشكيله بصورة حاسمة، إذ إن هذه الثقافة ولدت مع الإسلام، والأمازيغ تبنا الإسلام منذ العشرية الأولى لظهوره، فلا أحد ينكر أن من حمل رسالة الإسلام إلى المغرب، هم أنفسهم أولئك الذين كانوا الرفاق المباشرين للرسول ((عليه الصلاة والسلام))، هذه العناصر المهمة في تاريخ وطننا، تشكل أساس وجود بلادنا الجزائر كأمة، بقدر ما تمثل أساس هويتها الثقافية، إن وجود أمتنا الجزائر نفسه هو تحديد لهويتها الثقافية، قد شكل أحد الموضوعات الرئيسية إن لم يكن الموضوع المركزي، للنقاشات التي سبقت تأسيس (إ،ع،ط،م،ج)، فالجزائر التي تعرضت في جوان 1830 لعدوان الحملة الفرنسية، إنما كانت تمثل بلدا له دولته وهويته الثقافية، وهذه الدولة وهذه الثقافة، كانت تتمثلان في انتمائهم للعالم العربي الإسلامي، ودائرته الحضارية القائمة بين الحضارات، التي طبعت بوجه خاص تطور البشرية عبر التاريخ، و ما حدث للجزائر نتيجة عدوان الجيش الفرنسي، الذي دخل الجزائر في 05 جويلية 1830.

إنهارت الدولة الجزائرية التي كانت تديرها آنذاك، سلطة مرتبطة بالخلافة الإسلامية، سببه كانت قيادتها العسكرية العثمانية الضعيفة آنذاك، أكثر منه بسبب نقص إمكانات الدفاع التي كانت متوفرة، وقبل انهيار الدولة الجزائرية، كانت هناك مقاومة طويلة من الشعب الجزائري، ودافع عن أرضه ووجوده كأمة برزت بوجه خاص، في العمل البطولي بقيادة الأمير عبد القادر، والتي دامت مدة طويلة لاسترجاع الدولة الجزائرية.

إن إنشاء (إ، ح، ط، م، ج) في جويلية 1955، هو إتمام تطور أولئك الذين تمكنوا من التمتع بحق الحصول على المعرفة، والذين لم التزموا من البداية وطيلة هذا التطور، عن ربط مصيرهم وطموحاتهم بإشكالية مصير شعبهم، وانشغالات الطبقة الأكثر بؤسا من هذا الشعب في حياتها، بفعل آثار الاستعمار.

الطلبة الجزائريون كانوا مذكورين من الوهلة الأولى، لأن يدعوا أنفسهم يندمجون في الثقافة التي جلبها المحتل، والتي لا يربطهم لها أي من عناصر حياتهم. من هذا الوضع الخاص بنمط الإحتلال المطبق على الجزائر، ينشأ لدى الطلبة مشكل هوية وطنية، وأصبحت هذه المشكلة بحكم الهيمنة الإستعمارية المفروضة على الجزائر، ميزة خاصة بالطلبة الجزائريين، وقد جرت نقاشات حامية عند إنشاء (إ، ح، ط، م، ج)، خلال السنة الجامعية 1954-1955، بعكس طلبة تونس والمغرب وبلدان المشرق العربي، الذين لم يعرفوا مشكلة بشأن هويتهم الثقافية.

برغم أعمال طمس الشخصية التي قامت بها، السلطة الإستعمارية لمحو وعي الجزائريين، بانتمائهم إلى الحضارة التي شكّلت شخصيتهم الثقافية عبر التاريخ، ظلوا من خلال المبادرات النابعة من أعماق المجتمع الجزائري، يؤكدون دائما ارتباطهم بالقيم الأساسية لهذه الشخصية، ألا وهي اللغة العربية والدين الإسلامي، ببعديهما ومضمونيهما الحضاري.

أقول أولا الوعي الوطني الكبير لشعبنا، لأن هذا الأخير لطالما اعتبر أن لديه هوية ثقافية، مختلفة تماما عن هوية غزاته ومحتليه. (تحليل: يكفي التذكير في هذا الشأن، بأنه عندما كان فرحات عباس، وهو أحد وجوه الحركة الوطنية، يسمي الفترة الإستعمارية بـ"الليل الاستعماري"، فإن العائلات الجزائرية عندما انتهت إلى استيعاب ضرورة ترك أبنائها، يترددون على المدارس التي أقامها المحتل ببلدي، من أجل خلاص وطننا مستقبلا، كانت تحتاط لذلك بتمرير أطفالها بالمدارس القرآنية، قبل دخولهم المدرسة الفرنسية، هذا المرور بالكتاب وحفظ القرآن، في ذهن أبنائنا وأجدادنا، ولو بصورة إجمالية إنما كان يعني ضربا من المناعة، التي تحصنهم من أثر تشويه الشخصية المرعب، من التعليم الاستعماري، أما الزوايا فلعبت دورا تاريخيا في إحماء، مقاومة الشعب الجزائري الطويلة ضد الغزو الكولونيالي، وقياداته ابتداء من الزاوية القادرية، التي ينتمي إليها الأمير

عبد القادر، وحتى " الرحمانية " التي كانت روح الإنتفاضة، التي شنّها الحداد والمقراني وأولاد سيدي الشيخ.

كان شائعا في أوساطنا الشعبية خلال الحقبة الإستعمارية، القول بأن اللغة الفرنسية هي لغة الدنيا واللغة العربية هي لغة الآخرة، يحين التحاور مع الله، أليس ذلك مصوغا في اللغة الخاصة بأوساطنا الشعبية، المتأثرة بآثار الليل الاستعماري، ما يسمح التمييز بين الثقافة المستعمرة التي جلبها المحتل، والهوية الثقافية التي تحدد الشخصية الخاصة، التي تتماشى مع الهوية التي نتحلى بها أمام الله.

أثناء الإحتلال وعلى مدى عشرات السنين، كانت عديد من العائلات الجزائرية، تحتفظ أيضا بإمكانية توجيه أحد أبنائها على الأقل، إلى تعلّم اللغة العربية وعلوم الدين، كعلاقة تميز اجتماعي للأسرة المعنية، ضمن الجماعة المسلمة لبلادنا.

كانت هذه العائلات التي تتوفر على وسائل كبيرة، ترسل بعض أبنائها إلى زوايا بلاد القبائل و الصحراء، وإلى جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، لتعلم اللغة العربية وعقيدة الإسلام، عرف شعبنا كيف يحافظ على هويته الثقافية، التي تحدد طابعه الوطني المميز لضمان تخلص حريته. من المناسب التذكير، هذه البؤر التي ساهمت في الإبقاء على شعلة هذه الهوية الثقافية الوطنية، لشعبنا وإبقائه في بوتقته العربية الإسلامية والتي تجدرت، هي تلك التي حافظت على لهجة ذات أصل أمازيغي، مثل بلاد القبائل، أو وادي ميزاب.

تاريخ المقابلة: 2011/02/06

2011/02/08

مكان المقابلة: مقر سكن المبحوث بسيدي
فروج بالجزائر العاصمة.

مدة المقابلة: الحصة (1) : 5 ساعات

الحصة (2) : 5 ساعات

المقابلة رقم (4)

التعريف بالمبحوث

1-إسم المبحوث:

رضا مالك

2-تاريخ ومكان الميلاد

ولد في 21 ديسمبر 1931 بمدينة باتنة.

3-الأصول العائلية للمبحوث:

كان الأب قاضيا، مارس مهامه في الكثير من المدن الجزائرية، بعد أن تخرج بمدرسة الجزائر العليا لتكوين القضاة، قبله كان جده في سلك المحاماة والقضاء، مما أهله ليكون أحد محامي الشيخ الحداد، بعد فشل ثورته الشعبية في منطقة القبائل الصغرى، التي تعود الأصول لعائلة مالك، نفس الفئات الوسطى الميسورة، تعود إليها الأم، فقد كان الجد من الأم تاجرا ميسورا.

4-الوضعية الاجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

نشأ الطفل رضا مالك في هذا الوسط الحضري الميسور بمدينة باتنة، والتي مارس فيها الأب مهامه بالقضاء في مدن أخرى، مثل عين البيضاء، علما أن العائلة تعود أصولها إلى مدينة بجاية الساحلية.

أتمّ دراسته الابتدائية الطفل رضا مالك بين مدينتي بجاية وعين البيضاء، نظرا لانتقالات والده المهنية بين هاتين المدينتين، ليتوجّه إلى العاصمة بعد ذلك.

5-المسار الدراسي:

أنهى رضا مالك مراحل الدراسة الإبتدائية والإكمالية، والجزء الأول من الدراسة الثانوية أي البكالوريا بمدينة بجاية، وكان هذا في العام الدراسي 1947-1948، انتقل

رضا مالك إلى الجزائر لإنهاء الجزء الثاني من البكالوريا، في السنة الدراسية 1948-1949، حيث كانت ثانوية بجاية لا تتوفر، على هذا المستوى من التعليم في تلك الفترة. السنة الجامعية 1949-1950م، كانت أول سنة في جامعة الجزائر، سجل فيها بكلية الآداب لدراسة الفلسفة.

6-المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

تبلور فكر الطالب رضا مالك ، أثناء دراسته في الجامعة، من خلال انخراطه في الحركة الطلابية، وأصبح من وجوهها المعروفين على المستوى الفكري والتنظيمي، حيث إنتخب أمينا عاما للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أثناء المؤتمر التأسيسي في شهر أفريل 1955م بباريس، وعضو القيادة الوطنية للإتحاد لغاية 1956م. كان مناضلا بحزب البيان الجزائري.

7-المسار الثوري (النضال في الجبهة)

إلتحق رضا مالك بجبهة وجيش التحرير الوطني، وأصبح مديرا جريدة جبهة التحرير الوطني " المجاهد " بالمغرب، من سنة 1957 إلى غاية 1962م. - كان الناطق الرسمي وعضو الوفد الجزائري في مفاوضات ايفيان. - إشتغل عضوا بديوان وزير الإعلام للحكومة المؤقتة سنة 1958م.

8-التدرج الوظيفي بعد الإستقلال:

- عيّن سفيرا بدولة يوغسلافيا سنة 1963، ثم سفيرا بفرنسا عام 1965، وبالإتحاد السوفييتي سابقا سنة 1970. - عيّن وزيرا للإعلام والثقافة ما بين 1977 و 1979م. - عيّن سفيرا بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1979، وبريطانيا عام 1982م. - عيّن مبعوثا خاصا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في فيفري 1992 م .

- أصبح رئيسا للمجلس الوطني الإستشاري، بعد حل المجلس الشعبي الوطني في 04 جانفي 1992م.
- أصبح العضو الخامس في المجلس الأعلى للدولة سنة 1992، بعد اغتيال الرئيس السابق للجزائر محمد بوضياف.
- عين مرة أخرى وزيرا للشؤون الخارجية، في 03 فيفري 1993م.
- أصبح رئيسا للحكومة بتاريخ 21 أوت 1993.
- قدم استقالته رفقة حكومته، أي استقالة جماعية بتاريخ 11 فريل 1994م.
- شكل حزبا سياسيا يدعى حزب التحالف الوطني الجمهوري سنة 1995م.
- ترشح لانتخابات 16 أفريل 1995 و 15 أفريل 1999 الرئاسيتين، لكن لم يتمكن من جمع 75000 ، إضاء المنصوص عليها في قانون الإنتخابات.

عرض المقابلة

إن ضرورة التماشي مع ما كانت تهدف إليه الثورة من طلبتها، حيث لم يعد التنظيم الطلابي مجرد نقابة تعاضدية، بل يجب أن يقدم الطلبة نصيبهم النوعي لمعركة التحرير، وهو نصيب يتوافق مع المستوى الثقافي، التي كانت الثورة في حاجة ماسة إليه، وعليه الطموح كله كان يتمثل في بروزهم كمتقنين عضويين، وكانتلجانسيا قليلة العدد، ولكنها تشاطر بصورة حميمية مصير شعبها، الذي كان يبرز تحت الهيمنة الإستعمارية الفرنسية، لهذا أسسنا تنظيما طلابيا خاصا بالطلبة الجزائريين فقط، يجب أن يساير الواقع المعيش للجزائريين ، ينخرط في هذا التنظيم إلا الجزائريين المسلمين فقط.

La revendication de l'indépendance concernait tout le peuple algérien , de culture arabo-musulmane sur fond Amazigh.

Concernant l'engagement politique des étudiants, c'était dans le cadre du PPA-MTLD, ensuite c'est le FLN, pendant la révolution, les étudiants militaient sous plusieurs formes.

Il y'avait des étudiants medecins ont pris le maquis, pour s'occuper des maquisards et moudjahidines blessés, aussi les infirmiers et d'autres.

خيار الإلتحاق بالثورة كان ضروريا بالنسبة للطلبة، بعد الهجمة العدوانية العنيفة من السلطة الكولونيالية على الطلبة، وخطف بعضهم، والزج " بأخرين في السجون". فكان واجبا علينا أن نتخذ موقفا صريحا وحازما، من السلطات الإستعمارية وهو قيامنا بالاضراب عن الدراسة، والإلتحاق بالجبهة وجيش التحرير في 19 ماي 1956م. فالنضال السياسي ثم الكفاح المسلح، كانا وسيلتنا الوحيدة لتحقيق الإستقلال. بخصوص اللغة العربية.

C'est une des composantes de l'identité nationale et la personnalité algérienne, avait été trop malmenée pour que les étudiants algériens, en un tournant décisif de leur histoire, puissent fermer les yeux sur un sujet aussi cruciale, et des contrevérités que défigurent la physionomie sociologique de l'Algérie, et en détruisant l'unité façonnée par l'histoire.

La thèse des partisans de l'U.G.E.A entrain, dans le droit fil de la théorie de l'ancien secrétaire général du parti communiste français Maurice Thorez la nation algérienne en formation, son objectif inscrit en fait à « naturaliser » en bloc le million d'européens, et à en faire des ayants droits légitimes à la souveraineté sur l'Algérie, au même titre que les 9 millions d'autochtones de l'époque , qu'ils sont venus coloniser et qu'ils sont maintenus sous leur coupe, c'était la façon de consacrer le fait colonial.

Donc le passé ne serait qu'une succession d'invasion jusqu'à l'arrivée des français, A partir de ces prémisses historiques, le présent ne pourrait être que bigarrures raciales juxtaposées ; cette approche raciste des communistes français, reviennent sous la plume de l'U.G.E.A. C'est contre cette conception de l'Algérie « Habit d'Arlequin » que nous nous sommes dressés, elle niait l'existence d'un peuple algérien antérieurement à 1830, lequel, à, en dépit de tout, persévéré dans l'être à travers des résistances presque ininterrompues débouchant finalement sur la révolution du 1^{er} novembre 1954, Maurice Thorez tous les « Arabes » sur le même plan que ceux qui les ont précédés ou suivis. Il passe aussi sous silence cette donnée historique fondamentale :

وهو أنه كان انتشار الإسلام واللغة العربية في أفريقيا الشمالية، في زمن قياسي وهذا رأي المؤرخين المعاصرين أيضا.

Est c'est à partir de cette date que l'action unificatrice de l'histoire s'est mise en marche , donnant naissance à une civilisation particulière, et les algériens, et participé activement à l'élaboration de cette culture arabo

musulmane, ou ils se sont illustrés en fondant royaume et en produisant une pensée et un art originaux.

Concernant le « M », c'est-à-dire que la nation algérienne à ses traditions, sa culture, sa personnalité et son identité, ce « M » n'avait pas un caractère purement religieux, mais plutôt un sens national avec un contenu culturel et historique.

Nous, les berbères, avec l'adoption de la religion musulmane, on a pu constituer des états indépendants, tels que les Almoravides « المرابطون » et les Almohades « الموحدون », et bien d'autres dynasties berbères islamisées, vous pouvez aller à Tlemcen voir la salle on Ibn Khaldoun, au XIVème siècle, donnait ses cours de sociologie, voilà à peu près l'histoire du « M », on ne voulait pas que les non musulmans y adhèrent, nous voulions une organisation représentative du peuple algérien.

-لم نحتفظ بـ" الميم " بعد الاستقلال:

Parce que l'avènement de l'indépendance signifie nécessairement une réhabilitation de l'identité. Dès lors que celle-ci n'était plus contestée, L'U.G.E.M.A pouvait en toute logique, se transformer en U.N.E.A (Union Nationale des étudiants Algériens) laquelle vit le jour le 23 Août 1963.

المقابلة رقم (5)	تاريخ المقابلة: 2011/02/20
التعريف بالمبحوث	2011/02/28
1-إسم المبحوث:	مكان المقابلة: المكتبة الوطنية لحامة بالجزائر العاصمة .
عبد القادر نور	
2-تاريخ ومكان الميلاد:	مدة المقابلة:الحصّة (1) : 3 ساعات الحصّة (2) : 5 ساعات
ولد في 23 أكتوبر 1931 بقرية الشرفة، بلدية أولاد عدي لقبالة (ولاية المسيلة)	

3-الأصول العائلية للمبحوث:

ينحدر من عائلة ريفية محافظة، والد عبد القادر أستاذ اللغة العربية عمار نور المعروف بالشرقي، جده كان شيخ زاوية بالهضاب العليا في القبائل الصغرى، أغلبية أفراد العائلة الكبيرة لعبد القادر نور، تعلموا القرآن الكريم واللغة العربية، على يد أستاذ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي فتحت مدارس هنا بمناطق الحضنة، لنشر وتعليم الشريعة الإسلامية والتراث الاسلامي .

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

نشأ عبد القادر نور في وسط عائلي واجتماعي محافظ ومتدين، ظروفه الاقتصادية الصعبة لم تسمح له بمزاولة دراسته، في المدارس الفرنسية أو الحرة، نظرا لحياة الكفاف التي كان يعيشها رفقة اخوته ، فمهنة الوالد البسيطة وما يتحصل عليه من راتب زهيد، لم يسمح لعبد القادر أن يدرس كل مراحل التعليم .

5-المسار الدراسي:

لم يتمكن من الدخول المدرسة الحرة والدراسية بمراحلها الثلاث، نظرا لظروفه الإقتصادية الصعبة، حيث درس كما ذكرنا في الزوايا، ثم واصل تعليمه التقليدي بإحدى المدارس الشعبية، التي كانت منتشرة هناك، وممّولة أيضا من طرف الشعب، قصد مساعدة التلاميذ الفقراء على الدراسة والتحصيل.

بعد إتمام عبد لقدّر نور مراحل التعليم اللازم بتفوق، ثم اختياره لإرساله إلى معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1950م، نال الشهادة بالمعهد بتفوق سنة 1954م.

غادر الجزائر في 29 أكتوبر 1954، متوجهاً إلى القاهرة قصد استكمال دراسته، التحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وذلك عن طريق إجراء مسابقة، ثم تحصل على شهادة الليسانس في العلوم العربية الإسلامية.

6- المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

بدأ النضال السياسي عبد القادر نور، عندما هاجر إلى مصر عام 1954، حيث إنطلقت حينها الثورة التحريرية 1954، التحق مباشرة بجبهة التحرير الوطني، وذلك على يد أحمد بن بلة ومحمد خيضر، والليسانس كلفاه بإلحاق الطلبة بالجبهة.

7- المسار الثوري (النضال في الجبهة):

أسس عبد القادر نور رفقة زميله في النضال بوزيان التلمساني، أول رابطة للطلاب الجزائريين بالقاهرة سنة 1956.

ثم تولى منصب الأمين العام للرابطة، وشارك في العديد من المؤتمرات الطلابية الدولية باسم جبهة التحرير الوطني.

شارك في الإعلام المسموع أثناء ثورة التحرير، بداية من ركن المغرب العربي عام 1956م، وانتهاء بصوت الجمهورية الجزائرية بإذاعة صوت العرب بالقاهرة، مع مجموعة من الطلبة من أبرزهم عيسى مسعودي، بعد توقف "صوت العرب" بالقاهرة، عاد إلى الجزائر ليلتحق بالإذاعة الوطنية، بدعوة من الجبهة بوزارة الخارجية في 15 ماي 1962م.

8- التدرج الوظيفي بعد الإستقلال:

- عيّن أول رئيس تحرير للإذاعة والتلفزة الجزائرية «R.T.A» ، مكلفًا بالإذاعة وترأس أول لجنة لتقييم برامج الإذاعة القديمة.

-ترأس لجنة البرامج لإتحاد إذاعات الدول العربية.

- عضو مؤسس لإذاعة الدول الإسلامية وعضو مجلس إدارتها، بجدة بالمملكة العربية السعودية.

- أنهى مسيرته الإذاعية كمدير للقناتين الأولى والثانية.

عرض المقابلة :

بعد اندلاع الثورة التحريرية، سافرت إلى القاهرة في 1 نوفمبر 1954، مشيا على الأقدام قصد إكمال دراستي، لكن الفعل الثوري وضعني أمام أمر واقع، حيث التقيت بالرئيس الراحل هواري بومدين، الذي فتح لي الطريق، للاتصال ببعض أعضاء المجموعة، التي حررت بيان جبهة التحرير الوطني في نوفمبر 1954، وكان يجب علي الإلتحاق بالكفاح السياسي وترك الدراسة، لكن كان يجب علي تسوية وضعيتي القانونية بالتسجيل في الجامعة، فاجتزت مسابقة في كلية العلوم فأصبحت إقامتي شرعية ، اتصلت مباشرة بوفد جبهة التحرير والتقيت بالمجاهد بن بلة، الذي رتب لي موعدا بمكتب المغرب العربي، قصد السعي للمساهمة في الثورة مهما كان الثمن.

بدأت حينها بتجنيد الطلبة بجبهة التحرير، إلى أن كونت برفقة مجاهد آخر يدعى بوزيد تلمساني، رابطة الطلاب الجزائريين بالقاهرة، تكفلنا بتكوين الطلبة سياسيا ، قبل الإلتحاق بالإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

في ذلك الوقت قمنا نحن طلبة الرابطة، بتحضير كلمة ألقيناها في إذاعة صوت العرب قبل تأسيس صوت الجزائر.

بالنسبة لنا التحاق طلبة الجامعات الفرنسية في الجزائر وفرنسا، كان تحديا للقهر الإستعماري، حيث كان هؤلاء الطلبة في وسط كماشة العدو أي بفرنسا، ومع ذلك يؤسس الإتحاد، واعتبرنا نحن طلبة المشرق ضربة قاصمة لفرنسا الإستعمارية.

فنحن الطلبة الذين درسنا في المعاهد المشرقية، تشبّعنا بقيم الشخصية الوطنية، التي هي اللغة العربية والدين الإسلامي، والتراث التاريخي المشترك، كنا نعتبر أنفسنا جزءا من الشعب الجزائري، لكن الطلبة الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، ظنت فرنسا أنهم دعاة لها، حين حاولت ترويض شرائح عديدة منهم ، لكنها لم تفلح، اللهم إلا شردمة قليلة.

فعندما التحق الطلبة بالركب، الذي كانوا يدرسون في المدارس والجامعات الفرنسية، و إعلان الطلاب يوم 19 مي 1956، شكّل بالنسبة لنا دعما جديدا للحركة الطلابية أثناء الثورة، فعبرت حينه عبر أمواج صوت العرب بركن المغرب العربي، قبل إنشاء صوت الجمهورية الجزائرية بصوت العرب"، بأنه اكتمال لكفاح الشعب الجزائري، وهذا آخر مسمار يدق في نعش الاستعمار.

كنا نرى أن القافلة ستسير في نفس الإتجاه، معززة بالحشد الكبير من الطلبة في صفوف الثورة.

إنه لا بد من وضع سياسة تكامل بين جميع الفئات الطلابية، لأن منهم من كان يدرس في فرنسا أو في المعاهد والجامعة الجزائرية، التي كانت تحت الإحتلال، وقبل الإجتماع الذي وقع في القاهرة لاختيار أعضاء الوفد، الذي سيمثل طلاب المشرف العربي، في مؤتمر الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الذي عقد في باريس إقترحنا كتوصية للوفد هو: عدم تهميش الطلبة المعربين، وإعطائهم نفس الحظوظ التي تعطى للطلبة الوافدين من فرنسا، وعدم الإقصاء لأية فئة من الفئات الطلابية، هذا وقد وقع ما تخوفت منه بالفعل، في اختيار الوفد الذي يمثل الطلبة في المهرجان العالمي للشباب، والطلبة الذي عقد في بغداد سنة 1959، باستدعاء السيد علي عبد اللاوي (من لوازن بفرنسا)، لتمثيل الطلبة الجزائريين في المهرجان، وإقصاء الطلبة الموجودين في المنطقة، من طرف السيد بلعيد عبد

السلام ، الذي حاول منعي من المشاركة، بعد أن وقع انتخاب من طرف طلاب القاهرة، ورغم المنع فقد سافرت وشاركت في المؤتمر.

فالطلاب في المشرق العربي، لم يتركوا مناسبة من المناسبات الطلابية، إلا ويستغلونه للحديث عن الجزائر وثورتها العظيمة، فهذا الطالب أبو القاسم سعد الله، يسجل حضورا قويا في أسبوع الجامعات المنعقد بالإسكندرية، وقد كان برفقته رئيس الرابطة السيد منور مروش.

فالطلبة احتضنوا الثورة ودعموها حتى قبل، ميلاد التنظيم الطلابي في شهر أوت 1956م، فقبل الإعلان الرسمي عن تكوين الرابطة، كان الطلاب يتطوعون للعمل في صفوف جيش وجبهة التحرير بصورة فردية، فكان الطالب زدور أول الداخلين إلى الجزائر وأول الشهداء من طلبة المشرق العربي، ألقى عليه القبض وعذب حتى مات شهيدا.

وبرغم تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955، فإن طلبة المشرق لعربي ظلوا منضوين تحت رابطة الطلبة، وأظن أنهم لم يباركوا الإتحاد لا لكونه منطوي تحت جبهة التحرير، بل لكون معظم الطلبة الذين أسسوه ينتمون للجامعة الفرنسية، ووجود حساسيات بين الكتلتين الطلابيتين، مع الشعور بفكرة التفوق لدى طلبة الجامعة الفرنسية، تجاه زملائهم في الجامعات العربية.

في إطار برنامج الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والتي من مهامه التنسيق مع كل المكاتب الفرعية للطلبة الموجودين في أوروبا، وبلدان المشرق، حضر إلى مصر السيد علي عبد اللاوي مبعوثا خاصا، من طرف قيادة جبهة التحرير، لضم فرع الطلبة في مصر تحت لواء " لوجيما"، وحينها غيرنا تسمية اتحادنا من الرابطة، إلى الإتحاد بدون إبداء أي معارضة من الطلبة.

بخصوص استعمال اللغة العربية وتجسيدها ميدانيا، أسس بعض رفقاء الكفاح السياسي ومنهم صالحى أرزقي بعد الإستقلال، فرعا معربا بكلية الحقوق والعلوم السياسية، واستطاع سي صالحى الدراسة والحصول على ليسانس في الحقوق وذلك سنة 1972.

المقابلة رقم (6)

تاريخ المقابلة: 2011/03/14

2011/03/16

2011/03/18

التعريف بالمبحوث

1-إسم المبحوث:

زهير إحدادن

2-تاريخ ومكان الميلاد

ولد في 17 جويلية 1929 بسيدي عيش

بمدينة بجاية " القبائل الصغرى "

مكان المقابلة: المكتبة الوطنية الحامة

بالجزائر العاصمة .

مدة المقابلة: الحصة (1) : 4 ساعات

الحصة (2) : 3 ساعات

الحصة (3): ساعتان (2)

3-الأصول العائلية للمبحوث:

ينحدر زهير إحدادن من عائلة ميسورة ماديا إلى حد ما، فوالده كان قاضيا - موثقا، مزدوج اللغة، درس بالمدارس الفرنسية، طبيعة عمله أنه كان ينتقل بين عدة مناطق، حسب احتياجات الإقليم، فيما يخص القضاء الإسلامي.

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

زاول التلميذ زهير مرحلته الابتدائية بالمدرسة الفرنسية الكولونيلية، تحصل سنة 1946م على الشهادة التعليم المتوسط، وتزامن هذا مع إغلاق الثانويات، بعد قدوم القوات العسكرية للحلفاء بمنطقة شمال أفريقيا، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1945، وانهزام فرنسا أثناءها.

5-المسار الدراسي:

إنتهز زهير إحدادن فرصته توقفه عن الدراسة، ليحفظ القرآن الكريم بمدرسة دينية « La Medersa » ، والذي سجله فيها والده عام 1946م، بعدما توفرت فيه بعض الشروط لأن مستوى هذه المدرسة، كان جد متقدما على المدارس الأخرى، حيث درس إحدادن قبل التحاقه بها، ثلاث سنوات إضافية أخرى، وأجرى مسابقة للدخول بمعهد الدراسات الإسلامية بالجزائر، درس عند أساتذة فرنسيين مختصين في التاريخ الإستعماري، تحصل على دبلوم

نهاية الدراسة من هذا المعهد والذي يعادل البكالوريا، وهذا ما ساعده على الالتحاق بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وتحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي.

6-المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي)

للإشارة فوالد وجدّ زهير إحدان مارسا السياسة، مع الأمير خالد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر، في بداية القرن العشرين، أيضا للمبجوث علاقة بالمناضل فرحات عباس، حيث كان يزورهم في البيت للحديث والنقاش، عن الوضع الجزائري الكولونيالي مع والد زهير، الذي نشأ على هذا الجو المفعم بالحراك السياسي، كانت وقتها حركة حزب « L'AML » (*) في بداية الأربعينيات، عندما تم اكتشاف الخلية السرية لحزب الشعب الجزائري التي كانت تتشط في محيط المعهد الذي كان يدرس فيه الطالب إحدان، فانخرط في هذه الخلية عام 1945م، بعد تشتت المناضلين، عندما حدث انشقاق في حزب الشعب الجزائري- حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، انقسم المناضلون إلى مصاليين ومركزيين، أي اكتشفت المنظمة الخاصة « L'OS » من طرف السلطات الإستعمارية، وألقي القبض عليهم، حينها أفلت إحدان من قبضة الشرطة الإستعمارية والسجن، لأنه كان داخل حرم كلية الآداب، فتقلص النشاط السياسي لإحدان بسبب حل المنظمة السرية لحزب الشعب. واصل نضاله فيما بعد، عندما انتقل إلى الجزائر العاصمة، أين وجد نفسه الوحيد الذي واصل نضاله في حزب الشعب، والتقى حينها ببلعيد عبد السلام ولمين خان، وبعض الطلبة المناضلين، لكن الأمور اختلفت في الجزائر العاصمة، فعندما كان في قسنطينة، كان مناضلا في حزب الشعب أكثر منه في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، لكن نتيجة ما حدث في قسنطينة، حاول إحدان رفقة مناضلين آخرين، تغيير آلية النضال، في التنظيم الطلابي، الذي هو جمعية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية، حيث ساهم زهير إحدان في استمالة أكبر عدد من الطلبة الأعضاء في الجمعية، وتجنيدهم سرا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، واسترجع من جديد رئاسة الجمعية، أو بالأحرى إفتكاكها من طلبة مناضلين في أحزاب أخرى.

* - A.M.L : Amical du Manifeste et de la Liberté وبالعربية : حزب البيان والحريية

7-المسار الثوري (النضال في الجبهة):

تميز كفاح إحدان السياسي، في المساهمة في تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بعد انضمامه لجبهة التحرير الوطني ، بفضل الطالب الشهيد عمارة رشيد، حيث كلفه بإعادة تجنيد الطلبة، الذين كانوا يناضلون في حزب الشعب الجزائري، أي بإعادتهم وتجنيدهم في جبهة التحرير الوطني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى شكّل رفقة لمين خان، أول خلية اتصال في شهر أبريل 1955 مع المناضل عبان رمضان، والذي شجّعهم على المضي قدما في الكفاح، فالثورة مفتوحة للجميع، ساهم أيضا في تنظيم وتجنيد تلاميذ الثانويات سياسيا، قبل أن يلتحقوا بالجامعة.

عمل زهير إحدان كمحرر داخل فرق، تحرير جريدة جبهة التحرير " المجاهد" بالرباط بالمغرب .

8-التدرج الوظيفي بعد الإستقلال:

عضو مؤسس لجمعية " القيام " ما بين 1963 و 1965 ، والذي غادرها بعدما أصبحت جمعية سياسية.

- عيّن مديرا للمدرسة العليا للصحافة في سنوات السبعينات.
- عضو مؤسس برفقة بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة 1958، وعبد الرحمان كيوان- لحركة سياسية تدعى " الأمة " عام 1990، بعدما تم حلها من طرف الأعضاء المؤسسين سنة 1997م.
- عيّن عضوا في المجلس الأعلى للغة العربية في 26 سبتمبر 1988م.

9-مؤلفات المبحوث:

- *L'histoire de la presse indigène en Algérie, des origines jusqu'à 1930, Ed ENAL. Alger 1983.*
- *La presse musulmane algérienne de 1830 à 1930, éd. ENAL, Alger, 1986.*
- *Causeries sur l'Islam et les musulmans, Ed. Dahlab, Alger, 1996.*
- *Réflexions sur l'islam et les musulmans, Ed. Dahlab. Alger, 1997.*
- *Regard sur l'histoire de l'Algérie, éd. At Turath. Alger 2002.*
- *La presse écrite en Algérie du 1965 à 1982, Ed.Ihaddaden. Alger . 2002.*

عرض المقابلة:

الحركة الطلابية سايرت دائما الحركة الوطنية، في كل مراحلها وصولا إلى الحركة المسلحة، وفكرة تأسيس جمعية طلابية يعود قبل انفجار ثورة التحرير، فبعد أن أسس الطلبة التونسيون جمعيتهم الطلابية « L'UGET »، وبالمثل فعل الطلبة المغاربة ، حيث انضوا في اتحادهم الطلابي المغربي « L'UNEM »، كان لزاما علينا إنشاء تنظيم خاص بنا، فيما يخصني أنا، وعندما تحصلت على شهادة الليسانس في عام 1956، عينت أستاذا في مدينة مليانة، أين مارست التدريس، وفي نفس الوقت كانت لدينا اتصالات مع الإخوة المناضلين في الجبهة، قصد إعادة لم شمل كل الطلبة الموجودين في الجامعات الفرنسية، مثل جامعة مونبولي وبوردو وبواتي، وأيضا طلبة المشرق العربي، قصد إعداد الطلبة للنضال المسلح ، ودخول مرحلة جديدة من النضال الجزائري ضد فرنسا.

أثناء مؤتمرها التأسيسي في جويلية 1955، كانت أهم مطالبنا تحقيق الاستقلال الوطني، والحصول على السيادة الوطنية الكاملة، التي تسمح لنا باسترجاع شخصيتنا الوطنية وهويتنا الإسلامية.

فمؤسسي الإتحاد هم مناضلين أيضا سابقا، في حرب الشعب الجزائري- وحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، فهذه الشريحة لم تكن بعيدة عن إرهابات الثورة، خلال شهورها الأولى، وهناك أسماء العديد من الطلبة الذين خدموا الثورة من الوهلة الأولى، بل إستشهدوا في الميدان قبل حتى تأسيس الإتحاد، ومنهم عمارة رشيد الذي لم يكن بعد طالبا في الجامعة، بل تلميذا في الثانوي ، لكنه كان عنصرا هاما جدا في جبهة التحرير، وكان مكلفا بالإعلام والدعاية من طرف الشهيد عبان رمضان، كذلك الطالب طالب عبد الرحمن الذي تشبع بمبادئ الثورة قبل ميلادها، ووظف عبقريته العلمية في صنع المتفجرات، بعد أن اتصل بقيادة الولاية الثالثة.

فخيار التحاقنا بالثورة كان مفصولا فيه، باعتبار أن الذين فجروا الثورة، كانوا ينتسبون إلى خريجي مدرسة الحركة الوطنية، وبالضبط إلى تيار الإنتصاريين، ففكرة القطيعة ومحاربة الإستعمار، باعتباره دخيلا عن الجزائر وجدت لدينا، ونحن نتعلم في مدرسة حزب الشعب، لذلك فالذين فجروها كانوا مناضلين في أحزاب، أو مهيكلين في الحركات الجماهيرية كما نسميها اليوم، مثل الكشافة الإسلامية و اتحاد العمال وتنظيمات أخرى... .

وعندما تعرض بعض الطلبة المناضلين في جبهة التحرير لقمع القوات الفرنسية، حيث تمّ اختطاف أحد الطلبة وقتله ورميه، كان قرارنا حاسما بالقيام بالإضراب، وكان صاحب فكرة الإضراب، المناضل الأمين خان الذي كان يشرف على تجنيد الطلبة، والتنسيق مع قيادات الجبهة، حيث كان على اتصال دائم بعبان رمضان. فقيام الطلبة بالإضراب عن الدروس آنذاك، كان حدثا مميزا وخاصة أنهم كانوا في فترة الإمتحانات.

فصدى الإضراب كان صدمة بالنسبة للإدارة الفرنسية، التي كانت تعتقد أن هؤلاء الطلبة الذين يدرسون في جامعاتها وكلياتها، قد كسبتهم إلى صفها، بحكم أنها هي التي كوّنتهم في مدارسها وأنشأتهم على صورة فرنسا الحضارية، في برامجها والدروس في التاريخ الممجدة لفرنسا... .

.....sur les 500 étudiants d'Alger, 80 % étaient des fils de notables travaillant avec l'administration coloniale, la classe pauvre n'accédait pas à l'éducation supérieure.

J'ai par la suite été arrêté à Miliana, la gendarmerie, qui me recherchait, avait attendu mon retour d'Alger pour m'arrêter.

Et m'ont expulsé à Oran où j'étais aussi de nouveau arrêté puis retenu au commissariat, mon collègue aussi Belkobby à été arrêté par la police coloniale, emprisonné pendant quatre ans, est sorti en 1961, dans un état de santé lamentable, il était presque amnésique et muet, suite aussi tortures effectuées par les bourreaux français.

لم تكتف فرنسا بالإعتقال والسجن، بل حلت الإتحاد العام للطلبة المسلمين في فرنسا، وأغلقت المقر، وشنت حربا ضروسا على الطلبة، بأن ضيّقت الخناق عليهم في كل مكان، في الجامعة والمعاهد والكليات والأحياء الجامعية، والإدارة، حيث منعتهم من العمل في بعض الوظائف الإدارية.

اللغة العربية هو مقوم أساسي، من مقومات الشخصية الجزائرية هذا لا شك فيه، فخلف اللغة العربية هناك الحضارة العربية، والفيزياء، وعلم الفلك.

C'est une richesse extraordinaire.

لا يمكن فصل اللغة العربية عن الدين الإسلامي، والدين هو معتقد كل الطلبة في أغلبيتهم الساحقة، فالذين درسوا في المدارس العربية التقليدية، والكتاتيب والزوايا أو الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، كانوا كلهم متمسكين بعروبتهم.

لا ننسى أن اللغة العربية قد تعرضت لعملية طمس ممنهجة، منذ دخول الغزاة الفرنسيين الجزائر في 1830، فقد هدمت كل البنى الاجتماعية والتعليمية، التي كانت موجودة آنذاك، فالجزائريين كانوا متعلمين في أغليبيتهم، وكانت موجودة آلاف المدارس منتشرة في المدن والأرياف، فالأمية كانت قليلة جدا، لكن بعد الغزو والهيمنة فرضت فرنسا لغتها وأحلتها محل العربية، مدة قرن ونيف وعلى مستوى واسع جدا، فالتجهيل موريس بطريقة شاملة وعلى كل فئات المجتمع الجزائري.

الإتحاد العام للطلبة اهتم بهذه القضية أي اللغة العربية، وكانت مدرجة في حدود عمل كل مؤتمرات الإتحاد، لكن لم تجسد تلك القرارات والمقترحات، على أرض الواقع بسبب هيمنة ووجود الإستعمار، الذي لم يخرج بعد من الجزائر.

هذا قبل الإستقلال أما بعد الإستقلال ؛

Et en 1972, j'étais chargé au Ministère de l'enseignement supérieur de du dossier de l'arabisation, un problème très difficile.

Benyahia savait que j'étais partisan d'une arabisation organisée, Ahmed Taleb était Ministre de l'éducation nationale. L'université d'Alger, notamment son ministre était étai contre l'arabisation.

J'ai dû faire face à ce problème d'arabisation. Certains étaient contre cela au niveau de l'enseignement supérieur.

Quand je suis arrivé à la tête de l'école de journalisme, qui était une nouvelle école, créée après l'époque coloniale.

Il y'avait deux sections, une en français et l'autre en Arabe pour la section française, il y'avait des professeurs de France. Et pour la section arabe, il y'avait des professeurs d'orient, particulièrement l'Egypte et le Liban, je ne comprenais pas pourquoi nous étions arrivés à cette situation. J'ai d'bord essayer d'algerianiser les programmes, en fusionnant certains programmes, en organisant des séminaires, des voyages communs, des rapprochements entre étudiants, et un journal de l'école auquel participaient les étudiants. Il me semble avoir réussi on pouvait arabiser certains domaines mais la volonté politique n'y était pas, par exemple les Français en Arabie saoudite et en Egypte sont gérés par les saoudiens et les égyptiens on pouvait faire ça mais en vain.....

التعريب في الجزائر كان سينجح إلى حد ما، فسياسة الرئيس الراحل بومدين فيما يخص التعريب بطيئة جدا، ولم تظهر ثمارها، كنا في الإتحاد، وابتداء من المؤتمر التأسيسي الأول، أولينا اهتماما بالغا لعنصر اللغة العربية، الذي نجح المستعمر في طمسه مدة زمنية

طويلة جدا، وأوضح ذلك زميلي أحمد طالب الإبراهيمي عندما كان رئيسا للإتحاد، وألقى كلمته في المؤتمر التأسيسي، حيث أشار إلى أن اللغة العربية أصبحت غريبة في وطنها، ويجب إعادة الاعتبار لها بجعلها اللغة الوطنية للأمة الجزائرية..... .

ولا أتذكر أنه لقيت معارضة من أي طرف كان، فالإتحاد كان متلاحما جدا، وأسس على مبادئ وقيم مستوحاة، من مبادئ الحركة الوطنية وأيضا ينص بيان أول نوفمبر، على انتماء الجزائر إلى الحضارة العربية الإسلامية.

وأیضا ظروف الإحتلال جعلتنا نتعالى ونرکز أكثر، على مطلب الإستقلال والكفاح السياسي آنذاك، أجل الاختلافات الفكرية والأيدولوجية لبعض الطلبة..... .

أظن أن المؤتمر الرابع للإتحاد كان الأهم، الذي عقد بتونس تحت رعاية الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، والذي كان مقرها بتونس ابتداء من سنة 1958، والمؤتمر عقد سنة 1960م، كان له صدى عالميا، حيث خرجنا بقرارات ومقترحات وبيانات عديدة، وأدرجت اللغة العربية في القرارات الثقافية، فأثناء كلمة زميلي وصديقي مسعود آيت شعلال، عند افتتاح هذا المؤتمر، أشار إلى هذا الموضوع وأنه بحكم انتمائنا إلى الحضارة العربية الإسلامية، وامتدادنا الجيو استراتيجي، بمجاورتنا لشعوب عربية إسلامية ، يتحتم علينا التمسك بهذا التميز.

ويجب استعمال اللغة العربية، بإدراجها في البرامج التعليمية، في المدارس الفرنسية مزدوجة اللغة والجامعات..... .

لكن مطلب تحقيق الإستقلال، وتحضير إطارات لبناء الدولة الجزائرية بعدها، جعلنا نعمل برنامجا يقضي بإرسال بعثات من الطلبة إلى دول لعالم، قصد الدراسة والتكوين، في المشرق العربي وأوروبا والولايات المتحدة، بغض النظر عن اللغة التي كان سيتكوّن بها... . صيغ مقوم الدين الإسلامي في مشروع الإتحاد، على أنه مفهوما جوهريا في تكوين الشخصية الجزائرية.

لم يحتفظ بكلمة " مسلم " في تسمية الإتحاد، لأسباب عديدة منها أنه بعد استقلال الجزائر مباشرة في 1962، كان هناك مشكلا سياسيا كبيرا، وكان هناك صراع على السلطة بين جيش الحدود بقيادة بومدين الأزهري"، والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية « G.P.R.A » ، فالأمور لم تكن مستقرة، وكانت جبهة التحرير الوطني أيضا في صراع، بين

كل التيارات والأيديولوجيات المختلفة، والتي انضوت تحت إمرتها من أجل تحقيق هدف الاستقلال فقط، فالتقارب والتفاعل والعمل المشترك، الذي كان بين كل الأطياف السياسية أثناء الكفاح المسلح، كان من أجل مشروع واحد أريد تحقيقه وتحقق فعلا وهو الاستقلال. بعد الاستقلال أمر آخر، شيء يختلف تماما عن الثورة، بناء الدولة الجزائرية والخروج من دائرة التخلف والجهل والفقر، كان يتطلب وضع وصنع أفكار، تتماشى مع متطلبات و معطيات المرحلة، وهنا وقع صراع بين الأفكار والتوجهات ، والأيديولوجيات المختلفة من ليبراليين، واشتراكيين، شيوعيين، وفرنكو - لائكو - شيوعيين وفرنكوفيليين، التباين اللغوي (مغرب ومفرنس)، كان له الأثر الكبير في صنع التحالفات في كل كتل هرم السلطة.... . أغلبية مؤسسي الإتحاد انفقوا أثناء التأسيس، أنه بعد تحقيق الاستقلال سيتم حذف كلمة " مسلم " ، فمسلم بالنسبة لي أثناء الثورة كانت تعني لي أيضا جنسية، يجب أن نتميز بانتمائنا الذي يختلف عن الآخر الكولونيالي أو السكان الكولون، وما دام قد أخرجنا هذا الغازي من أرضنا، فلا داعي لإبقائه فالجزائر مسلمة ذات سيادة ، مستقلة في قراراتها.

المقابلة رقم (7)	تاريخ المقابلة: 2011/08/15
التعريف بالمبحوث	2011/08/28
1-إسم المبحوث:	2011/11/18
صالح بن القبلي	مكان المقابلة: مقر سكن المبحوث بحيدرة
2-تاريخ ومكان الميلاد:	بالجزائر العاصمة
ولد في 10 أبريل 1933 بقسنطينة	مدة المقابلة:الحصّة (1) : 4 ساعات
	الحصّة (2) : 5 ساعات
	الحصّة (3): 3 ساعات

3-الأصول العائلية للمبحوث:

ينحدر من عائلة حضرية، والد المبحوث إشتغل موظفا بشركة الحافلات بقسنطينة، براتب شهري لا يكفي (أسرة كثيرة العدد، حيث يأتي الطفل صالح، الأخ الخامس من أربع أخوات).

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

نشأ صالح بن القبلي في جو من التضامن الإجتماعي، الذي كان مفعوله مساعدا على تحدي صعوبات الحياة اليومية الضنكة في ذلك الوقت، فالإعانة التي كانت العائلة تتلقاها من العائلات المجاورة، أثناء التعرض للمرض كانت تهوّن كثيرا على الطفل سنوات التعليم الأولى.

5- المسار الدراسي:

تردّد الطفل صالح على الكتاتيب القرآنية حيث حفظ القرآن الكريم ، عند وصوله إلى سن التمدرس سجل بمدرسة السلام، وابتدائية أراغون عام 1941، ثم عندما نجح وتحصل على الشهادة الإبتدائية، انتقل إلى إكمالية "جول فيري" بسيدي الجليس، وبعدها التحق بالثانوية الفرنكو - إسلامية أين تحصل على شهادة البكالوريا عام 1949م، تابع دراسته بجامعة الجزائر العاصمة، في المعهد العالي للعلوم الإسلامية، حيث درس مدة سنتين

تحصل خلالها على شهادة في البيداغوجيا، سمحت له بالتدريس في الثانوي والمتوسط وكان هذا في عام 1951م.

6- المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

أثناء دراسته الجامعية، الطالب صالح بن القبي إنخرط في العمل السياسي، وكعضو فاعل في جمعية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية، يناضل في نفس الوقت في حزب الشعب الجزائري، تسارعت الأحداث بعدها ، حيث انفجرت ثورة التحرير، وفرض على الطبقة واقعا آخر يجب التكيف معه، ومسايرته بوتيرة وديناميكية عملياتية ميدانية، أكثر منها حركية ذهنية فكرية، فمرحلة الإدراك والوعي بالذات، تمّ تجاوزها للوصول إلى الفعل الثوري، أثناءها سعى صالح بن القبي برفقة مناضلي جبهة التحرير الوطني، إلى كسب أكبر عدد ممكن من الطلبة، وتجنيدهم في الفعل الثوري، داخل هيكل طلابي جديد، حمل نفس مبادئ وقيم الحركة الثورية النوفمبرية.

ساهم في تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين صالح بن القبي، رفقة مجموعة من مناضلي جبهة التحرير الوطني، مثل الأمين خان وزهير إحدادن.

7- المسار الثوري (النضال في الجبهة)

نشط المبحوث داخل التنظيم السري لجبهة التحرير الوطني، بعدما أصبحت الجزائر العاصمة منطقة مستقلة « Zone Autonome » ، وهذا التقسيم انبثق عن وثيقة مؤتمر الصومام سنة 1956، حيث خضعت الجزائر إلى تقسيم إداري - ثوري محكم. وكلف صالح بن القبي بالمنطقة الثالثة، كنائب لرئيس المنطقة المناضل بلومي محفوظ، بقيادة رئيس منطقة الجزائر المجاهد إبراهيم شرفي، والذي ألقى عليه القبض رفقة الشهيد العربي بن مهيدي، في ما يسمى بمعركة الجزائر « La Bataille d'Alger » . أثناء نشاطه الثوري، ألفت السلطات الاستعمارية القبض عليه، لكن دون معرفتهم لطبيعة هذا النشاط، وزجّ به في السجن إلى غاية 1961م، عند خروجه السجن كان منهار جسديا، حيث فقد الذاكرة والقدرة على الكلام.

توجّه بعدها إلى سويسرا، بمساعدة بعض رفقاء بلعيد عبد السلام، وهذا بتوجيه من قيادة جبهة التحرير الوطني، حيث استقبله هناك المناضل بلعيد عبد السلام، أين أدخل مصحة للعلاج في سويسرا.

8- التدرج الوظيفي بعد الاستقلال:

- عين سفيراً بموريطانيا في سنة 1971م.
- عين مرة أخرى سفيراً بلبيبا ومالطا في نفس الوقت سنة 1979م.
- مثل الجزائر في السودان كسفير سنة 1989.
- عين سفيراً بالمملكة العربية السعودية سنة 1992م.
- أحيل على التقاعد سنة 1997.
- يتولى حالياً رئاسة المجلس العلمي لمؤسسة الأمير عبد القادر .
-

9- مؤلفات المبحوث:

1- عهد لا عهد مثله، القصة للنشر، الجزائر، 2001.

2- *L'Algérie dans tous ses états, Edition la Casbah, 2009.*

عرض المقابلة:

أرادت الصدف أن تدوي طلقات رصاص ثورة أول نوفمبر، مع افتتاح السنة الجامعية 1954-1955، وكانت الإنتخابات على أشدها في جمعية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية، ليعيش أعضاء مكتب المنظمة الطلابية، الخاصة بالجزائريين على أعصابهم، كان في الجمعية تنافس و سباق، بين طلبة ينتمون لأحزاب سياسية مثل حزب فرحات عباس، والحزب الشيوعي الجزائري للاستحواد على الأمانة العامة للتنظيم، وكان صراعا وطيسا، خضناه نحن مناضلي جبهة التحرير الوطني، وكان الفوز في الحين لقيادة التنظيم في مرحلة نهائية من الإنتخابات، بفضل الأوضاع الجديدة التي فرضتها الثورة التحريرية، كما قلت الفوز كان حليفنا، ودعمت الجمعية بعناصر وطنية مخلصا.

أما باقي الطلبة الجزائريين الموزعين على مختلف الجامعات الفرنسية، فكانوا ينتمون بجمعية طلبة المغرب العربي، إلى جمعية طلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية، وفي 27 فيفري

1955، صوت بالإجماع مكتب الجزائر لهذه المؤسسة، على لائحة وزعناها في شكل منشور، على جميع الطلبة الجزائريين داخل القطر وخارجه، ندعوهم فيها إلى إنشاء منظمة طلابية وطنية، باسم الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين «L'UGEMA»، وبهذا النداء انعقدت بباريس في الفترة ما بين 4 و 7 أبريل 1955، ندوة تحضيرية من أجل عقد مؤتمر تأسيسي لهذا الإتحاد، و بذل بلعيد عبد السلام مجهودات كبيرة للمّ شمل الطلبة الجزائريين، الذين يدرسون في الجامعات الفرنسية، و منضوون في مكاتب فرعية، لجمعية طلبة مسلمي إفريقيا الشمالية.

معركة الميم أسميها هكذا ، لأنه أثناءها ظهرت في هذه الندوة، نزعة تعارض بشدة إدماج كلمة (المسلمين) في عنوان الإتحاد، على غرار ما قام به الطلبة التونسيون، وتناست هذه المجموعة وهم من الطلبة الشيوعيين"، الحملة الشعواء التي شنتها السلطة الإستعمارية، على مقومات الشخصية الوطنية ومنها الإسلام، لا يعرف لها مثل في منطقة المغرب العربي وخارجها، ثم إن عملية الرفض هذه، كانت تخفي في طياتها بالنسبة للبعض، مؤامرة خطيرة، إذ لو تنازلنا عن انتمائنا الإسلامي في العنوان، لكنّا فتحنا الإنخراط أمام المعمرين الأوروبيين المقيمين في الجزائر، وأعطيناهم فرصة التحكم المطلق في سياسة الإتحاد الجديد ، لأنهم كانوا سيمثلون الأغلبية الساحقة، لأن عدد الطلبة الأوروبيين في الجامعات والكليات، أكثر من عددنا، فمثلا من الخمسة آلاف (5000) طالب الذين كانوا مسجلين بجامعة الجزائر، عددنا لم يكن يتجاوز الأربعمائة (400) طالب، كما قلت لك كان وراء هذه الحملة شيوعيين لائكيين، وحتى طلبة ممن يتابعون دروسهم بالكليات الأدبية، حيث أية إشارة فيها إلى الدين تؤول إلى تمييز عنصري وعدائي، وحل المشكل في النهاية، يتبين من خلال هذا المؤتمر، أن انشغالات الطالب الجزائري، لم تعد إلا تغطية تتستر وراءها أنشطة سياسية، ومطالب تعكس برامج الثورة في جميع المجالات.

إن تمادي السلطة الإستعمارية في خطف واغتيال زملائنا الطلبة، منهم أخينا الأكبر الدكتور بن زرجب، وأخونا زدّور بلقاسم، والنهاية المأساوية لأخينا الشاب ابراهيمي تلميذ ثانوية بجاية الذي أحرق حيا داخل " مشتاه"، جراء إضرار الجيش الفرنسي النيران فيها أثناء عطلة عيد الفطر، وبعد إعدام كاتبنا رضا حوحو، كان من الواضح أن الإنذار الذي تضمن إضرابنا، عن الدروس والأكل يوم 20 فيفري 1956 لم يكن له أي جدوى؟

إذن ما فائدة هذه الشهادات التي تمنح لنا باستمرار، بينما يخوض شعبنا كفاحاً بطولياً، ويعتدى على كرامة أمهاتنا وزوجاتنا، وسقوط أطفالنا وشيوخنا تحت رشاش القنابل والنابالم، ونحن "إطارات الغد"، يقترح علينا أن نؤطر ماذا؟ أو نؤطر من؟ ربما الأنقاض وتلك الأكوام من الجثث، التي خلفتها حوادث سكيكدة، وقسنطينة، وسطيف، أعني بها هجومات 20 أوت 1955.

من معركة الميم إلى معركة المؤيدين والمعارضين للإضراب، لكن في الأخير كان قرار السلطة الثورية بتأييده وتنفيذه، وليس كما يقول زميلي الأمين خان أن الفكرة جاءت من الطلبة، فآنذاك لا يمكن اتخاذ أي قرار مصيري، وعلى أي مستوى هكذا، دون الرجوع إلى القيادة الثورية وهي الجبهة، ومن بينهم عبان رمضان والعربي بن مهيدي.

يجب أن تعلمين أن لهيب نوفمبر لم يكن في حال من الأحوال، مبادرة من فئة المثقفين، وفئة من الطلبة، على غرار باقي المتعلمين ونسبة كبيرة منهم وقفوا موقفاً، فيه الحذر والتشكيك في حظوظ نجاح انفجار ثورة نوفمبر .

هذا الإرتباك كان ناجماً عن آثار 8 ماي 1945 ، وما خلفه من قتل الفرنسيين لألاف الجزائريين، فخوفاً من أن تتكرر التجربة مرة أخرى، وتزهق مرة أخرى أرواح الجزائريين، ونعود مرة أخرى إلى المربع الأول، إلى نقطة الصفر ويبدأ نضال آخر، وبمعطيات أخرى ربما لن تكون في صالحنا، ولا في صالح القضية الجزائرية .

فباستثناء أقلية استدركت أمرها والتحقت بالثورة، فإن أغلبية الطلبة استمروا لمدة يتابعون مجرى الأحداث، متستترين وراء واجب الدراسة، وغياب أي أمر صادر عن القيادة، غير أن زحف الثورة العارم والسريع، والانتصارات في المجال السياسي، وانضمام المواطنين إلى صفوفها، والسمعة الطيبة على الصعيد الدولي، كل هذا جعل عدد من الطلبة يشعرون بعدم الرضا على النفس، ويحاولون شيئاً فشيئاً التخلي عن موقف المتفرج والإرتداء في المعركة.

وكانت شدة اندفاع بعضهم، على قدر شعورهم بالذنب وتباطؤ أجهزة الثورة، في الإستجابة لرغبتهم في الإنخراط والتضحية، والجبهة أيضاً لم تهمل هذا الإستعداد، راحت تستغله في أنشطة تدخل في عملية التحضير، للتعبئة العامة الشاملة لكل فئات الشعب،

والمقرر اتخاذها في الوقت المناسب، تجسيدا لفكرة تعتمد "الانتفاضة المععمة" كحلّ أمثل للثورة .

ومن العمليات التي قام بها الطلبة في جبهة القتال:

- التردّد على مراكز الشرطة والمحاكم بالعاصمة وخارجها، للبحث عن المناضلين المفقودين، أو الإحتجاج على تعذيبهم وطول احتجازهم.

- جمع الأموال للثورة باسم المنظمة الطلابية UGEMA.

- الإتصال بالحكومة الفرنسية باسم الثورة، أثناء زيارة رئيسها في ذلك الوقت (غي مولي) للجزائر لجس النبض، وتم هذا الاتصال ولعله الأول من نوعه، بوفد ينتمي كل أعضائه من الطلبة إلى الجبهة، بأمر من بعض قادته وقد ترأسه المرحوم محمد الصديق بن يحي، وعن الجانب الفرنسي السيد " كومين " .

- توفير الملاجئ لبعض المسؤولين المبجوث عنهم، بإيجاد بيوت آمنة باسم بعض الطلبة أو بأسماء مستعارة.

- التغلغل في الأوساط الأوروبية المتعاطفة مع القضية الوطنية، وتعبئة عناصرها المتعاطفة قصد الإستفادة من خبراتهم.

بعدها كلفت قيادة الجبهة الطلبة بأعمال أكثر صعوبة، وهو التحاقهم بالجال لقيام بمهام التطبيب والتمريض والتوعية، فكان منهم المحافظون السياسيون، لأن هذه المهمة تتطلب مستوى تعليمي معين.

كان هناك أطباء أيضا قدموا من فرنسا، كانوا يدرسون هناك، ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الثورة، مثل البروفسور تومي، والدكتور نقاش، وكان أيضا في الولاية الثانية التاريخية صديقي لمين خان.

فيما يخص حذف كلمة " مسلمين" من عنوان الإتحاد بعد الاستقلال، كان لا يبدو لازما الإحتفاظ بالكلمة، بما أننا حقّقنا الإستقلال وحصلنا على سيادتنا الكاملة، والميثاق الجزائري نصّ على انتمائنا العربي الإسلامي، وأن ديانة الدولة الجزائرية هي الإسلام، كذلك أثناء الثورة وعند تأسيسنا للإتحاد، اتفقنا مسبقا على أن إضافة كلمة " مسلم " للتمييز، لأن فرنسا الكولونيالية كانت تتعتنا ب « Les Indigènes » و « Des sous-hommes » ، وأنه ليس لنا هوية محددة -، فأردنا إثبات انتماءنا العقائدي الروحي الديني الذي هو الإسلام.

2012/04/06

2012/07/20

التعريف بالمبجوث

1-إسم المبجوث:

مسعود آيت شعلال

2-تاريخ ومكان الميلاد

ولد في 08 أوت 1929 بشلغوم العيد

بقسنطينة .

مكان المقابلة: مقر سكن المبجوث بالجزائر

العاصمة.

مدة المقابلة:الحصة (1) : 3 ساعات

الحصة (2) : 3 ساعات

الحصة (3): 3 ساعات

3-الأصول العائلية للمبجوث:

مسعود آيت شعلال من أصول قبائلية، عاش مدة زمنية غير معروفة في قرية صغيرة بجبل جرجرة، تدعى آيت علي أوحرزون ن دوار ايبودران، الأراضي الزراعية نادرة وقليلة جدا، ولا تجد إلا بعض أشجار الزيتون والتين، سكان قبائل هذه المنطقة يتقاسمون الفقر، بعدما انتزعت منهم الأراضي الفلاحية، من طرف الإستعمار الفرنسي، تحديدا بعد ثورة المقراني سنة 1871م.

هذا ما دفع بوالد مسعود إلى هجرة أرضه ومسقط رأسه، والتنقل إلى منطقة تدعى « Chateau du Rhumel » ، برفقة شقيقه الأكبر مع نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م.

مارس والده تجارة النسيج بمعية أخيه، توفي هذا الأخير، وواصل أب مسعود العمل في هذا القطاع، برغم الصعوبات والعراقيل داخل وسط كولونيالي مهيمن، حتى أصبح متعاملا اقتصاديا ممثلا منطقة قسنطينة، ثم أصبح مالكا للأراضي، ومارس نشاطا كبيرا في تربية المواشي وتصديرها إلى فرنسا.

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبجوث:

في ظل وضع مادي ميسور لأسرة مسعود، نشأ الطفل أيضا في وسط عائلة محافظة على العادات والتقاليد الإسلامية، حيث يتميز الوالد بالحزم والصرامة، وتقديس العمل والإعتزاز بالنفس، والمحافظة على العادات الأمازيغية والعربية، فالوالد دخل المدرسة القرآنية

سنة 1880، وحفظ القرآن الكريم أين تعلم أصول اللغة العربية، والذي حرص على تعليمها لأولاده.

5-المسار الدراسي:

درس مسعود الطفل في المدرسة الإبتدائية الخاصة بالأهالي، هي مدرسة كولونياوية، يتم التعلم فيها إلا باللغة الفرنسية، في نفس الوقت وأثناء العطلة الصيفية كان يذهب إلى الزاوية لحفظ القرآن، معتمدا فقط على الحفظ وليس على التدوين، واصل تعليمه الإكمالي والثانوي، في ثانويات قسنطينة، الجزائر العاصمة وسطيف.

تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1948م، أين التحق بجامعة فرنسا بباريس عام 1950م، وأكمل دراسته في الطب.

6-المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

عضو مؤسس للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

7-المسار الثوري (النضال في الجبهة):

بدأ الكفاح السياسي الطالب مسعود آيت شعلال في شهر أفريل 1955، عند تأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين « L'U.G.E.M.A » ، ومشاركته في تثبيت حرف الميم " مسلم " في تسمية الإتحاد، والمعركة الأيديولوجية الكبيرة، التي خاضها رفقة زملائه الطلبة المناضلين في جبهة التحرير الوطني، من بينهم بلعيد عبد السلام، ورضا مالك، وأحمد طالب الابراهيمى.

عين رئيسا للإتحاد ابتداء من المؤتمر الثاني سنة 1957 م إلى غاية 1961م. واصل كفاحه السياسي عندما عين، رئيسا للبعثة الدبلوماسية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ببلبنان.

8-التدرج الوظيفي بعد الإستقلال:

- عيّن سفيراً للجزائر بإيطاليا من سنة 1967م إلى غاية 1970م.
- عيّن سفيراً ببلجيكا، بهولندا، لوكسمبورج، من سنة 1971م إلى غاية 1979م.
- شغل منصب أمين عام لمؤتمر قمة رؤساء دول، وحكومات عدم الإنحياز بالجزائر سنة 1973.
- عيّن نائب رئيس مجلس الشؤون الاجتماعية للجنة المركزية، لحزب جبهة التحرير الوطني من سنة 1979 إلى غاية 1980.
- عيّن سفيراً مرة أخرى بالإتحاد السوفييتي سابقاً، من سنة 1982 إلى غاية 1984م، ثم بتونس من سنة 1984م إلى غاية 1988م، ومرة أخرى كسفير بفرنسا ابتداءً، من ماي 1988م إلى غاية ديسمبر 1990.
- عيّن مستشاراً للرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، بتاريخ 26 ماي 1990م ، مكلفاً بالشؤون السياسية لدى رئيس الدولة.
- ثم عيّن مرة أخرى بتاريخ 19 جويلية 1992 وزيراً مستشاراً، لدى رئيس الحكومة السيد بلعيد عبد السلام.

عرض المقابلة /

Au début des années 1950, une grave crise a secoué le mouvement nationaliste (PPA-MTLD), et à divisé ses militants ce qui n'a pas manqué d'affecter la communauté étudiante algérienne, jusqu'à très largement acquise au courant nationaliste.

C'est à ce moment propice pour eux, que les étudiants communistes de Paris prirent l'initiative de créer en 1953 « l'Union des Etudiants Algériens de Paris (U.E.A.P), où ils étaient majoritaires.

Les principales orientations politiques de cette organisation étaient celles du parti communiste, notamment en ce qui concerne les adhésions largement ouvertes à tout étudiant algérien quelque soit son origine, ce qui créait sur le plan théorique le risque de voir les étudiants algériens , devenir minoritaire dans cette association.

C'est dans ce contexte, à la rentrée universitaire 1954-1955, que Belaid Abdesselam lança l'idée de créer L'UGEMA, de Paris il demande aux frères dirigeants de L'A.E.M.A.N. à Alger d'initier une campagne en faveur de la création de L'UGEMA et de lancer à cette fin un appel pour la convocation d'une conférence préparatoire qui s'est tenue à Paris le 04 Avril 1985.

La création de L'UGEMA à rejeté le concept de L'UGEA minoritaire.

Le congrès constitutif, à réalisé l'union de tous les étudiants indéfectiblement attachés aux valeurs de leur peuple , et regroupés tous les courants de pensées , se réclament d'une vision historique et nationaliste de l'Algérie.

Ses grandes pensées idéologiques se présentent dans les revendications suivantes :

- *La lutte contre le domination coloniale.*
- *La sauvegarde de la défense de la personnalité historique algérienne.*
- *La restauration et l'épanouissement du patrimoine arabo-musulman du peuple algérien.*

Au 2^{ème} congrès à Paris du 24 au 30 Mars 1956.

L'UGEMA à réclamé :

1- la proclamation de l'indépendance.

2- La libération de tous les détenus.

3- Les négociation sauf avec le F.L.N.

pour nous le 4^{ème} congrès de (l'U.G.E.M.A) à Tunis du 26/07 au 1^{er}/08/1960) était le sommet de notre union, la première fois que l'ensemble de nos étudiants à travers le monde étaient représentés par un congrès ou plus de 150 délégués, venus de toutes nos sections, et à la présence surtout du président du gouvernement, Farhat Abbas.....

Il y a eu des résolutions concernant la langue arabe , qui sera considérée comme langue nationale en 1^{er} lieux.

وكذلك فيما يخص عمقنا العربي - الإسلامي أو امتدادنا الإسلامي، الذي يتمثل في انتماءنا تراثا وتاريخا ومصيرا مشتركا، مع إخواننا العرب في المغرب والشرق، والدليل على ذلك، أنه فور حصولنا على الإستقلال، أصبحت الجزائر عضوا في جامعة الدول العربية وعضوا في المنظمة الإسلامية.

-La restauration de la nationalité ou de la personnalité arabo-islamique et la culture arabo-islamique.

Dans l'article 2 du statut de L'UGEMA, on dit 2 choses essentielles.

Il y a l'alinéat -5 qui dit : entreprendre toute action contre l'analphabétisation , et lutter pour la scolarisation de l'enfance algérienne et l'adaptation de l'enseignement au réalité de la nation algérienne, de défendre la langue arabe et développer la culture arabo-islamique.

Donc notre statut de L'UGEMA, a donné la priorité à la langue arabe comme langue nationale, et la culture arabo-islamique comme fondement de la société algérienne.

pour dire que l'islam et la langue arabe n'ont jamais été des choses secondaires, comme certains le pensent, nous réfléchissons comme étant des

algériens profondément attachés aux principes et aux valeurs nationales, et au moment ou nous n'avions acceptés l'idée de l'assimilation et de l'intégration jamais.

Avant d'analyser quelques évènements historiques, il faut restituer chaque chose dans son contexte historique, par exemple, à un moment donné quand l'Emir Khaled demandait l'égalité des droits avec les français, il à revendiqué la nationalité française.

Quand Farhat Abbas revendiquait aussi certains droits, mais à cette époque lointaine, les algériens étaient des sujets « des indigènes », les algériens n'avaient aucun statut juridique.

فلغتنا العربية هي الأصالة والهوية الفردية والجماعية، هي جهاز مرتبط بكل مفاهيم حياتنا من قيم ومشاعر، وأحاسيس وتوجهات ومواقف وأذواق، ووعي وإدراك ما في العقل والروح.

أما اللغة الأجنبية فما هي إلا وسيلة، هذه الوسيلة تتطور مع التاريخ، فسابقا في القرون الماضية اللغة العربية كانت هي لغة العلم والمعارف.

هذا في العصور الوسطى من لا يعرف اللغة العربية، لا يستطيع أن يكون طبيبا أو مهندسا أو عالما.

أما حاليا ، فاللغة العربية للأسف تراجعت ولم تعد لغة العصر، فهناك لغات أخرى في الريادة، تحمل العلوم والمعارف والتطور العلمي والتكنولوجي، في جميع ميادين الحياة، ويجب أن نتعلم هذه اللغات، كي نستطيع استقاء هذه العلوم، ومسايرة تطورات العصر.

المقابلة رقم (9)
التعريف بالمبحوث
1-إسم المبحوث:
محمد تومي
2-تاريخ ومكان الميلاد:
ولد سنة 1926 ببرج منايل.

تاريخ المقابلة: 2012/02/02
2012/06/18
مكان المقابلة: بالعيادة الطبية للمبحوث
بالجزائر الوسطى.
مدة المقابلة:الحصة (1) : 4 ساعات
الحصة (2) : 3 ساعات

3-الأصول العائلية:

ينحدر المبحوث من مدينة برج منايل، والده كان موظفا بالبلدية تعلم القرآن الكريم بإحدى زوايا المنطقة.

4-الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث:

نشأ الطفل محمد في وسط عائلي محافظ، حيث علمه والده حفظ القرآن، في المنزل والزاوية، وسط ظروف مادية متوسطة، فالأب كان موظفا يتقاضى راتبا شهريا يسمح لهم بالكفاف، لأن أسرة محمد لم تكن كثيرة العدد، لا تتعدى الأربعة أفراد.

5-المسار الدراسي:

درس محمد تومي المرحلة الابتدائية والإكمالية والثانوية بمدينة برج منايل، بعد نجاحه في شهادة البكالوريا بتفوق بثانوية " بيجو " سابقا، انتقل إلى الجزائر العاصمة، للتسجيل بالجامعة بكلية الطب، ثم انتقل إلى فرنسا، وتحديدا إلى جامعة مونبوليه لإكمال دراسته في الطب هناك، والحصول على شهادة طبيب مختص في أمراض القلب، وكان هذا مع بداية الخمسينات.

6-المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي):

ناضل في حزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، عند سفره إلى فرنسا وأثناء دراسته الطب في جامعة مونبوليه، كان عضوا منخرطا في جمعية الطلبة المسلمين لأفريقيا الشمالية « L'AEMNA » فرع مونبوليه، حيث كان هذا التنظيم الطلابي

يتميز بالإستقلالية في تسيير شؤون الطلبة، الذين يدرسون بجامعة مونبوليه، لكن نظرا لنضال الطالب محمد تومي، في حزب الشعب الجزائري قبل مجيئه لفرنسا، واتصاله الدائم ببعض رفاق النضال ومنهم بن بلقاسم، الذي كان مسؤولا في جبهة التحرير الوطني مكلف بناحية « Herault » بفرنسا، حيث ساهما في لمّ شمل الطلبة الجزائريين، الذين كانوا يدرسون في عدة جامعات فرنسية، مثل بورجو وتولوز، وليون ، لتجنيدهم ووضعهم تحت تصرف جبهة وجيش التحرير.

7-المسار الثوري (النضال في الجبهة):

إلتحق بالإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بعد تأسيسه سنة 1955م، أوقف مساره الدراسي الجامعي بفرنسا، ورجع إلى الجزائر استجابة لنداء الإتحاد، بالقيام بالإضراب عن الدراسة في 19 ماي 1956م، انضم للقطاع الصحي لجبهة وجيش التحرير الوطني، في قاعدة الإسناد الشرقية " تونس "، تحت قيادة الدكتور المجاهد نقاش، الذي خلفه فيما بعد.

ثم انتقل بعدها إلى ولاية الشمال القسنطيني سنة 1957، تحت قيادة العقيد سليمان بن طوبال.

أصبح الطبيب الرئيسي لقطاع الصحي، للولاية الثانية II بداية من عام 1959م، ذلك بعد رحيل الأمين خان، الذي أصبح آنذاك عضوا في الحكومة المؤقتة المعلنة في سبتمبر 1958م.

8-التدرج الوظيفي بعد الإستقلال:

- مارس الطبيب محمد تومي بعد الاستقلال الطب، فهو مختص في أمراض القلب والأوعية الدموية، حيث اشتغل ما بين المستشفيات الحكومية الجزائرية وعيادته الخاصة.
- كما كان أستاذا محاضرا في كليات الطب بالجزائر.

- عرض المقابلة:

قبل تنقلي إلى مونبولىيه بالجامعة، كنت في الجزائر مناضلا في حزب الشعب الجزائري بمدينة بريج منايل، حتمت علي أن أهاجر كما قلت لك، وهناك كانت مكاتب فرعية لجمعية طلبة مسلمي إفريقيا الشمالية التي تأسست سنة 1927، خارج الجزائر لكي تهتم بشؤون الطلبة، الذين كانوا يهاجرون بقوة إلى البلدان الأوروبية، خاصة فرنسا للدراسة والتعلم، وهروبا من الميز العنصري، الذي كان الطلبة يعانون منه كثيرا في الجزائر.

فمكتب «L'AEMAN» في مونبولىيه كان يحاول إيجاد حلول لمشاكل الطلبة، فيما يخص توفير لهم وسائل الدراسة، من مأوى ومأكل ومواصلات، فظروفنا كانت سيئة جدا، كنت أنشط بهذا المكتب وبتوجيه من جبهة التحرير الوطني، الذي كان موجودا بقوة أيضا في فرنسا، فمحمد بوضياف وديدوش مراد وآخرون، كلهم كانوا يقومون بزيارات لفرنسا، قصد تجنيد وتنسيق الأعمال، بين القيادات السياسية للحركة الوطنية.

تكوّن الجناح السري للحزب وهو المنظمة الخاصة، وعملها موجه إلى الإعداد للكفاح المسلح، تحت اسم حزب الشعب الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والتي خرجت منه الرؤوس التي فجرت الثورة، وسبقت أن أعطيتك بعض الأسماء، في الوقت نفسه كان هناك الجناح الليبرالي للحركة الوطنية، بزعامة فرحات عباس الذي كان يهدف، إلى إقامة هيئة جزائرية منضوية تحت لواء فرنسا.

وصل الأمر بفرحات عباس وهو الأول لذي أسس تنظيما طلابيا في سنة 1927، تحت اسم جمعية طلبة مسلمي إفريقيا الشمالية، إلى حد نفي وجود أمة جزائرية، والنضال من أجل الاندماج الكامل والتام للجزائر في فرنسا، بعد ذلك عاد ليقرّ بذنبه، وينضم بجد إلى الأطروحات الوطنية الأكثر صلابة، مستبعدا مع ذلك وقطعيا، اللجوء على وسائل العنف، ومفضلا في المقام الأول التفاوض بالوسائل السلمية، من أجل الحصول على الإستقلال.

التيار الآخر الذي كان موجودا، هو التيار الإصلاحى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي لم تقوّت الفرصة لانتقاد فرحات عباس، بسبب موقفه الأول في التّكرار لوجود أمة جزائرية.

مع أن جمعية العلماء في مرحلة من مراحل النضال، والكفاح المستميت للشعب الجزائري، كانت ترى أن لا مانع في أن تدمج الجزائر في فرنسا، مع المحافظة على الشخصية الإسلامية، وهذا لن يتحقق، لأنه لا فائدة من التعليم والإنسان مستعبدا، مقهورا، مسلوبا من حريته وكرامته.

عند تأسيسنا للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وكنت بفرع الجمعية بمونبوليه « Montpelier »، أدرس الطب حدث غليان كبير بيننا نحن الطلبة المناضلين في جبهة التحرير، وفئة قليلة من طلبة جزائريين شيوعيين، منهم محمد حربي الذي أسس رفقتهم إتحاد طلابيا بباريس، أسماه " إتحاد الطلبة الجزائريين بباريس " (L'UEAP)، سميها معركة حرف " الميم " مسلم ضد حرف اللام « L » « Laïque »، وكان حينها موجودا بلعيد عبد السلام بفرنسا، وقام بمجهودات لإقناع الموجودين في كل الجامعات الفرنسية، للانضمام إلى تنظيمنا الجديد، كان هذا في سنة 1955، ونجحت مهمة جبهة التحرير في تثبيت كلمة "مسلمين"، والتنظيم الطلابي المكون من الطلبة الشيوعيين لم يعد له وجودا، حيث التحق العدد الذي كان قليل جدا باتحادنا، إن الإسلام هو عقيدتنا وجنسيتنا وهويتنا عبر أزمنة طويلة، أتذكر أنه في منطقتنا في البرج، " كنا نعت بعض المواطنين عندنا، والذين تخلوا عن جنسيتهم " بالمتورزين"، أي « Naturalisés » وكنا لا نتزوج منهم، ولا يتزوجون منا، ولا نتعامل معهم إطلاقا، لأنهم تتكروا لأصلهم، وتنازلوا عن جزائريتهم العربية الإسلامية، حتى الأمازيغ عندنا، انصهرت عاداتهم وتقاليدهم في قيم الدين الإسلامي، ويتكلمون العربية ويتزوجون حسب الشريعة الإسلامية؛ فالفاتحة آنذاك في عقد القران بين الفتى والفتاة، تعتبر دفترا عائليا، فالإسلام هو عقيدتنا وحياتنا ونمط معيشتنا، فهو العنصر الضابط لكل شيء في حياتنا.

أنت محظوظة من جيل الإستقلال، كانت لك الفرصة أنك درست العربية في مدارس جزائرية، كم تمنيت أن أتعلمها، لكن يا للأسف فرنسا الإستعمارية الكولونيالية، فعلت كل شيء، لكي تقضي على كل ما له علاقة بهويتنا وشخصيتنا، و أصدرت قوانين تمنع تعليم لغتنا العربية في المدارس، والكتاب والزوايا، هذه هي معجزة ثورتنا، فلولا جيل من الرواد الأوائل تشبعوا، بقيم ومبادئ مثالية مستوحاة من عقيدتنا الدينية، أليس قتالنا " للنصارى" أو " المسيحية " المحتلين، هو جهاد في سبيل تحرير الأرض، أي الوطن من الغازي المحتل،

ومصطلح " الخاوة "، التي تعني الأخوة أي رابطة الدم، ورابطة الدين أيضا فنحن إخوة في الإسلام.

إذن اختيار هذه الكلمات بالذات تعني الكثير، فالإسلام متجذر في الشعب الجزائري، الذي اعتنقه واقتنع به عندما قدم الفاتحون الأوائل، إلى أرض الجزائر، كعقبة بن نافع مثلا ورفاقه من الفاتحين، هم من رفاق أيضا للرسول صلى الله عليه و سلم، وكان الأمازيغ البربر يروا في الرسول محمد قدوة لأجدادنا، الذين قاوموا فرنسا منذ احتلالها للجزائر، فالأمير عبد القادر وبوعامة وبوبغلة، كلهم قاوموا الكفار كما كانوا يسمونهم، صحيح كانت هناك مقاومات من طرف سكان المنطقة في الأول، عندما قاومتهم مثلا الكاهنة، لكن بعد التعرف على تعاليم الدين الإسلامي، وما يحمله من قيم العدالة الإجتماعية، والمساواة، والرحمة والكرم، وجدوا أنفسهم تتطابق أيضا مع فطرتهم، فطرة هؤلاء شعوب شمال أفريقيا، والجزائريين الأمازيغ بصفة خاصة، فمن طبيعة الجزائري أن يتمرد على القهر والظلم.

وكما نقول عندنا " الحقرة " أي الاحتقار والاستصغار، وفرنسا الكولونيالية، لما غزت الجزائر فعلت العكس تماما؛ لذلك نبذها الشعب الجزائري وقاومها، وقاوم الدين المسيحي الصليبي التي حملته معها، وحاولت إحلاله محل الدين الإسلامي، ولم تفلح في ذلك. فالعقيدة الدينية كانت على مرّ عصور وأزمان المجتمع الجزائري، الفاعل والدافع والموجه والمسير، لكل أوجه الحياة و الحمد لله والله يرحم الشهداء

الفصل السادس

تحليل وتفسير النتائج على ضوء الفرضيات

تمهيد:

بعد قيامنا بعرض المقابلات مع الأعضاء الفاعلين L'UGEMA، سنقوم في هذه الخطوة بتحليل النتائج المتعلقة، بالإجابات المقترحة من طرفهم في المقابلات، ثم مقارنتها بتلك الحقائق التاريخية المدونة، في كتب ووثائق التاريخ التي تفحصت الظاهرة بتمعن، بالإضافة إلى المؤتمرات التي عقدها الإتحاد، والتحديات الموجهة للسلطات الإستعمارية في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر، والمحفوظة في أرشيف الثورة، ولا يفوتنا في هذا الإطار محاولة كشف باب الصراع، الذي كان دائرا في تلك الفترة بين الإتحاد والتنظيمات، الأخرى حول المقومات الأساسية للمشروع الوطني، الذي سطره وأكدّه الإتحاد L'UGEMA، كحركة طلابية أمدت الثورة بكفاءات، وكانت العلاقة بينهما تبادلية، وقد صنفت فنتهم (الطلبة) في إطار، النخبة المثقفة المساهمة في التغيير والتحول، وتركت بصماتها واضحة في تاريخ الجزائر والثورة، وما بعد الإستقلال في بناء الدولة الجزائرية.

المبحث الأول: عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى:

ينطلق نصّ الفرضية الأولى من الطرح التالي: "يمكن اعتبار النضال السياسي مقوما أساسيا لتوضيح المشروع الوطني، من طرف الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين"، إذا حاولنا تتبع مسار الإتحاد النضالي السياسي، فإنّ الأمر يحتم علينا التطرق لظروف النشأة والتأسيس، وتتبع البرنامج الذي رافق الأعضاء الفاعلين في الإتحاد، عبر ما يعرف بالنشاط والتحرك السلمي والمسلح، في إطار العلاقة الجدلية بين الطلبة الجزائريين وجبهة التحرير الوطني .

أ- ظروف نشأة وتأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

النخبة المثقفة تمثل: "مجموع الأشخاص الذين يمتلكون مستويات عليا من رؤوس الأموال، على اختلاف أنواعها سواء على الصعيد السياسي أو الأسري أو الإقتصادي، أو في مجال تخصصهم أو ما إلى ذلك، وهم في أغلب الأحيان الأعضاء الغير عاديين في الجماعات المختلفة..." (1).

وهذا ما قصدناه في تناولنا لنخبة المثقفين من الطلبة الجزائريين، الذين شكلوا نواة L'UGEMA وسندا هاما للثورة الجزائرية، حيث كانوا فاعلين ومحركين لهذا الإتحاد، الذي ينتمي في جذوره للنخب الجزائرية، ذات الحراك السياسي الممتد إلى المرحلة السلمية. كانت البداية الجينية للنخب الجزائرية المثقفة في المرحلة الإستعمارية، كما تثبت كتب ودراسات عديدة، مكونة من نخب ذات تكوين معرب ديني وآخر مفرنس، يستمد إيديولوجيته من الجامعات الفرنسية، لأجل خدمة الأغراض الإستعمارية؛ وقبلها لا يمكن تناسي تلك الضربة التي تلقتها الجزائر، أثناء الدخول الاستعماري كما يذكر أ.جابي ناصر، من أنه تعرضت لعملية إفراغ من متعلميها ومثقفيها، الذين كانوا أو كان لهم وجودا وحضورا فعليا، والذين هجروا قسرا لبلدان أخرى وتحديدا الدول العربية (2).

1- أحمد زايد، الزبير عروس، النخب الاجتماعية، حالة الجزائر ومصر، الدار العربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2005، ص 21.

2- ناصر جابي، الجزائر: الدولة والنخب، دراسات في النخب الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب، 2008، ص 14.

وهنا يظهر أن التعليم الفرنسي استخدم مختلف الأساليب، للقضاء على ما كان موجودا من ثقافة وتراث.

والمهمة الأساسية التي تبنتها السلطات الإستعمارية آنذاك، تمثلت في غرس نخبة مثقفة ومشبعة بالثقافة الإستعمارية ومدينة ومالية لها، وتعيش اغترابا ثقافيا في بلدها الأصلي، وذلك بتشويه التاريخ وتشويه الثقافة الوطنية: "...لنتوصل في مرحلة ثانية إلى فرض حلولها الكثيرة، من بينها الإندماج المزيف والمسح والتذويب...."⁽¹⁾

كانت هذه الوضعية العامة للمثقفين أو النخب الجزائرية، على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها، حيث مثلتها باختصار ثلاث اتجاهات أساسية، دار في فلكها النضال السياسي السلمي، منها الإتجاه الثوري مثله حزب الشعب الجزائري، ونجم شمال إفريقيا، والإتجاه الثاني إصلاحى ومثلته جمعية العلماء المسلمين، والإتجاه الإندماجي ومثله الحزب الشيوعي وأحباب البيان الجزائري .

وقد كان النضال على أوجه بين، المثقفين الإندماجين والمثقفين المعارضين لذلك، خاصة ذوي الثقافة الدينية والمعربين، أو الذين تلقوا الثقافة العربية والروح المغاربية، إلى أن اندلعت حرب التحرير التي ألغت أو أذابت، الصراع بجمعها الفرقاء أو فئات المجتمع كافة، وخاصة المثقفين باختلاف اتجاهاتهم، ودرجات تكوينهم ونوعيته حول المشروع الوطني.

وتتجسد من خلاله مجموعة من المبادئ والمقومات، وعلى رأسها المقوم المتعلق بالوحدة الوطنية، وسيادة الجزائر بخروج فرنسا الإستعمارية، حيث يرى علي الكنز أن هذه الفترة تميزت بـ: " تكافل المناضلين الوطنيين من المغرب العربي، وتضامنهم ووجود ثقافة واحدة تجمعهم في نضالهم ضد الإستعمار....".⁽²⁾

إلا أن هذا النضال أسفر عن إبقاء الحماية على كل من تونس والمغرب، بينما الجزائر بقيت بلدا استراتيجيا بالنسبة لفرنسا، وألحقت بها كمستعمرة لا يمكن التنازل عنها أو التفريط فيها.

ومن هنا كان لنضال الشعب الجزائري باختلاف أطيافه، دورا في إعادة فرنسا لحساباتها حول الجزائر، خاصة بعد خروج من رأت فيهم رعايا الولاء عن طاعتها، خدمة لأهداف

1- العربي الزبييري، تاريخ الجزائر المعاصر، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ج2، 1999، ص 13.
2- علي الكنز وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة، مركز البحوث العربية بالقاهرة، ومنتدى العالم الثالث بداركار، 1997، ص 22.

معارضة لها، تحمل مشروعاً قوياً الطرح، التفتت حوله نخبة من المثقفين، يحملون شهادات من مختلف التخصصات، من الطب والصيدلة والفلسفة والأدب وغيره.

وهم فئة الطلبة الذين كانوا يزاولون دراساتهم العليا، في الجامعات الفرنسية في فرنسا وفي الجزائر، وبعض الدول العربية والمغربية .

تستفيد قراءة الأحداث التاريخية التي لفتت L'UGEMA، بدءاً من ظروف التأسيس والإنشاء، مروراً على المقومات التي نادوا بها بصيغة سوسيولوجية، مقارنة مع ما طرحه المؤسسين الفاعلين الأحياء منهم، تزامناً مع ما يطرح عبر المؤلفات والدراسات، وكشف بعض الصراعات التي كانت خفية، فيما يخص البعض من المقومات الوطنية، التي رافقت الإتحاد؛ سنبحث في أهم المقومات الوطنية التي كانت الشغل الشاغل لهم، والتي من خلالها حاولوا بناء وتحقيق المشروع الوطني، إلى جانب جبهة التحرير الوطني، بما أنهم كانوا في علاقة تبادلية وسندية قوية، غيرت مجرى تاريخ الجزائر، التي لم تخرج من نير العبودية والإحتلال، إلا بعد اتخاذ خيار النضال السياسي والمسلح، وإيصال صوت الجزائر والثورة إلى العالم بشكل عام.

والمراجعة الأولية لإيجابيات المبحوثين، تجمع على أن هناك أحداث معينة أدت لظهور الإتحاد وتأسيسه، ومنه سيره نحو خطوة النضال في ظل التطورات التي شهدتها المجتمع الجزائري، ويجمع أغلب المبحوثين أن الهيمنة والتمييز المتبع ضد الطلبة الجزائريين، الذين درسوا في الجامعة الفرنسية في فرنسا والجزائر، كان الدافع الأساسي في مراجعة حساباتهم حول هذا الإغتراب والتهميش، الذي خلقته فرنسا لهدف معين يخدم أيديولوجيتها الإستعمارية، التي أصبحت الفئات الطلابية المثقفة واعية بتوجهاتها، بعد معاناتهم للسياسة العنصرية والتمييز على أرض الواقع، من قبل السلطات الإستعمارية، رغم تبنينهم للثقافة الفرنسية من خلال عملية التعليم.

ويظهر التمييز في مقاعد الدراسة وفي التخصصات التي كانت مفروضة، وكذا عدم الإقتراب من الفرنسيين، بوضع فاصل في المعاملة والحديث والأكل والعمل، أي التمييز في المناصب والتوظيف الموجه فقط لخدمة المستعمر، ومن هنا كانت الحركة الطلابية واعية بالوضع المتعلق بالمشروع الإستعماري، الذي أراد القضاء على المقومات الثقافية للمجتمع الجزائري.

كما يذكر المبحوثين في جانب آخر أن أسباب التأسيس، ترجع لكون الإتحاد يعتبر جزءا من الحركات والجمعيات الطلابية، التي استقطبت جموع الطلبة في الحقبة الإستعمارية، حيث يشار إلى أن التنظيمات والحركات الوطنية، ضمت أسماء بارزة من المثقفين وكذا فئة الطلبة، حيث إذا تتبعنا السيرة الذاتية للمبحوثين، نجد غالبيتهم ينتمي لحركة طلابية أو حزب سياسي أو جمعية.

فالأمين خان مثلا كان منضويا تحت، حركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ 1947، وأحمد طالب الإبراهيمي ناضل، في إطار الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وانخرط في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في فترة الدراسة، وبلغ عبد السلام ناضل في صفوف حزب الشعب (1944)، وكان عضوا كذلك في اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ورئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، وعبد القادر نور ساهم في تأسيس أول رابطة للطلاب الجزائريين في مصر، وكذلك زهير إحدادن الذي كان مناضلا في حزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وكذلك مسعود آيت شعلال ومحمد تومي، ومن هنا يظهر أن العديد من الطلبة مناضلين ومثقفين حول الحركة الوطنية، في الفترة السابقة على إنشاء UGEMA L، وتحديدًا حزب الشعب وحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية.

وبالتالي يظهر أن مساهم النضالي، كان حافلا قبل إنشاء وتأسيس UGEMA L، التي تتدرج ضمن إشكالية الحركة الطلابية الوطنية للجزائريين، كما يجمع المبحوثين في ردّهم على سؤال أسباب التأسيس، أن الطلبة في الحقبة الإستعمارية، وخاصة الطلبة الفرنسيين دون الجزائريين، كوّنوا جمعية خاصة بهم ذات توجه سياسي واجتماعي، بينما فيما يخص وضع الطلبة في الجزائر، فيذكرون أن الطلبة المغاربة والتونسيين والجزائريين، سعوا إلى تأسيس تكتل يجمعهم، وهذا ما تؤكد المصادر التاريخية، عندما إتجهوا لإيجاد إطار وجدوى لعملهم السياسي الاجتماعي، وذلك بتأسيس منظمة طلابية مغاربية واحدة.. (1).

وهذه الفكرة لم تجد لها صدى، بفعل تكتل الطلبة التونسيين والمغاربة كل لجهته، وبالتالي وجد الطلبة الجزائريون أنفسهم مجبرين، على التكتل في إتحاد الطلبة الجزائريين في باريس UEAP، بإدارة الحزب الشيوعي الذي كان يرفضه غالبية الطلاب الجزائريين.

1- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين بين إبان حزب لتحرير 1954، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 23.

ب. أهداف إنشاء الإتحاد:

تعددت الأهداف التي من أجلها تكتل الطلبة في الإتحاد، وأهمها على الإطلاق الهدف النضالي السياسي ، الذي ساهم في دحض الأهداف الاستعمارية المضادة؛ وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى فكرة أساسية، كان لها وقع على نفوس الطلبة الجزائريين، كنخبة واعية ورغم تلقيها تعليماً فرنسياً، كانت ترفض مقولة الجزائر أمة في طور التكوين، والتي وجدت صداها عند بعض المثقفين الجزائريين، الذين استقوها من الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي ذلك يقول مسعود آيت شعلال كأحد البارزين، في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ويشاطره بقية المبحوثين في كون: " هذه النظرية خاطئة لرئيس الحزب الشيوعي الفرنسي، والذي روج لها منذ 1939م، عندما زار الجزائر "موريس توريس"، وقال حينها أنه عندما دخلت فرنسا الجزائر عام 1830، الجزائر أبداً لم تكن أمة، بل كانت تشمل عدداً من القبائل المتناثرة هنا وهناك، من أمازيغ وبربر وعرب مسلمين وطوارق في الصحراء الكبرى، لا تجمعهم عادات وتقاليد ونمط معيشي موحد، وحتى الدولة آنذاك لم تكن بالشكل المطلوب..."; يوافقه محمد تومي بطرح قريب، في قوله أن فرنسا فكرت وأرادت تجسيد (الجزائر-فرنسية)، تكون خلاصة من الأجناس الإثنية، وأشار إلى طرح توريس واتفق عليه المبحوثين، من أن تداول تلك الفكرة كان بمثابة الشرارة، التي أوقدت الحقد في نفوس الطلبة، الذين يعرفون تاريخهم وتراثهم، وكونهم أمة سابقة وليست أمة في طور التشكيل؛ وحلّهم لهذه القضية كان بالإلتفاف حول إتحاد يجمعهم باختلاف مشاربهم، حول قضية ومشروع واحد، هو الجزائر ذات السيادة الوطنية.

وفي ظل الأوضاع الداخلية والخارجية التي كان يمر بها الطلاب، والسياسة المتبعة ضدهم، وكذا الوضع المتعلق باندلاع الثورة وأسباب اندلاعها، فإنهم عقدوا العزم على إنشاء L'UGEMA كتنظيم متميز، يحسم المشروع الوطني من خلال لائحة من المطالب الأساسية التي كان يحملها، ومنها النضال السياسي: " وبمبادرة من جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا، وأعضائها المقيمين في الجزائر العاصمة، وبتوجيه من جبهة التحرير الوطني، عقد

اجتماع تحضير في باريس، بين الرابع والسابع من شهر أفريل سنة 1955، للنظر في كيفية إنشاء منظمة طلابية جزائرية⁽¹⁾.

وتمّ إنشاء L'UGEMA التي حملت هموم طلبة الجزائر ومطالبهم، التي ستظهر عبر مجموع المؤتمرات التي عقدت، وكانت بذلك تحديا نضاليا في وجه المستعمر، وقد وردت لائحة المطالب في المؤتمر التأسيسي للإتحاد، ما بين 08 و 14 جويلية 1955 بباريس، عكست أهداف الاتحاد، كما يؤكد أحمد طالب الإبراهيمي؛ ومن خلال هذا المؤتمر ألقى خطابا، لأنه كان رئيسا للإتحاد الطلابي، ومما جاء فيه حسب غالبية المبحوثين:

" لمّ شمل الطلبة الجزائريين وتوحيد صفوفهم، وذلك بتجنيد أكبر عدد من الطلبة في صفوفه، والعمل على إحياء مقومات الشخصية الوطنية، وتحديد إعطاء اللغة العربية مكانتها، وتخليص البلاد من براثن الإحتلال، ومشاركة الإتحاد في الحياة السياسية للبلاد والمشاركة الفعالة في تجسيد ذلك، وعدم عزلة الطلبة والتزامهم الحياد، وعيشهم الهامش لأنهم جزءا من الشعب الجزائري، الذي يرزح تحت نير الإحتلال الغاشم"، وغالبية المبحوثين يؤكدون على هذه المطالب، التي كانت المشروع الكبير ضد المشروع الفرنسي.

وهو ما أرادته الإتحاد وتؤكد المرجعية التاريخية، في إطار العلاقة الجدلية بين الإتحاد وجبهة التحرير الوطني، ويظهر هذا الطرح كذلك من خلال إجماع المبحوثين، على ضرورة توحيد قوى الشباب الفاعل لمواجهة الإستعمار، واستدراج مختلف التشكيلات الوطنية لتحقيق هذه النقطة، وإعداد الإطارات والفنيين والمكوّنين، للمساهمة في الثورة، والإتصال بالطلبة والمتقنين، حيث يقوم كل واحد بمهامه ودوره النضالي.

وتطرح هذه النقطة مشاركة المبحوثين، في تجنيد وإلحاق الطلبة الجزائريين بالإتحاد وبجبهة التحرير الوطني، والمشاركة في الثورة والحرب ضد المستعمر، ومن بينهم زهير إحدادن الذي ناضل في الحركة الوطنية، وكان له اتصالات واسعة مع مناضلي الجبهة، وعبد القادر نور كوجه قائم بالإعلام والمشاركة في المؤتمرات الدولية، باسم الجبهة والمشاركة في الإعلام المسموع بالقاهرة، وكان له دورا في التجنيد والتوعية والتعبئة، وكلها مسارات أسهمت في النضال ضد الإستعمار.

1- نفس المرجع، ص 24. للمزيد أنظر الملحق رقم (11).

إن مؤسسي الإتحاد حملوا على عاتقهم المشروع الوطني، إلى جانب رجال الثورة الذين أمدهم بالعون، ومن هنا تظهر حسب عبد القادر نور أحد مؤسسي الإتحاد أهمية: "عدم تهميش دور الطلبة في الثورة، خاصة الطلبة المعربين من الدور النضالي"، لأنهم ساهموا في التعبئة والنضال والدعم، واحتواء مبادئ الثورة ومطالبها ومقوماتها، التي جسدها خاصة في الجانب المتعلق بالسيادة الوطنية، والحفاظ على الوحدة بالنضال السياسي والمسلح، الذي كان حلاً فعالاً فهمه الإتحاد والطلبة معاً.

نلاحظ أنه بعد تاريخ المؤتمر التأسيسي، دخل إتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين في معترك المشاكل السياسية للبلاد، ولم تسعف الأحداث الإتحاد القيام بدور الوسيط بين فرنسا والجزائر، كما تعهد في برنامجه، فأحداث 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، والرّد الإستعماري العنيف في شكل إبادة جماعية للأبرياء، وتدمير شامل للقرى والمدائر، جعل الطلبة الجزائريين يرفعون لائحة تنديد، شديدة اللهجة للسلطات الفرنسية الرسمية، محذرين إياها من مغبة التماذي في سفك دماء الأبرياء والقمع الوحشي، ولم يفق الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من هذه الصدمة، حتى وجد المتابعة والإغتيالات تمس عناصره.....". (1).

وإذا استعرضنا محتوى المقابلات التي أدلى بها المبحوثين، فإننا نجد أن أهم الأهداف النضالية التي أوردها المبحوثين في لائحة المطالب، حسب النماذج التالية تصبّ في الآتي:
الأمين خان يؤكد أن المطلب النضالي السياسي الأساسي كان: "تحقيق الإستقلال التام باسترجاع الهوية الوطنية...، الوحدة الجزائرية كانت الهدف الأساسي لتحقيق الذات والحفاظ على الهوية...".

أما طالب الإبراهيمي فيرى أن " فكرة إنشاء الإتحاد كان الهدف منها، التعجيل في مساهمة الطلبة في الثورة واحتواء جبهة التحرير للطلبة، من مختلف المستويات وهذا ما ساهم في التحاق عدد كبير من الطلبة بالجبهة...".

1- عبد الله حمادي، " الأيديولوجية الفرنكفونية للطلبة المسلمين الجزائريين " 1871-1962، مجلة ينابيع، الجزائر، مركز الثقافة والإعلام، العدد 6، 1993، ص 31.

لأنه انطلاقاً - حسب أغلبية المبحوثين- من الروح الوطنية الثورية، وبالتالي: " ربط مصير المثقف (الطالب) بمصير أفراد الشعب الجزائري المكافح...، وتمّ إدماج الإتحاد في حركية الثورة فكرياً وسياسياً وعسكرياً.."، حسب الأمين خان وبقية المبحوثين .

وإذا حاولنا الرجوع إلى الوثائق التاريخية، التي تناولت المطالب الأساسية للإتحاد، فإننا نجد نفس الأفكار يطرحها المبحوثين وأهمها كما رأينا :

- توحيد الطلبة الجزائريين باختلاف توجهاتهم، وضم أكبر عدد منهم للإتحاد.
- الإرتباط بمصير الشعب الجزائري ومناهضة الإستعمار الدخيل، بنفس الوسائل التي كان يستعملها، والتي ازدادت شراسة حتى مع الإتحاد ذاته فيما بعد.
- بالإضافة إلى الرجوع إلى الأصل، والتخلي عن المبادئ التي تلقوها في الجامعة الفرنسية أي الاندماج الكلي، مع الحفاظ على التراث عبر بعث الثقافة الوطنية التي كانت موجودة، وحاول المستعمر طمس معالمها و إنكار وجود الشعب الجزائري.

ج. المشاركة الفعلية لأعضاء الإتحاد في الثورة والعمل الميداني المباشر:

لقد سجّل الإتحاد موقفه من السياسة الإستعمارية ضد الشعب الجزائري ، وتحديدًا في بعض المناطق (كأحداث 20 أوت 1955) ، ونداءه بضرورة وقف هذه العنجهية التي توجهت إليهم فيما بعد، وصرح طالب الإبراهيمي في قوله أثناء الحقبة الإستعمارية، وأكد أنه لنا أثناء مقابلتنا له عند إجراء البحث قوله أن : " الطلبة المسلمين الجزائريين كانوا تحت ضغط الضمير، وذلك أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء الوضع، الذي مر به شعبهم والمآسي التي تجرعوها، وعليه قاموا بوقفه واحدة للتضامن مع معاناة وآلام هذا الشعب، ولبّوا نداء الكفاح المشروع، لذلك اعتبروا خارجين عن القانون وعصاة، لأنهم حملوا قضية شعبهم، ووثّقوا الصلة مع جبهة التحرير داخليا وخارجيا " .

وفي الحقيقة اعتبرت هذه الوقفة، من الطلبة الجزائريين والمنتمين للإتحاد، ضربة موجّهة للمستعمر، من كون تعليم الطلبة في الجامعات الفرنسية بالجزائر وفرنسا، لم يقف عائقاً أمام انضمامهم للإتحاد في البداية ثم للثورة فيما بعد، رغم أن العديد من مؤسسي الإتحاد والأعضاء الفاعلين، ومنهم العينة التي قابلناها، كانوا من أبناء الأعيان ومنهم من تكوّن في المشرق، حيث لم يعانون من التمييز الذي عاناه الطلبة الفرانكفونيين، هذا ما أثار

دهشة رجال الإستعمار، الذين اعتقدوا العكس، وتوضح الدهشة أكثر من خلال صرخة أحد الإستعماريين، حيث قال يومها بنظرة مستقبلية وكأنه أحس بالخطر: " هؤلاء هم أولئك الذين أعطتهم فرنسا فرصة التعلم...، سأذكر كل هذا أمام البرلمان الجزائري، حيث أنه بسبب برنامج القاضي، بنشر التعلم بشكل أفقي في كل الجزائر، أصبح بموجب قراراته يرسل بمعلمين فرنسيين إلى أقاصي الجبال، لتعليم رعاة الماعز كيف ينشدون شعر (لافونتين)، أقول إنها قمة الجنون...، فمن الضروري تقليص برنامج التعليم، وعدم التمادي في توسيعه أكثر بين الأهالي... ".⁽¹⁾

وهي النتيجة الفعلية التي جنى الإستعمار ثمارها بإعداده طلبة، قطعوا صلتهما بما تلقوه، وقطعوا صلتهما بالعادات الإستعمارية، هذه الأعداد التي كان تتزايد من سنة لأخرى، حيث سجلت الإحصائيات آنذاك " ما بين 1951-1952، ما يزيد عن 442 طالبا، و572 طالب ما بين 1952-1953، وارتفعت إلى 513 طالبا ما بين 1953-1954، وإلى 589 ما بين 1954-1955"⁽²⁾، والعدد كما يبدو كان كبيرا مقارنة بعدد الطلبة الفرنسيين في الجزائر، ويرتفع أكثر بانضمام الطلبة ذوي التكوين المعرب.

إنّ هذا العدد استغله الإتحاد من أجل ضمّ أكبر عدد من الطلبة إلى صفوفه لإضفاء الشرعية على مطالبه، التي تأكدت أكثر بعد عقد عديد المؤتمرات، التي أشار إلى البعض منها المبحوثين في المقابلات.

فبعد المؤتمر التأسيسي الأول جاء المؤتمر الثاني، ما بين 24 إلى 30 مارس 1956 في باريس، ثم المؤتمر الثالث في 23 على 26 ديسمبر 1957، منددين أكثر بالأعمال الوحشية الإستعمارية في حقهم وحق الشعب، إلا أن المؤتمر الثالث كان ناجحا بشهادة المبحوثين والوثائق التاريخية، لأنه عقد في سرية تامة لدراسة الوضع المادي والمعنوي للطلبة، وأوضاع الثورة وتطوراتها، ومطالب الشعب الإستقلالية المشروعة .

وقد حضره ممثلون عن جمعيات ومنظمات دولية، وقد نجح هذا المؤتمر مما أدى بالسلطات الإستعمارية، إلى مضاعفة الضغط على الإتحاد وأعضائه، ومنهم مفردات العينة الذين تعرضوا، للسجن والطرده والتعذيب والمطاردة والقمع والمداهمة في المكاتب، حيث

1- نفس المرجع، ص 20.

2- نفس المرجع، ص 51. للمزيد: أنظر الملحق رقم: (10) .

اعتبر الإتحاد منظمة سرية تعمل لصالح، جبهة التحرير الوطني وتمس استقرار فرنسا وأمنها.

أما المؤتمر الرابع للإتحاد فكان بتاريخ، 26 جويلية حتى الأول من أوت 1960، وحضره مندوبو فروع الإتحاد، بالمغرب والمشرق وأوربا وأمريكا ووفود أجنبية، حسب طالب الإبراهيمي، وشملت الوفود مختلف الاتجاهات والأيدولوجيات، لتأييد المؤتمر ومناضلي الإتحاد، الذي تبين أنهم حاملو مشعل الكفاح التحريري، والدفاع عن قضية بلدهم، وعرض وضعية ومعاناة شعبه وتحقيق مطالب استقلاله.

إن هذا الطرح يثبت قوة هذا التنظيم، حسب تصريحات أعضائه ومن عايشوه بشهاداتهم، وكذا قدرته على مسايرة الأحداث والمستجدات، ومساهمته في الكفاح والنضال سلميا، وباستعمال السلاح فيما بعد بالمشاركة، بين صفوف مجاهدي جبهة التحرير الوطني، وذلك باحتلالهم مراكز قيادية هامة، ومن أهم المراكز ما ذكره الأعضاء الفاعلين، حيث كان منهم من عمل مباشرة في الميدان في مجال الطب، بحكم تكوينهم في الطب والصيدلة كما يقول الأمين خان:

C'est pourquoi le congrès examina une question extra universitaire, telle que la formation d'infirmiers et d'infirmières pour le maquis et ainsi que pour les étudiants médecins et pharmaciens, la révolution à besoin de ce renfort.

Le choix – de s'engager.

ومن هؤلاء الأطباء محمد تومي، الذي التحق بقطاع الصحة للجبهة وترأسه، كذلك القطاع الصحي للولاية الثانية، ومنهم من عمل ميدانيا في المجال العسكري والتمويلي والتوجيهي والدبلوماسي والإعلامي، فنشاطات الأعضاء الفاعلين مثلا كانت متعددة في إطار الثورة، حيث منهم من أعطى للثورة، صدى إعلاميا واسعا للتعريف بالثورة، وفضح جرائم المستعمر وتحقيق مطالب الشعب الجزائري، ونستشهد بشخص عبد القادر نور أحد الوجوه الإعلامية الجزائرية البارزة، والذي يذكر أنه واكب ثورة التحرير، وتفاعل معها وخدمها بشكل كبير، من خلال الإعلام المسموع (مصر) " صوت الجمهورية الجزائرية " بالقاهرة، والتحاقه بالإذاعة بدعوة من الجبهة، حتى التحاقه بوزارة الخارجية 15 ماي 1962، ومشاركته في تحرير الإذاعة من إدارة الإستعمار، في 28 أكتوبر 1962، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث أنه اضطلع بعد الإستقلال: " بمسؤوليات هامة في تشييد مؤسسات

إعلامية، تدفع بعجلة الإستقلال وتتناضل لاستكمالها، في قطاعات كانت حكرا على المحتلين، ووكرا لبث سمومهم تجاه الشعب الجزائري ونشر أكاذيبهم، في اتجاه الرأي العام المحلي والعالمية....⁽¹⁾.

لقد كانت الإذاعة منبرا إعلاميا يذاع عبره صوت الجبهة، ومن الوجوه الإعلامية المثقفة الأخرى من الطلبة، الذين خدموا الثورة إعلاميا، نذكر عبد المجيد أمزيان (بالفرنسية) وعبد السلام بلعيد (بالأمازيغية...)، وعيسى مسعودي وزهير إحدادن كعضو، مكلف بخلية الاعلام في صوت الجزائر من الرباط، ثم الإشراف على جريدة المجاهد في الجزائر، ورضا مالك كمدير لجريدة جبهة التحرير الوطني (المجاهد).⁽²⁾

ولا يفوتنا في هذا الإطار المجال الثقافي الذي تبناه الطلبة الجزائريين، وذلك من خلال الشعر حيث تبين القصائد الشعرية، أن الطلبة كانوا القوة المعنوية الدافعة لتجنيد أقرانهم والمشاركة في الثورة، حيث كان للمجال الثقافي والأدبي دوره، في حماسة وتعبئة الطلبة قبل إنشاء الإتحاد، من شعر ابن باديس (شعب الجزائر مسلم)، ثم بعد التأسيس من شعر الطلبة المنضمين للثورة، خاصة الذين درسوا في تونس ومصر وسوريا، فأشعار مفدي زكريا الرائعة و الحماسية، والتي كانت تلهب قلوب وأسماع الجزائريين آنذاك، وما نشيد " نحن طلاب الجزائر"، الذي كان يردده خاصة الطلبة المعريين، في مؤتمرات الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وقصائد أخرى كثيرة بالعربية، لدليل على التحام هؤلاء الطلبة معنويا وروحيا ووجدانيا بوطنهم الأم، ومعايشتهم لألام وعذابات الشعب الجزائري، وإحساسهم بمعاناته، ترجم هذا الإحساس في أشعار وقصائد معبرة، خاصة عند أولئك الطلبة الذين درسوا، بالمدارس والمعاهد والكلليات، في المغرب والمشرق العربيين*.

إذن هي المشاركة الفعلية للطلبة الجزائريين في الثورة، والعمل الميداني المباشر ذكورا وإناثا، حيث يذكر د.عمار هلال أن جلّ قادة الثورة، العسكريين منهم والسياسيين، أو الذين يجمعون بين الأمرين، أنهم يختارون مساعديهم عندما يتمكنون من ذلك، حتى قبل تأسيس الإتحاد العام للطلبة، شأن ديدوش مراد الذي اختار من مساعديه مقربين له، الطالب محمد قديد خريج معهد الكتانية وجامع الزيتونة، رفقة زيغود يوسف وساهموا في التخطيط والتفجير

1- عبد القادر نور، شاهد على ميلاد صوت الجزائر ذكريات وحقائق، دار هومة، الجزائر، ط2، 2008، ص

20 للمزيد: أنظر المقابلة رقم (5).

2- أنظر المقابلة رقم (4)، و المقابلة رقم (6).

للثورة في الشمال القسنطيني؛ كما كلف الطالب عبد الرحمن ابن حميدة، بالإشراف على الشؤون السياسية للمنطقة التابعة له؛ أما فرع الإتصالات والإستعلامات، فقد وضع على رأسه الحاج إسماعيل المدعو كمال، بينما وضع على رأس لجنة التحرير، الطالبة حسبية بن بوعلي علي لابوانت فدائيي الجزائر، و قاما بتنفيذ عمليات فدائية بالعاصمة، حتى استشهادهما جنباً إلى جنب⁽¹⁾.

ويظهر أنّ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين منذ بداية تأسيسه، كان هدفه يعمل في إطار ثوري تحت راية جبهة التحرير الوطني، ولم يخف توجهاته التي ظهرت للعلن، نتيجة التطورات السريعة للوضع في البلاد، وزيادة وحشية السياسة الإستعمارية الفرنسية.

لقد أصبح الإتحاد حسب الإبراهيمي "وحدة قتالية"، من وحدات جيش التحرير، ومن هنا نما الشعور الثوري لديهم بضرورة المشاركة في الثورة، وإن كانت بدايته سلمية في أول الأمر، بتوجيهه للتنديدات المتواصلة للسلطات الإستعمارية، وبثّ نداءاته العديدة للرأي العام الفرنسي والعالمي، فكل هذه السياسات السلمية، جعلته ييأس من السياسة الإستعمارية حسب شهادة المبحوثين.

وتكشف الرسائل التي وجهها الإتحاد إلى السلطات الاستعمارية، مدى وعيه وتبنيه القضية الوطنية، حيث أنه كان في قلب الحدث، ونؤكد هذا الطرح من خلال مقطع من رسالة، ترجع سنة 1957 موجهة ل: غي مولي * * تقول: "إن الطلبة الجزائريين الذين يعرفون وسائلكم البوليسية المتوحشة، يرون من واجبهم أن يلقوا عليكم بالأخص، عددا من الأسئلة تتعلق بالظروف والأحداث التي تسببت في موت أحد قادة الثورة الجزائرية، محمد العربي بن مهدي...".⁽²⁾

فهناك الكثير من هذا النوع من الرسائل والتنديدات، محفوظة في أرشيف الثورة، وأشار إليها المبحوثين قبل الإنضمام الفعلي والفاعل للثورة .

* ارجع للملحق رقم : (12)، نشيد الطلبة : نحن طلاب الجزائر (لمفدي زكريا).

1- عمار هلال ، **نفس المرجع**، ص 53.

** - هو رئيس الحكومة الفرنسية أثناء الفترة الإستعمارية (ما بين 1954 – 1957)

2- أنظر محتوى رسالة UGEMA إلى غي مولي سنة 1957 من أرشيف الثورة الملحق رقم: (15) .

إن السياسة التي اتبعتها فرنسا مع الشعب الجزائري، وعدم فعالية الوسائل التي استخدمها الإتحاد، كانت السبب المباشر في إقدامهم، على الإضراب التاريخي في 19 ماي 1956، والذي كان له صدى كبيرا لدى الطلبة بمختلف تشكيلاتهم وتوجهاتهم، وقد دام أكثر من عام ونصف، إلى أن وجّه الإتحاد تعليقا عن الاضراب واستئناف الدروس، وكان الإضراب بمثابة الاعلان الرسمي للإلتحاق إلى الثورة، حيث صدر في إحدى فقرات التنديد، تصريحهم الأكيّد والمدوي للإلتحاق بالقول: " الواجب ينادينا إلى تحمل الآلام ليلا نهارا، بجانب من يكافحون ويموتون أحرارا تجاه العدو، وعليه فإننا نقوم من الآن بالإضراب عن الدروس والامتحانات، لأجل غير محدد، فلنهجّر مقاعد الجامعات ولننتوجه إلى الجبال والأوكار، ولنلتحق كافة بجيش التحرير الوطني، وبمنظمتها السياسية جبهة التحرير الوطني".⁽¹⁾

وهذا المنطلق يؤكده المبحوثين، الذين رأوا أن الاضراب كان باتفاقهم على دعوة الطلبة إلى الإضراب والقيام بالإضراب، احتجاجا على الوضع القائم خاصة وضعية الشعب والطلبة، وقد وصف الأمين خان كيفية الإلتحاق بقوله " كنا مجموعة من الطلبة في العاصمة، ودخلنا في مرحلة السرية بداية من الإضراب في 19 ماي 1956، وخضعنا للتدريب على كيفية استخدام وتقديم العلاج الأولي، وتلقينا توجيهات في مجال التوعية والتعبئة، ثم بعد ذلك التحقنا بالجبال".

ويظهر أن غالبية المبحوثين كانت لهم تحركات، فيما يخص إضراب 19 ماي 1956، الذي لقي معارضة كما يؤكد ذلك صالح بن القبي، حيث دعمت الفئة المعارضة "ضرورة النضال السلمي، وآخرون رأوا ضرورة المواصلة لتزويد الثورة بالإطارات".

بالإضافة إلى وجود فئات طلابية أخرى، بقيت مكتوفة الأيدي " مثل هذه المواقف الطلابية المتخاذلة، هي التي أدت بالإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، إلى تجديد النداء بعد ثلاثة أشهر، وخاصة أن السلطات الإستعمارية عمدت، إلى إجبار بعض الطلبة

1- أنظر في الملحق رقم (7) : نداء الطلبة للإضراب في 19 ماي 1956.(فرع الجزائر).

وتعني بالعربية: الفروع الإدارية الخاصة، والتي كانت Sections, A:Administratives, S:Spéciales :-S.A.S.* تجبر الطلاب الجزائريين على التطوع في صفوفها لبث دعاياتها المسمومة، بين الأوساط الشعبية الجزائرية.

على الإلتحاق بمناصب إدارية في الدوائر الإدارية المتخصصة (SAS)، للعمل كأعوان بها".⁽¹⁾

وبالمقابل فإن أعداد المستجيبين للنداء، قد شكّل دعما وتعبئة ثورية للطلاب الجزائريين، الذين توحدوا مع مآسي شعبهم، لقد كان للإضراب صدى واسعا، وتواصل بشكل منتظم لكونه عبر عن مأساة وطن، مزودا بمنشورات ومطويات أكدت الوضع، لقد حمل هذا النداء صرخة مدوية في وجه المستعمر، ذات دلالة قوية شارحة لدور الطلبة كخبرة، وقفت بحماسها الثوري الوطني في الواجهة، أسهمت في إعطاء الثورة صبغتها النظامية، التي جعلت العالم يعترف بها ويدولها في محافله، نتيجة العلاقة الجدلية التي جمعت الإتحاد بالجبهة، كما يشير إلى ذلك أحمد طالب الإبراهيمي، وقد كان المنطق السائد في الأوساط الطلابية الجزائرية، أن مثل هذا القرار هو بإيعاز من جبهة التحرير، التي كانت تدير الأحداث في الخفاء.

ولكن رغم هذه الطروحات، إلا أن الإلتحاق كان قويا، وأصبح الإتحاد جزء من الجبهة، وما إعلانه عن الإضراب إلا رفضا لواقع مرير، عانى منه الشعب الجزائري وكذا سياسة التقتيل والإعتقالات التي طالت الطلبة، والتي ازدادت وتيرتها بعد إعلان الإضراب، حيث كانت للسلطات الإستعمارية ردود فعل اتجاه الإضراب، بتسليطها أنواع القمع والاضطهاد وعرقلة النشاط السياسي، إلى حين إصدار هذه السلطات قرارا تعسفيا، يقضي بسحب شرعية التمثيل للجزائريين من قبل "L'UGEMA"، ففي 28 جانفي 1958 قامت السلطات الفرنسية بحلّ الإتحاد، حيث شنت قوات البوليس الفرنسي حملات تفتيشية واسعة النطاق، شملت جميع مكاتب الإتحاد في باريس وبقية المدن الفرنسية، كما ألقت القبض على مسؤولي الإتحاد، بتهمة الإخلال بالأمن العام، وحثتها في ذلك أن الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تأسس للدفاع عن مصالح الطلبة المادية والأدبية، ولكنه أصبح في خدمة الأغراض السياسية لجبهة التحرير".⁽²⁾

ومن هنا ارتفعت وتيرة القمع والاضطهاد، في صفوف الحركة الطلابية، وخاصة أعضاء الإتحاد، كما يشير إلى ذلك أغلب المبحوثين الذين طالعهم هذا النوع من القمع

1- عبد الله حمادي، **نفس المرجع**، ص 32 .

2- وزارة المجاهدين المتحف الوطني للمجاهد، **ندوة تاريخية حول الذكرى الثانية والأربعون لإضراب الطلبة الجزائريين 19/1956 ماي 1998**، مقر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 17 ماي 1998، ص 10.

والملاحقة والسجن والتعذيب، كطالب الإبراهيمي الذي اعتقل في مارس 1957 ، حتى فيفري 1961 من قبل السلطات الفرنسية، ثم واصل نضاله في سرية تامة، ويشير إلى أنه إعتقل مرات عديدة والتقى في السجن بزعماء الثورة، وكان له بذلك دور فعلي أثناءها، وزهير إحدان الذي ألقى القبض عليه، في مليانة من طرف الشرطة الفرنسية، وأطلق سراحه سنة 1956، وطرده من العاصمة إلى وهران، ومنها هاجر إلى فرنسا وناضل منها في مكتب الإتحاد العام، والتقى عبد السلام بلعيد، ثم توجه لتونس لمواصلة مسعاه في النضال السياسي، وصالح بن القبي الذي اعتقل كذلك في 1957، فيما سمي بمعركة الجزائر العاصمة ، وقد قضى أربع سنوات في المعتقل، يضاف إلى هذه الممارسات مقتل العديد من الطلبة، في تلك الفترة كاغتيال الطالب بلقاسم زيدور، الذي وجدت جثته بالعاصمة وحينها قال الإبراهيمي: " إذا كان من يطالب بحريته في الوجود والكرامة متمردا فنحن جميعا متمردون ... ".

لقد كانت هذه الممارسات التي لقيها الطلبة الجزائريون، وخاصة المنتمون لصفوف L'UGEMA، دافعا قويا لالتحاقهم بالثورة، من أجل النضال المسلح والتعبئة والإسعاف والإعلام، وازداد توافد الطلبة من الداخل والخارج للمشاركة في الثورة، ومن هنا أثبتوا دورهم الذي لا يستهان به في النضال السياسي، حيث منهم من كان قياديا في الثورة، وارتبط بشكل كبير بالقضية الوطنية وساند الثورة، والتحاق الطلبة جماعيا بالجبهة إلى غاية الإستقلال، والتاريخ والشهادات الحية تبين أسماء الكثير من المشاركين، والواهبين لأنفسهم في سبيل استقلال الجزائر، لأنهم حملوا مبدأ سياسيا أرادوا تجسيده في إطار المشروع الوطني، الذي كان يعمل على المستوى البعيد والإستشرافي، لبناء الدولة الجزائرية ذات السيادة الوطنية، المنفكة من برائين الإستعمار وسياسته التعسفية القمعية، التي طالت الشعب الجزائري بمختلف أطيافه، من أبسط مواطن إلى نخبته ومتفقيه وطلبته في المدارس والجامعات، حيث لا يمكن هنا فصل التطوع الشعبي عن تطوع النخبة، وكليهما عانى من ويلات الإستعمار، الذي تبين لهم في الأخير أن السياسة الأنفع معه، هي قوة السلاح وقوة الكلمة في المحافل الدولية، التي سجلت قضية الجزائر بين قضايا التحرر من العبودية والإستعمار الإمبريالي، وكان هذا المقوم الأبرز في المطالب التي رفعتها جبهة التحرير الوطني، وأيده فيها الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كرافد وداعم للثورة الجزائرية.

المبحث الثاني : عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية:

منطلق الفرضية الثانية ينطلق من " اعتبار اللغة العربية مقوما أساسيا، لتكملة المشروع الوطني الذي تبناه « L'UGEMA » كحركة وطنية ."

1. مبدأ الثقافة الإستعمارية في الجزائر:

عمد الإستعمار الفرنسي منذ ولوجه أرض الجزائر، على تجريد الشعب الجزائري من ثقافته الأصلية ومن لغته بشكل مركز، فالثقافة تنتقل بشكل أساسي عبر اللغة، التي تعدّ الأداة الرئيسية لإنتشارها، وحفظها وصيانتها أيضا، واللغة هي صفة جوهرية للمجتمعات الانسانية وللإنسان ذاته⁽¹⁾ وقد كان للنظرية المتعلقة بالجزائر أمة في طور التكوين ، وقعا على المثقفين الجزائريين، حيث آمن بها هؤلاء " المثقفون " الفرنسيون، وروج لها الإستعمار بمحاولة نشرها، عن طريق الثقافة الفرنسية بأشكالها المتنوعة.

كما حاول الحطّ من الثقافة الأصلية، حيث يذكر أن الإستعمار الفرنسي كان ما يميزه عن غيره من أنواع الإستعمار الأخرى، (كالبريطاني والإسباني وغيرهما)، أنه يستهدف إحداث تغيير في طابع البلد الذي يستعمره، بحيث يلائم هذا الأخير نمط الحياة الفرنسي، ويعمل في الوقت نفسه على (فرنسته)، وذلك بفرض اللغة الفرنسية على مجالات الحياة كافة في ذلك المجتمع⁽²⁾ ، وقسم الشعب الجزائري من خلال دراساته السوسولوجية والأنثروبولوجية، إلى إثنيات وأقليات ومجموعات لغوية تختلف في لسانها وعاداتها وتقاليدها، وقد جنّد في سبيل تطبيق هذه السياسة، عدد من الباحثين والعسكريين من أجل تدمير الوجود الهوياتي الجزائري، والممثل أساسا في طمس وتجريد هذا الشعب الذي يمتد تاريخه، لحضارات سابقة من مقوم أساسي يتمثل، في لغته الأم سبب تميزه واستمراريته، والتي لم ينجح المستعمر في انتزاعها منه، لوجود مؤسسات كانت قائمة بالدور وحملت على عاتقها، مسؤولية الحفاظ على اللغة والدين والشخصية الوطنية، كالزوايا والمساجد... إلخ، ولكن لماذا لم تطرح قضية أو مقوم اللغة منذ الإحتلال، وطرحت في الفترة التي وجدت فيها، الإنتلجانسيا الجزائرية أو نخبة الطلبة الجزائريين؟

1 - وليد الزبيدي ، السياسة الفرنكفونية والوطن العربي ، دار أسامة ، عمان ، ط1، 2010، ص90.

2 - نفس المرجع، ص93.

قد تجيبنا بعض الدراسات عن السبب في كون المجتمع المتعرض للغزو، يكون في طور الدفاع والمواجهة ضد الغازي، ولكن بعد دخول هذا الأخير سيعمل، على تشردم المجتمع والقضاء عليه وعلى مختلف مقوماته، وهذا بالفعل ما قامت به فرنسا لمحو ونفي، الوجود الوطني للشعب الجزائري خاصة اللغوي والثقافي، بإحلال النموذج اللغوي والثقافي الفرنسي، كما يؤكد المؤرخ الفرنسي ذاته أميل بيير غوتيه "E.P.Gautier": إن هذا المجتمع كانت تسيطر عليه العقلية القبلية والدينية، واستقطاب الدولة في جهاز مريض (الوجود العثماني)، إضافة إلى غياب المقاومة المنظمة والموحدة، بالإضافة إلى شراسة ووحشية المحتل، في إسكات أي مبادرات لتغيير وتحديد سياسة الإدماج، التي تسلخ الفرد الجزائري من ثقافته، وتمكين عقدة الغالب على المغلوب، وتدمير الذات الجزائرية التي تعيش على الهامش بلغة دخيلة، لا تسع الثقافة الجزائرية الضاربة في العمق العربي الإسلامي. لم يعد الفرد الجزائري في ظل هذه الأوضاع، بقادر على التعبير السياسي عن مطالبه، ومطامحه السياسية المنتهجة من قبل المستعمر ضده، وتحديدًا السياسة التعليمية. وتبين أن المواجهة التقليدية لم تعد ذات مفعول مجدي، بل صارت عاجزة وميتة أمام القوة الإستعمارية المتمكنة عددا وعدة.

ولكن في ظل هذا الركود الشامل ظهرت إشارات أولى متواضعة، حملت معها مطالب سياسية وثقافية، هذه المحاولات البسيطة الرامية إلى إعادة البناء السياسي والثقافي، وجدت في طريقها مصاعب جمّة، لأن المجتمع الجزائري يومئذ كان في حالة تقهقر على جميع المستويات، لقد فقد جل قياداته خلال الإنتفاضات سواء تصفية أو نفيًا، ولم يكن من الممكن تجديدها بسبب، العراقيل أمام تعليم اللغة الوطنية الخاصة⁽¹⁾.

كما و أن السياسة الإستعمارية قد ركزت جهودها على التعليم الممنهج، ولم ينج من هذه السياسة أي قطاع في الجزائر، فجذبت بذلك عددا كبيرا من الجزائريين ذوي الثقافة الغربية، وفي المقابل اعتصم البقية ذوي الثقافة الأصلية، أي التزموا ثقافتهم ودينهم وتراثهم في الجوهر والمظهر، وبذلك لاقوا اقصاء متعمداً من جهاز و كيان الإستعمار.

1- أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص 36.

ولكن الملاحظة الفارقة التي أشار إليها الدارسون للمجتمع الجزائري، أن النخبة التي كانت تخدم فرنسا، والتي يحضّر لإدماجها في الإطار الإستعماري، النخبة المحضّرة في المدارس والجامعات الفرنسية ولاء وخدمة، بدأت تتفقت من قبضته، لأنه هو المستفيد الأول من مزايا الوطن، على حسابهم وحساب أمتهم المستعبدة.

إلا أن هذه الحركة التي قادها مثقفي الجزائر في تلك الفترة، لاقت هجمة شرسة من قبل الإستعمار، لأنها ضد مخططاته الداعية لإحياء اللغة رمز الهوية، ولأنهم صاروا ينادون بالوحدة الوطنية المنتمية، للوحدة العربية الإسلامية ذات أساس وجود الجزائر: "وفي هذا الإطار أخذ المجتمع بفضل حركيته الذاتية، يتكيف شيئا فشيئا مع موجات التغيير، في حين لم تجد إدارة الإحتلال ما تردّ به، على ظهور الجماهير الشعبية والإعلان عن مطامحها بوضوح، سوى الحفاظ بقوة على الوضع القائم ولو بحدّ السلاح...." (1)

والقانون الذي أقرّه الإستعمار خير دليل على ذلك، حيث تؤكد الوثائق المحفوظة بقرار الدولة الفرنسية الصادر عام 1936، والمسمى بقانون شونتون « Chantemps » والذي ينص صراحة، على أن اللغة العربية في الجزائر هي لغة أجنبية، ومن هنا نستطيع القول بأن قانون 5 مارس 1948 المذكور آنفا، والقاضي بدمج الشعبة A من الكولون، والشعبة B من الأعيان والأهالي، وشعبة الجزائريين المحرومين، يعدّان في محتوَاهما بمثابة التبشير بسياسة كولونيالية جديدة، فيما يتعلق بمستقبل المدارس الكولونيالية في سياسة التعليم الموجّه، والتي ستعرف فيما بعد بالسياسة التعليمية، المركزة أساسا بغرس الأفكار الإندماجية بين أبناء الأهالي، وهي الفكرة التي اتخذت قاعدة لانطلاقها، معاداة اللغة العربية وطرحها خارج صراع الفرنسيين، إذ أن الجزائريين يعتبرون حسب القوانين الإستعمارية فرنسيين، لا بدّ أن يفرض عليهم تعلم اللغة الأم، وفي هذه الحال اللغة الفرنسية تأتي في المقام الأول والأخير...." (2)

لقد كشف نهج فرنسا في الواقع، كما كشف الفشل الذريع للمطالب التي رفعتها الحركة الوطنية آنذاك، وذلك ما دفع بفئة من الحركة الوطنية، بضرورة التخلي عن المطالبة بالحقوق والامتيازات الفرنسية ذات التوجه الاستعلائي الفوقي: "وكانت الأفكار أول ما قامت

1- نفس المرجع، ص 44.
2- عبد الله حمادي، نفس المرجع، ص 23.

باستعارته خلال المرحلة التمهيدية من الكفاح التحرري (العصري)، وبهذه الكيفية انتقلت الوطنية، في صيغتها المتطورة، من الأمم الأوروبية إلى حركات التحرير عن طريق الإنتلجانسيا المناضلة، التي تلقت تكوينها بالمدرسة الغربية في معظم الأحيان، والتي قامت بتكييف هذا المفهوم مع أوضاع البلدان المكافحة في سبيل اعتاقها، وكان هذا المفهوم في الأصل يعني، "إثارة الشعور الوطني والتعلق العاطفي بالأمة" (1).

2. إشكالية اللغة العربية عبر برنامج الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين :

لقد ظهر جليا عبر إثارة مسألة وإشكالية اللغة العربية والدين الإسلامي، أصل الخصوصية والبقاء والتميز، معاناة المجتمع الجزائري من الاغتراب، الذي فرضته السياسة الفرنسية، وهذه الإشكالية نادت بها مختلف التشكيلات، المتصلة بالحركة الوطنية في الجزائر، من الأمير خالد إلى نجم شمال أفريقيا وجمعية العلماء المسلمين، أو الإتجاهات التي تناولناها سابقا، عليها سطرت قضية الاختلاف بين الثقافتين، وضرورة تعلم اللغة العربية والإعتراف بها ، كلغة رسمية مثلها مثل الفرنسية.

ونضيف أن الحركة الطلابية كانت جزءا، من هذا الصراع المحتدم باختلاف إتجاهاتها، والتي دعت إلى التكتل في إطار وحدوي، بتأسيس تنظيمات وجمعيات طلابية ذات شعور وطني قوي، تجلّت مظاهره في L'UGEMA ، الذي نادى في برامجه على محاور عديدة، وأهمها العمل على إعطاء اللغة العربية، مكانتها ووضعها في إطارها الطبيعي، وإعادة الإعتبار لها وتدريبها لكل الجزائريين، باعتبار اللغة مقوما أساسيا ومحركا للثقافة الجزائرية، التي حاول الإستعمار طمسها واضطهادها، وهذا المقوم كان جزءا من الأسباب الداعية، لتأسيس الإتحاد وجزءا من برامجه وشعاراته، فكيف تجلى خطاب اللغة العربية عبر برنامج الإتحاد، وعبر تصريحات الأعضاء الفاعلين فيه؟

بعد اندماج عدد معتبر من الطلبة، الذين كانوا رافضين لبعض مبادئ الإتحاد، خاصة إضافة كلمة "مسلمين" للإتحاد، في المؤتمر التأسيسي في باريس، من الثامن إلى الرابع عشر جويلية بقاعة التعاضدية Mutualité ، الذي حضره عدد من الإتحادات الطلابية، كان التعريف الأول بأهداف الإتحاد، أن الشباب الجزائري جزء من الشعب الجزائري،

1- نفس المرجع، ص ص 47-48. للمزيد، أنظر الملحق رقم : (10) .

وقضيته هي قضية الوطن أي كفاح ونضال المستعمر، كان من أولوياته الأولى، وأضيف إلى هذه الأهداف مطلب ومقوم آخر، سنحاول تفكيك نصوص المؤتمرات، التي عقدها الإتحاد لنعرف صداه على المستوى الوطني والدولي، وكذا رؤية المبحوثين لهذا المقوم بما أنهم كانوا، جزءا من الإتحاد كأعضاء ومؤسسين بقول الإبراهيمي: " اللغة عنصرا أساسيا في الهوية الوطنية، حاول المستعمر طمسه وبالتالي إستلابه من ثقافتنا، والتي لا زالت إلى يومنا تتعرض لهذا الإستلاب⁽¹⁾ ، بالتعامل مع اللغة الدخيلة على حساب " اللغة الأم "، وهي كذلك حسبه " عامل وحدة " الشعب الجزائري، هي لغة الوطن وهوية وجزء لا يتجزأ من التراث الوطني".

ويقول الأمين خان أن هذه اللغة كانت تتعرض، لطمس وإحلال لغة دخيلة مكانها بتهديم كل ما له علاقة بها، كتهديم المساجد وتحويلها إلى اسطبلات وثكنات، وهي مخططات واضحة، كان يعيها الأهالي لذلك، رفض العديد منهم إلحاق أبنائهم بهذه المخططات، حيث أكد طالب الإبراهيمي، رفض والده البشير الإبراهيمي، التحاقه بالمدرسة الفرنسية ذات التوجه الإغترابي، إلا أن ابن باديس أقنع الأب بضرورة، تعلم لغة العدو لإستعمالها كوسيلة كفاح ضده.

وهذا ما تم حسب تصريح المبحوث، وكان له دورا في تمكن المناضلين في الحركات الوطنية، والتنظيمات الطلابية باختلافها، من الوقوف وجها لوجه ضدّ المستعمر، ومناقشته وصدده كما حدث في اتفاقيات افيان مثلا، والمؤتمرات التي عقدها الإتحاد وغيرها.

ونضيف رأي بلعيد عبد السلام الذي يصب في نفس المنحى، برفض العائلات الجزائرية تعليم أبناءها تعليما فرنسيا كاملا، ولكن بقدر إدراكها لهذا الوضع فإنها كانت: " تترك أبناءها يتعلمون في المدارس الفرنسية، وكانت تحتاط لذلك قبل دخولهم، المدارس القرآنية والزوايا للحفاظ على اللغة الأم، وهو نوع أو ضرب من المناعة خاصة، باللجوء إلى الزوايا والكتاتيب..، وهو خلق لعلاقة تميز اجتماعي عن الآخر، بتعلم اللغة العربية حفاظا على الهوية الثقافية " .

1- عبد الكامل جوبية، "المشروع الثقافي الإستعماري وثورة نوفمبر في الجزائر". 2012/08/09. (www.hostbled.com)

فالهدف الإستعماري كما تبين كان يسعى، إلى خدمة مصالحه بتعليم الطلبة الثقافة واللغة والفرنسية، والمؤسسات التي أنشئها وجّهت للجالية الأوروبية (المستوطنون والمعمّرون بالأساس)، أما المنتسبون لها من العرب والبربر، سيصابون بتذبذب عقلي ومسح لهويتهم العربية الإسلامية.

وبالتالي سينفصلون عن ثقافتهم الأصلية، ومن هنا يظهر أن الوجود الإستعماري إرتكز على اللغة، من أجل قيادة واستعباد هذا الشعب نحو خدمته وولائه، وذلك بتكوين نخبة متميزة ناطقة بلغتها، ومقلدة لثقافتها ومذعنة لأيديولوجيتها، إلا أن هذا الوضع خلق مشكلة أو أزمة، بانفلات عدد منهم عن هذه الثقافة واللغة، ورفع مطلب تعلم اللغة العربية وإحيائها، وإعادة الإعتبار لها كمشكل وجب تداركه .

لأن اللغة اعتبرت من الأولويات المكوّنة للهوية والمحققة للمشروع الوطني، وقد ورد في خطاب أحمد طالب الإبراهيمي، في أول مؤتمر تأسيسي للإتحاد سنة 1955 بقوله : " أيها الطلاب المسلمون إننا نتألم من أعماق أرواحنا، ونحن نشاهد - اضطهاد الإستعمار - للغتنا، واعتبارها لغة أجنبية في بلادنا، وهي المحرك الأساسي لحضارتنا، ومن ثم لن يهدأ لنا بال إلا عندما، تسترجع مكانتها اللاتقة بها شرعا وقانونا... "(1)

وعلى هذا الأساس رفع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، مطلب ومقوم اللغة العربية في مختلف نداءاته، و خطاباته ومؤتمراته وكذا توصياته كما سنبينه لاحقا.

ورغم ذلك فإن طرحنا لسؤال اللغة العربية كجزء من المشروع والوطني، حسب فهم المبحوثين كشف قضية هامة، وهي أن اللغة العربية حملها الإتحاد كشعار اعتبر مقوما أساسيا، وجب الحفاظ على لغة تتعامل بها، الدول العربية ولغة الدين الإسلامي، ومقوم أساسي من مقومات الوحدة والتلاحم الوطني، لكن تجسيدها على أرض الواقع بالتداول أو بالتدريس والتعليم، لم يرق إلى مستوى تلك الشعارات والنداءات، التي حملها الإتحاد في مؤتمراته.

وفي استعراضنا لبعض الفقرات الواردة ، في (مدونات) المؤتمرات التي عقدها الإتحاد ، نكتشف هذا الشعار خاصة المؤتمر الرابع من 26 جويلية إلى 3 أوت 1960)، ومضمون الخطاب في الحقيقة ورد باللغة الفرنسية وبنادي بأن: "...الإستعمار كما تعلمون قد بذل

1- عمار هلال، نفس المرجع، ص 26. للمزيد أنظر الملحق رقم : (11) .

دائماً كل جهوده للقضاء على ثقافتنا، قصد إحلال الثقافة واللغة الفرنسية محلها، من الناحية النظرية على الأقل، والحقيقة أن الإستعمار منعنا، من تعلم لغتنا دون أن يعلمنا لغته، وهكذا انتشر الجهل والأمية على مستوى واسع، وبنى عليهما فكرة التفوق العنصري، وعدم استعداد الأهالي للتعلم والرقي، وقد كافحت أجيال من الطلبة هذه الفكرة الإستعمارية العنصرية البشعة⁽¹⁾، وهذه الفكرة أكدها أغلب المبحوثين، من حيث أنها أفكار كما يقول " رضا مالك " تحملها الجامعة بأديولوجية فرنسية، أهدافها التمييز بين الطلبة الجزائريين والغير جزائريين، وهي وضعية بدت واضحة آنذاك، لذلك رفض الطلبة سياسة الإندماج، لأنهم كانوا من الأهالي وليس لهم الحق ، حتى وإن تعلموا لغتهم فهم مسخرين لوظائف تخدم فرنسا"، لذلك حسب عبد القادر نور" فإن الإعلان عن المواقف وسط العدو هو تحدي، خاصة للطلبة المشبعين بالثقافة الغربية..".؛ كلام عبّرت عنه عبر أمواج صوت العرب بركن المغرب العربي"، ويضيف مسعود آيت شعلال أن الوضع عرف نوع من الرفض والتصدي، من قبل المستعمر لأن اللغة اعتبرت مصدر قوة، ووجودها يعني وجود المجتمع، وبالتالي كسر فكرة (الجزائر أمّة في طور التكوين)، ورغم أنه كان هناك معرّبين ومفرنسين، فإن " المشكل اللغوي لم يقف عائقاً في النضال والجهاد وطرح المطالب...، كلهم طرحوا المقوم الخاص، باللغة العربية في إطار الإتحاد...".

ونلاحظ عبر قراءتنا للمقابلات، أن الطرح العام للمبحوثين هو أن اللغة العربية:

- هي الأصالة وهي الهوية الفردية والجماعية للجزائريين، هي أساس الوحدة الوطنية.
- هي جهاز مرتبط بمفاهيم الحياة والمشاعر والأذواق والوعي، واللغة الأجنبية ما هي إلا وسيلة عمل... .
- الطلبة مرتبطون بالشخصية الوطنية عبر مقوم اللغة ثم الدين، أساس المناعة والبقاء ولبنة الوحدة الوطنية.
- في تبلور الحركة الوطنية منذ النشأة، نصادف ثلوث الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.

1 - IV- Congrès national de l'UGEMA, 26 Juillet-1 Aout 1960, Tunis, Tunisie, Publié par l'UGEMA.

* أنظر الملاحق رقم (8)، و رقم (9)، و رقم (10)، و رقم (11) .

- الجزائر لم تكن فرنسية، و ليست فرنسية ولن تكون فرنسية، وإن تشبّع أفرادها بالثقافة الفرنسية.
- ضرورة تعلم اللغة العربية وترقيتها، لأنها مقوم من مقومات الشخصية الوطنية، في بعدها الإسلامي كلغة للقرآن.
- نداؤهم للحفاظ على العربية، هو مبدأ من مبادئ الحفاظ على الأصالة .
- ونضيف نقطة اعتراض أشار إليها، رضا مالك من أن هذا الطرح بالذات، لاقى معارضة من المفرنسين وكذا الحركة البربرية، التي رأت في الأمر مبالغة في الدفاع عن العربية، ولم نجد لهذه القضية طرحا في مجالات أخرى.
- منع الجزائريون من تعلم العربية وتعليمها، هو تأكيد الأيديولوجية التي حملها البحاثة الفرنسيين، والذين أشاروا إلى أن الحفاظ على الثقافة، يتمظهر من زاوية اللباس واللغة المنطوقة، وهذا ما اعتمده الشعب الجزائري، الذي يحمل جوهر عربي في بعده الأمازيغي.
- المحاولات التي قام بها المستعمر، في تأكيد أن المكون الجزائري مزيج من فرنسي وجزائري، أو مزيج من لغات ولهجات هجينة، غير واضحة المعالم غير صحيح، حيث لم تكن الجزائر فرنسية، وصدقت هذه النظرية عبر النضال والنداءات أو التوصيات، التي جاءت في المؤتمرات والمحافل المنادية باستقلال الجزائر.
- ومنها مثلا: يشار بشكل عام للغة العربية، كمقوم يرتبط بالتراث القومي والشخصية العربية، والحديث يرتكز في المؤتمرات والنداءات، على مجال المشاكل التي يعانيها الإتحاد، مثل مشكلة توجيه الطلبة وتخصصهم الدراسي.
- الإشارة إلى ما قام به الاستعمار من جهود للقضاء على الثقافة القومية، قصد إحلال الثقافة واللغة الفرنسية محلها، من الناحية النظرية على الأقل، والحقيقة أن المستعمر عمد لسياسة التجهيل ليبرز فكرة تفوقه العنصري، وهذه الفكرة ناهضها الطلبة والإتحاد معا.
- تؤكد المؤتمرات تعلق الإتحاد بالثقافة العربية الإسلامية، وبوحدة الثقافة العربية الإسلامية والعالم العربي، ولا مجال لمحاربة اللغة العربية، والتي وجدت معارضة من أطراف عديدة، لكن الإتحاد تمسك بهذا المطلب والمفهوم، وأدرجه في لائحة المطالب

الأساسية التي لا يمكن إسقاطها من اللوائح، لأنها تسهم في فهم الشعب، وإيصال معاناته بلسانه ولسان غيره.

وهذا لا يعني نفي تعلّم اللغات الأخرى ومنها الفرنسية، لأن في تعلّمها قوة ومواجهة للعدو وبلغته.

وتبين من خلال العرض التاريخي للحقائق، وكذا علاقة الإتحاد بالثورة، أن الثورة ربطت المثقف الجزائري بروح الأمة، حيث أن النخبة مهما كان توجهها، لم تنفصل عن قضايا الوطن والشعب، الراض لسياسة فرنسا التجنيسية والإدماجية، التي حاول عبرها طمس معالم الثقافة العربية الإسلامية، وتحديدًا من خلال رافدين أساسيين اللغة والدين، ويتبين كما يذكر الدكتور محمد العربي ولد خليفة أنه: "...لا يمكن بناء مجتمع أنكرت (فرنسا) هويته لمدة قرن وثلاث، بدون استعادة حصنه وهو العربية المقترنة بالإسلام"⁽¹⁾.

والنتيجة الهامة التي يمكن التوقف عندها، هو أن تصريحات المبحوثين ومقارنتها بما ورد على لائحة المؤتمرات، أنها لم تركز على اللغة العربية بالشكل، الذي تم التركيز فيه على النضال السياسي وتجسيده على أرض الواقع، إلى جانب جبهة التحرير الوطني.

وقد كانت الشعارات والنداءات، تطالب بضرورة إدراج اللغة العربية ضمن، قضايا الشخصية الوطنية الغير مطبقة على الواقع، ولم تتبين الطريقة التي تبرز فيها هذا المقوم، وذلك أن القضية الجزائرية مرّت بوتيرة سريعة، من التطورات على الساحة السياسة والعسكرية، وهذا ما لم يتحقق بالفعل بعد الإستقلال.

حيث أن اللغة العربية لم تلق مكانتها، نتيجة الصراعات الدائرة بين من يحملون الثقافة العربية (المعربون)، ومن يحملون الثقافة الفرنسية (المفرنسون) أو الفرنكفونيون.

فالعديد من القطاعات احتلها الفرنكولائيكو- شيوعيين، ويعود الأمر لكون أن الإدارة كانت كلها مفرنسة، ولم يفكر أو يتم التحضير لإحلال اللغة العربية مكانها، وبالتالي فإن النداءات التي رفعت كانت عبارة عن شعارات، حاولت جزائر الإستقلال إستدراكها بعد عقد من الزمن، بسياسة الجزارة والتعريب التي شملت العديد من القطاعات، خاصة التعليم

1- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية، قضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص65.

والإدارة، حيث أن التعريب مثل " أحد الأهداف السامية، للمجتمع الجزائري طيلة عهد الإحتلال...". (1) .

المبحث الثالث: عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة

تطرح الفرضية الثالثة القضية التالية: " الدين الإسلامي يعتبر مقوما أساسيا لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كحركة طلابية ".

1. الأيديولوجية الإستعمارية في محاربة الهوية الإسلامية في الجزائر :

لاشك أن الدين الإسلامي هو من أهم ما يميز مجتمعا عن آخر، وهو أيضا من العناصر التي تحرك، شعور الإنسان كلها، وهو من الديانات التي تحدد بشكل واضح مواقف أتباعها، هي المسائل الدينية والديوية ومنها السياسية بالطبع⁽²⁾. وعلى هذا الأساس فإن معرفة كيف حدّد الإسلام - دين الجزائريين - ، موقفهم من الإحتلال الفرنسي لبلادهم، منذ 1830 وإلى غاية اندلاع الثورة أمر في غاية الأهمية، وذلك حين نعطي صورة صحيحة على الحركة الوطنية.

1-1، الإسلام كعقيدة ترفض الخضوع للمستعمر:

إن العقيدة الإسلامية لا تنحصر فقط في الإيمان بالله والرسل والكتب واليوم الآخر، بل تشمل أيضا الإيمان بوجوب الإحتكام إلى شرع الله، وإقامة هذه الأحكام وتطبيقها بين المسلمين، من قبل جماعة المسلمين أنفسهم، وهذا ما يعبر عنه عادة بأن الإسلام هو عقيدة

1- أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة، الجزائر، ط2، 1998، ص70. للمزيد أنظر الملحق رقم (8) .

2- وقد كان الفرنسيون مديكين لذلك أنظر: Duvaux (Capitaine), La mentalité indigène en Algérie, Bulletin de la société géographique de province d'Oran, 1903, p.174.

ودولة، ولتوضيح رفض العقيدة الإسلامية، خضوع معتققيها خضوعاً مادياً أو معنوياً، لأي ديانة أو مجتمع أو دولة غير إسلامية⁽¹⁾؛ علينا أن نبين مظاهر هذا الرفض في النقاط التالية :

أ- الإسلام دين مهيمن على الديانات الأخرى:

إن من أهم المبادئ العقائدية للإسلام، أنه هو الدين السماوي الوحيد الذي يبقى بعيداً عن التحريف، عكس اليهودية والمسيحية، ولذلك فإن كل المسلمين ومنهم الجزائريين بالطبع، كانوا يعتقدون ويؤمنون بهذا المبدأ، فالإسلام هو دين الله الوحيد المقبول. أما الديانات الأخرى السماوية وغير السماوية، فهي غير مقبولة ومزيفة وتحط من قيمة الإنسان.

وإن الجزائريين الذي كانوا شغوفين بقراءة القرآن، لاشك أنهم ترسخ لديهم، أن الديانة المسيحية- ديانة المستعمر الغازي - هي ديانة محرّفة، ولذلك فهي غير صحيحة، وإذا كان أصلها إلهي، فإن فيها كثير من الآراء البشرية المجانبة للحق، وحتى إذا سلّمنا جدلاً أن هناك مذاهب مسيحية، لم يصبها تحريف كبير، فإن مجيء الإسلام قد مسح المسيحية واليهودية، وبقي الإسلام هو دين الله الوحيد.

إن هذا الاعتقاد كان يعطي للمسلمين ومنهم الجزائريين اعتزازاً بأنفسهم وبيدائنتهم، وجعلهم يأنفون من الخضوع للكفار، الذين هم أدنى منهم درجة وأحط قيمة، وهذا الشعور الذي حال بين كثير من الجزائريين والتجنيس، فضلاً عن التنصير لأن التجنيس يشترط فيه، التخلي عن أحكام الشريعة في الأحوال الشخصية، وقد فسره كثير من الجزائريين، على أنه تخلي عن الإسلام والخروج منه.⁽¹⁾

وكثيراً ما اشتكى رجال الإرساليات التبشيرية، في الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية، من اعتزاز المسلمين بدينهم، ورفضهم التخلي عن الإسلام والانتماء إلى دين، السلطة القائمة المسيحية في البلاد الخاضعة للإستعمار الأوروبي، رغم الضغوطات

1- يتجاوز عدد المتجنسين بالجنسية الفرنسية من الأهالي 131 أهلياً طلبة الفترة الممتدة من سنين 1865-1899. للتعلم أكثر انظر:

-Ali Merad, **Le reformisme musulman en Algérie**, ed. El Hikma, Alger, 1999, pp. 345-360.

والإغراءات، ولهذا فكّر الكثير منهم في طريقة ذكية لإخراج المسلمين من دينهم، أو على الأقل إضعاف علاقتهم والتزاماتهم، دون المخاطرة بدعوتهم إلى اعتناق المسيحية⁽¹⁾.

ولتحطيم هذا المبدأ فإن الإستعمار الفرنسي، عمل بكل وسائله وإمكانياته البشرية والعلمية والقانونية، لإضعاف هذا الإعتزاز، وغرس الإنبهار أو الخوف من الحضارة الغربية، وكان ذلك عن طريق التعليم العلماني للمدرسة الفرنسية، وعن طريق تدجين الزعامات الدينية والسياسية للأهالي، وهم الذين أصبحوا يبشرون بفضائل الحضارة الأوروبية .

وإذا كان المسلمون يرون أن الإسلام أفضل من المسيحية، ويرون أن مكانة الإنسان في الإسلام وقيمه كإنسان، واحترام عقله وحرية هي أرفع بكثير من المكانة، التي تعطىها المسيحية للإنسان ويظهر ذلك في الجزء الأخروي⁽²⁾، وإذا كان عامة المسلمين وخاصة في شمال إفريقيا، يعتبرون المسيحيين مشركين ويصفونهم دائماً بالكفر⁽³⁾ بسبب اعتناقهم للمسيحية، مما يؤكد استعلاء الإسلام عندهم على المسيحية المحرّفة، إذا كان هذا واضحاً، فإن موقف المسلمين من المذاهب المناهضة للمسيحية في أوروبا، لا يختلف كثيراً عن ذلك، ولكن يشوبه نوع من الغموض.

فإذا كانوا لا يعترفون بدين سماوي محرّف، ويعتزون بدينهم، فمن باب أولى أن لا يعترفوا بمن لا دين لهم، أو الذين ينتقصون الدين، وقد وقف المسلمون ضد الإلحاد والعلمانية اللاتكفية، التي تبعد الدين عن الحياة العامة للناس.

وعلى العموم، فإن المسلمين الجزائريين سواء المتخرجين، من المدارس الفرنسية وثكناتها وإداراتها، أو باقي الجزائريين، كانوا في معظمهم يفضلون الإنتماء إلى الإسلام ولو شكلياً، عن الإنتماء إلى المذاهب الأخرى، وهذا يؤكد أنهم ظلوا ينظرون إلى الفرنسيين الغازين، أنهم مجتمعاً آخر له دينه ومصالحه، وهو يختلف عن دينهم ومصالحهم.

إذا كان هذا الغازي قد تحكّم فيهم وفي بلادهم، بقوته المادية فهذا لا يعني عندهم أن دينه ومبادئه هي أحسن من الإسلام، وقد عصمهم هذا من الخنوع النفسي للأجنبي، والإنبهار لمبادئه والإعتراف به والاندماج فيه، بل على العكس من ذلك تماماً، فإن هذه المفارقة العجيبة، معتنقي الدين الصحيح ضعفاء وفي قبضة الكفار، وتحت سلطة معتنقي

1- Duvaux, *ibid*, pp. 184-210.

2 - *ibid*, p. 184.

3 - *ibid*, p. 180.

المذاهب والديانات الباطلة، مع أن العكس هو الذي يجب أن يكون، وأنه قد كان فعلا عبر تاريخ المسلمين محققا، وقد دفعتهم إلى القول بأن الخلل في مدى التزامهم بالدين الصحيح، وليس في الدين نفسه، وكان ذلك بداية لظهور الإصلاح في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد شجعهم ذلك أكثر لمواجهة الغازي المستعمر، مواجهة ثقافة علمية سياسية واجتماعية، والتي دأبت على مسخ حقائق الإسلام، حتى لا يقوى على مواجهة الأفكار التي يبثها الإستعمار.

نستنتج أن العقيدة الإسلامية هي العنصر الأساسي، الذي حافظ على اتساع وعمق الهوية، التي تفصل بين الأهالي المسلمين عند الأوروبيين، المقيمين بالجزائر أي عند الفرنسيين وحكومتهم وإدارتهم.

الإسلام أيضا دين الجهاد ضد المعتدي على بلاده، فإذا كان الإسلام قد شرع الجهاد لنشر الإسلام، وتحقيق مبدأ عالميته وهيمنته على الديانات الأخرى، وذلك بإزاحة سلطة تحول دون نشر رسالة الإسلام، وتمنع الناس من الإحتكام إلى القرآن، وليس بإرغام الناس وخاصة أهل الديانات السماوية، على التخلي عن دينهم واعتناق الإسلام، أو ليسترجع أرضا إسلامية خضعت لقوة غير إسلامية، ولما كان المعتدي الفرنسي صليبييا مسيحيا، فإن حكم مواجهته ليس جديدا على المسلمين، ولا على الجزائريين بالخصوص، فالمسلمون مارسوا الجهاد لنشر الإسلام، ضد دول معظمها كانت مسيحية، سواء في المشرق أو في المغرب وأوروبا نفسها، كما مارسوا الجهاد للدفاع عن الإسلام وحمائته من القوة الصليبية، ضد حملات الإسبان والفرنسيين على شمال أفريقيا، خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، فهناك سوابق تاريخية تجسد فيها الجهاد، ضد آباء هذا المعتدي وهذا كله يزيد من شرعية المبدأ، فمن واجبهم الديني طرد الفرنسيين، فمنهم من سارع بكل الوسائل المتاحة له سلميا أو عسكريا، ومنهم من تقاعس عن ذلك وفضل مصلحته وسلامته، على متاعب وتبعات القيام بذلك الواجب الثقيل على النفوس الضعيفة.

وإذا كانت السلطات الإستعمارية الفرنسية، قد تمكنت من القضاء على الثورات التي قام بها الجزائريون، فهل تمكنت من نزع فكرة "الجهاد" "الثورة" من رؤوسهم؟ إن سلسلة الثورات والتمردات، التي تحدث هنا وهناك، عبر التراب الجزائري، في وقت كان الإستعمار

يظن أن مستعمرته أصبحت هادئة تماما، تؤكد أنها لم تفلح، رغم الجهود التي بذلت في هذا الجانب، ففكرة الجهاد لاخراج الفرنسيين الكفار من الجزائر، لم تبرح أذهان الجزائريين حتى في أحلك الظروف.⁽¹⁾

في الوقت الذي انتشرت فيه الدعوة إلى الإدماج، والقبول النهائي بالإستعمار الفرنسي، فالجزائريون كانوا مستعدين في أية لحظة للجهاد، إذا وجدوا من يدعوهم إلى ذلك، ووجدوا لديه الوسائل التي يمكن أن تحقق رغبتهم هذه، ولكن القيادات الأهلية الفاعلة استطاعت فرنسا تجنبها ذلك، فمنهم من لا يفكر إلا في مصلحته، واهتمام البعض منهم انصبّ على تحسين ظروفهم المادية المعيشية، بالإندماج في المجتمع الفرنسي ضمن السيادة الفرنسية، ولا أحد منهم فكّر في الثورة وإخراج فرنسا من الجزائر⁽²⁾.

فهذه الفكرة ستظهر لدى القيادات من جديد، مع ظهور حزب نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، الذي بني نضاله على أسس جديدة، ولم تعد فكرة الجهاد بمفهومه السابق، مطروحة بشكل واضح عنده.

فلا شك أن معظمهم وحتى بعض المستفيدين ماديا، أي الجزائريين من الإستعمار أو المتعاونين معه، كانوا ينظرون إلى الإستعمار على أنه منكر، وعليه أن يتعاملوا معه على هذا الأساس، أي أن يغيّروه بالقوة والثورة، ولكنهم لا يستطيعون ذلك، وقد دلّت تجارب عديدة في القرن التاسع عشر على ذلك، فعليهم أن يغيروه بأسلنتهم ودعايتهم، وحتى هذه لا يقبل الإستعمار بها، وهو يتحكم في أمورهم بقانون "الأندجينا"، وغيره من القوانين الردعية المسلطة على رقابهم، ومع ذلك فإنه في مجالسهم الخاصة، التي يأمنون فيها من الرقباء يمارسون هذه المقاومة، فهي المقاومة بالقلب، أي عدم الرضا بالإستعمار والخضوع نفسيا وفكريا له، والانعزال قدر المستطاع عنه، وهذا ما كان معظم الجزائريين يمارسونه على نطاق واسع⁽³⁾.

1 - Duvaux, **ibid**, ppp169, 176, 200 et Ali Merad, **ibid**, p 62.

2- ولقد أفلحت السياسة الفرنسية في اضعافهم ماليا واجتماعيا ، وأبعدت ودجنت القيادات العلمية والدينية والقبلية، أو على الأقل قللت من نفوذهم ورفعت الموالين لها، كالتجانين وبنو علي الشريف ، وهكذا لم يبق من يمكن تجنيدهم للجهاد وأصبحوا كالعاجزين. أنظر : **Duvaux, Op Cit**, P 177

3 - André (Jean Pierre), **Le réveil du nationalismes musulman**, Edition Berger Levrault, Paris 1958, p. 321.

فرغم أن التجنس بالجنسية الفرنسية يكسب الأهلي الجزائري (المسلم)، حظوظا كبيرة ومكاسب مادية معتبرة، ولكنها أقل من حظوظ الأوروبيين على أية حال، فإن ذلك لم يكن قادرا على اقناع الجزائريين، بفكرة التجنس هذه والإندماج في المجتمع الغازي، لأنه لا يريد أن ينفصل عن مجتمعه، ويرضى بالانضمام إلى مجتمع غير مجتمعه، وإن العدد القليل من المتجنسين الأهالي، دليل على النفور النفسي من الإندماج في المجتمع الفرنسي الكافر، وقد زاد شرط التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، للحصول على صفة المواطن الفرنسي أي التجنس بالجنسية الفرنسية، زادت الجزائريين نفورا من الإندماج في المجتمع الفرنسي.

يمكن أن نستنتج بأن الإسلام كعقيدة متحكمة في الجزائريين، هي الحصن الذي حماهم من الانهزام النفسي الفكري، والذوبان في المجتمع الأوروبي الغازي، بعد أن انهزموا عسكريا وسياسيا أمامه، وأن هذه العقيدة هي التي دفعت بهم إلى المقاومة المسلّحة، وإلى المقاومة السلمية حسب الظروف.

ومهما يكن من الأمر، فإن المسلمين الجزائريين ظلوا يشعرون، بأنهم مجتمع يختلف عن المجتمع الفرنسي، وأنهم ليسوا أفراد داخل دولتهم ولا يشعرون بأنهم مواطنين ولا حتى أنصاف مواطنين، بل غرباء على الدولة التي تحكمهم، أو بالأصح أن الدولة هي الغريبة عنهم وهي الدخيلة، إن هذا الشعور هو الذي ساعد على ظهور، المقاومة الثقافية والاجتماعية مع بداية القرن العشرين، وبظهور المصلحين وظهور النشاط السياسي من جديد، وتدرّجه من المطالبة بالحقوق، والمساواة بين الأهالي والكولون، إلى المطالبة باستقلال وخروج الإستعمار الفرنسي من الجزائر، بقوانينه، وثقافته، ودينه، وهيمنته العنصرية للكولون الأوروبيين.

تتقاطع من الدراسات الفرنسية المعاصرة، في إضفاء أهمية كبيرة على الدور الذي لعبه الإسلام، في التأثير على توجهات الحركة الوطنية، ويمكننا اليوم حشد الكثير من القراءات الفرنسية لذلك الدور، تختلف كثيرا عن مثيلتها التي كتبت قبل عقد الثمانينات، وبصورة جذرية مع تلك التي كتبت في القرن التاسع عشر، وفي نصف الأول من القرن المنصرم.

ومن النماذج الجيدة في هذا السياق، ما كتبه المؤرخة الاجتماعية الفرنسية فاني كولونا " Fanny Colonna "، حول التأثير السياسي لظاهرة النهضة في الجزائر، في العقود الأولى من القرن المنصرم، فقد اعتبرت: "أن حركة النهضة مضمونها من الفكر الديني الإسلامي، تحولت إلى فكر ذي نزعة جدلية مع الغرب، وإلى تيار يسعى لتتقية وتطهير العقيدة، ثم انطلق الإصلاح الذي أصبح، تعبيرا جزائريا للنهضة في حركة كبرى، من أجل بعث اللغة العربية وبناء مدرسة تاريخية وطنية، وفي تنظيم حركية دعوة نشيطة في المناطق البربرية.

ولاحظت " كولونا " أيضا أن حركة الإصلاح في الجزائر: ". كانت أكثر يعقوبية منها في تونس والمغرب، لأنها تحولت إلى المصدر الأول للمفاهيم والأفكار الوطنية ". وفي سياق نفس المقالة انتهت الباحثة إلى نتيجة صريحة، لا تمتلك الأقاليم الجزائرية الجرأة على الجهر بها، حيث اعتبرت أن رجال سنة 1954 كانوا في الواقع نتاجا لمدارسهم، وكانوا يتوجهون إلى مجتمع متأثر بشكل عميق، في الفترة 1931-1954 بالتصور العربي الإسلامي..، ثم ختمت مقالها بتقرير حول دور الإسلام، في التأثير على التيار الثوري في الجزائر، الذي لا يقل أهمية في دلالاته كما سبقت الإشارة إليه، ففي الحالة الجزائرية: " كان الدين يمثل نموذجا، لأن التوحيد الديني كان يعطي الثورة صورتها المتجانسة، ولأنه كان يقوم دائما على الفصل، بين مرحلة ما قبل وما بعد، وهو ما كان يتلاءم بشكل عميق مع الفعل الثوري ".

وتوصّل جون لوكا " Jean Luca " إلى النتيجة ذاتها، في مقالة له حول انفصام الشخصية الثقافية في الجزائر المستعمرة، فكتب يقول: "إن الإسلام الذي شكّل من قبل، تاريخ المجموعة الجزائرية كلّها، أصبح فيما بعد خلال الفترة الفرنسية البديل المقترح للشرعية السياسية، الحديثة باعتباره رمزا للوحدة والإنسجام الوطني".

وذهب بنيامين سطورا إلى طرح مسائل، في إبراز وتأثير الأفكار الإسلامية، في الكثير من المبادئ السياسية، للتيار الاستقلالي الذي تبوّأ قيادة الثورة: "...لأن مطلب التمايز عن الآخر والانتماء، إلى ثقافة وريثة لماضي طويل ومجيد، أعطى الحركة الإستقلالية إلهاما تاريخيا لإضفاء الشرعية على مطالبها، وهنا ظهر البعد العربي الإسلامي بمثابة عودة

إلى الأصول، خاصة في ظل التصورات الموحدة التي لا تسمح بالتباين والتفكك، وإنما تدعو إلى التوحيد والترابط".⁽¹⁾

لا طالما اعتبر الدين أساس وجود الأمم واستمرارها، وأساس كينونتها وتميزها عن الآخر ورمز تاريخيتها، يحمل العديد من المدلولات التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية، كما هو الحال في التاريخ العربي الإسلامي.

إلا أن الوضع في هذه المجتمعات (العربية الإسلامية)، عرف انحدارا بعد تكالب الإستعمار عليه، كما حدث في الجزائر التي عمّر فيها الإستعمار الفرنسي، ما يربوا عن المائة واثنان وثلاثون سنة.

عمل خلالها على طمس معالم هذا المكوّن، الضارب في عمق المجتمع الجزائري، ولم يفته القضاء على كل المؤسسات والمظاهر التي تمثّله، ومحاولة إحياء المظاهر السلبية المتعلقة، بالخرافات والشعوذة والجهل بين أفرادها.

ولكن الحركة الوطنية واجهت هذه السياسة، عبر إحيائها لبعض المظاهر المتعلقة بالشخصية الوطنية، حيث ظهرت على الساحة الجزائرية ثلاث قوى أساسية حاملة، لواء الهوية الوطنية والعربية الإسلامية للشعب الجزائري، في مواجهة الإستعمار، مثل ما قامت به جمعية العلماء المسلمين بقيادة ابن باديس، فضلا عن حزب نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج وجمعية العلماء المسلمين، بقيادة ابن باديس وغيرها من الحركات، بمحاولة القضاء على ما يبنيّه الإستعمار من سموم مشوّهة للإسلام، ذلك الإستعمار الذي إتبع سياسة التبشير والتنصير، في العديد من المناطق، لتجريد الشعب الجزائري من تراثه الإسلامي وهويته الإسلامية، نحو حظيرة التنصير والمسيحية والتي لم تتحقق، لأن الصراع كان قائما بين عالمين متميزين، عالم مسيحي وآخر إسلامي، رغم أن الإسلام دين يحتوي الآخر ولا يرفضه، ولكن الأيديولوجية الفرنسية هي من خلقت وزرعت العداء، باحتلالها هذا البلد وطمس معالمه الثقافية.

وتبرز الحقائق التاريخية وحتى شهادات المبحوثين، أن الطلبة المسلمين مثلا كانوا يلاقون صعوبة كبيرة في الإتصال بالطلبة المسيحيين، حيث يؤكد أحمد طالب الإبراهيمي

1- مجموعة أساتذة ، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007 ، ص ص 377-378.

هذه النظرة " .. المسيحيون كانوا يفضلون التعامل مع الطالب الجزائري الغير متدين، أو الملحد والبعيد عن الممارسة الدينية، وهذا دليل على أن هؤلاء الطلبة يريدون التأثير، على بعض الطلبة للتخلي عن الدين الإسلامي....".

والأمر يرجع بالطبع لسياسة التمييز العنصري، المتبعة مع الطلبة في تلك الفترة، كما ذكر سابقا، ويؤكد مسعود آيت شعلال في إجابته، عن هذا الصراع القائم بين الإسلام والمسيحية الفرنسية بقوله: " أن العقيدة الإسلامية الجوهرية، تختلف تماما عن عناصر ومكونات الدين المسيحي، التعايش والتبادل الحضاري والثقافي ممكن أن يحدث، لكن من المستحيل أن تتصهرا معا وتندمجان في بعضهما، فليس هناك ولا قاسم مشترك بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية..، وذلك لاختلاف المبادئ و المقومات، فالمقوم الديني حسب عبد القادر نور: " .. هو الإسلام وهو عقيدة حافظ عليها وآمن بها الشعب الجزائري، عبر ما كان موجودا من مؤسسات دينية كما يشير إلى ذلك المبحوثين، فمثلا زهير إحدادن يبين أن " نظام الزوايا ساهم في حفظ هذه الثقافة والدين، وهذا ما حدث مع الطلبة الذين درسوا في المدارس الفرنسية، حيث أنهم تلقوا تكوينا دينيا سابقا، وإن كان بعضهم لائيكيا وشيوعيا، إلا أنهم تأثروا بقضايا الأمة ومطالبها، المتعلقة بالتراث الإسلامي.

وتأثروا بالتنشئة الإجتماعية التي تلقوها في إطار مجتمعهم وأسرهم، خاصة التعليم القرآني والنشأة الأسرية المحافظة، والتعلق بالعادات والتقاليد والأعراف الإجتماعية. إن السياسة الإستعمارية المتبعة طيلة سنوات طوال، لم تفلح في إذابة الثقافة الإسلامية وفي ذلك يقول الأمين خان: " أن الدين الاسلامي شكّل وجداننا ونحن أطفالا، وتنشئتنا الإجتماعية كانت مبنية، على أسس وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة؛ حتى المصطلحات التي استعملت في الثورة كانت توحى بذلك، فكانت محاربة المستعمر تسمى جهادا، والموت يعتبر استشهادا وكلمة السر بين المجاهدين هي الله أكبر، ومناداة بعضنا والتكلم مع بعضنا نقول يا الخاوة"، ويبدو أن للدين عدد من القيم قد وظفوها في الجهاد، ولمّ شمل الجزائريين الذين كانوا يتحققون بالجمال، ولسان حالهم يردد قوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا

آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (170) (1).

وبتبعنا للسيرة الذاتية للمبجوثين، نكتشف أن أغلبيتهم كان ينتمي لعائلات لا بأس بها، من أعيان وآغاوات ومشتغلين بالإدارة الفرنسية، ولكن رغم ذلك كانوا متأثرين بالجو العائلي غير منسلخين عنه، فعائلاتهم مسلمة والتنشئة الأسرية لديها تأثير على الأفراد، في تشكل ذهنياتهم المتشعبة بالتعاليم الدينية الإسلامية، حتى وإن كان بعضهم متكونا تكويننا لائيكيا واندماجيا، يدعوا لدمج الجزائريين في البوتقة الفرنسية.

كما يطرح رضا مالك وبلعيد عبد السلام في كل مرة، المواجهة الأساسية التي كانت مع الشيوعيين الحاملين، لفكرة الجزائر أمة في طور التكوين، والذين روجوا لهذه النظرية بشكل كبير، وتبناها الطلبة الذين رعاهم هذا التوجه، ومن ذلك المنظور بحث الإتحاد عن التميز وروح المواجهة بالإسلام، لأنه سيضم كل الطلبة الجزائريين في إطار، أمة جزائرية واحدة دينها الإسلام، وهم بذلك سيضربون بيد من حديد الأيديولوجية الإستعمارية، التي حاولت طمس الروح الثقافية، ومختلف المقومات التي يتميز بها الجزائريون، ويتمسكون بها بشكل أدهش الإستعمار ذاته، وهو الذي لم يفلح طيلة عقود من الزمن من تنصير الجزائر، لكن إحساس الجزائريين بمشكل الهوية كان قائما، خاصة الفئة المثقفة التي عانت الأمرين.

ويؤكد بلعيد عبد السلام مرة أخرى في مؤلفه حول L'UGEMA ، أن الطلبة الجزائريين آنذاك: "كانوا مدعويين من الوهلة الأولى ، لأن يتركوا أنفسهم يندمجون في الثقافة التي جلبها المحتل، والتي لا تربطهم بها أي من عناصر حياتهم، ومن هذا الوضع الخاص بنمط الإحتلال المطبق في الجزائر، نشأت لدى الطلبة الجزائريين مشكلة هوية وطنية، ما تزال للأسف باقية إلى اليوم بعض آثارها في جزائرننا، التي استعادت سيادتها واستقلالها...". (2)

إن البحث عن الهوية كما يظهر هو بحث عن تعريف، وتمييز بين دخيل متنصر ومقيم لديه قومية، لها علاقة بالأرض والمكان حسب الأمين خان، لأن الجزائريين عدّوا دائما

1- سورة آل عمران ، الآية 169 و170.

2- بلعيد عبد السلام ، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، منشورات ANEP، 2011، ص 14.

في نظر فرنسا، فالأهالي ليس لهم الحق في الحياة، ولو استطاعت فرنسا إبادتهم عن آخرهم لفعلت، وجرائمها الإستعمارية شاهدة على ذلك.

لقد اعتبر الجزائريون تحت قيمة البشر، حسب المنطق الإستعماري المسيحي الإستعلائي، يقول الأمين خان: "...كنا نعي أن هذه الديانة محرفة وفرضوا علينا قانون الأهالي، نحن مسلمون اعتبرنا الإسلام بالنسبة لنا جنسية، وليس فقط ممارسة...، إذن ومن هذا المنطلق، بحثنا عما يميزنا طبعاً الحل في الإسلام كدين يجمع أمة واحدة، هي الجزائر..."، وتقريباً كل المبحوثين يؤكدون هذه الفكرة، المتعلقة بالمكون الإسلامي في الجزائر وهو:

- الإسلام ميزتنا، ذاتنا، نحن الجزائريون، هو جنسيتنا وهويتنا، وليست القوانين الفرنسية المسيحية.

- الجزائر ترتبط على صعيد الهوية الثقافية والحضارية بالعالم الإسلامي، بالإضافة إلى العنصر البربري أو الأمازيغي، بوصفه فاعلاً ومنشئاً وحاملاً، للواء الحضارة العربية الإسلامية...، تسميتهم نابعة من المدلول الإسلامي الحضاري للجزائريين (الإسلام)، وهو الوعاء الحافظ للشخصية الوطنية.

- الإسلام يعني إثبات الهوية والانتماء الوطني، والثوري ضد الإستعمار الصليبي، الذي حاول القضاء على كل المقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، التي لا فرق بينهما فالإسلام دين الشعب ونمط عيشه...، والدليل انصهار الأمازيغية في إطار الشخصية الإسلامية.

ويلاحظ هنا أن أغلب الأعضاء الفاعلين وحتى المطالب الواردة، التي لم تمحها المؤامرات والمخططات الإستعمارية، ومن هذه الزاوية مثل الإسلام بالنسبة للطلبة الجزائريين، مسألة هوية فأدمجوا صفة المسلمين على الإتحاد، ميزة (M) التي لم يعرفها طلبة المشرق والمغرب العربيين، وذلك أن فرنسا اعتمدت في الجزائر، سياسة وحشية لطمس الشخصية الجزائرية، وسلخها من جذورها الثقافية قصد، التعمير في الجزائر إلى الأبد.

وركز الإتحاد على اللغة والإسلام ببعديهما الديني والحضاري، والجدير بالذكر، أن الشعب الجزائري قد لازم هذان البعدان وحافظ عليهما، عبر دمج الأبناء وتوجيههم للمدارس

القرآنية والكتاتيب والزوايا، لتلقين مبادئ وأسس العقيدة والتراث الإسلامي، ومن هنا ترسخت هاته الهوية وامتدت عبر الزمن.

ب. صراع الطلبة حول (M) المسلمين كشعار للإتحاد:

إن حرف (M) مسلمين يعني إيديولوجية وسياسة، أكثر منه معنى ديني تعبدية ممارساتي، تبناه مجموعة من الطلبة الجزائريين المؤسسين L'UGEMA، كصفة تميزهم عن الطلبة المسيحيين والشيوعيين أو اللاتكيين والاندماجيين، الذين أرادوا فصل التوجه الأيديولوجي، المتعلق بالانتماء إلى الإسلام، عن لوائح المطالب التي حملوها، والذي فرض نوع من المواجهة والرفض من قبل هؤلاء، حيث جاءت: " خاتمة المواجهات التي طبعت الرهان مع ما يسمى بانتصار " الميم "، الذي حلت به المجادلات التاريخية والأيديولوجية في وقت واحد، أثناء الإعداد للمؤتمر التأسيسي للإتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين، وانعقاده خلال الأسبوع الثاني من شهر جويلية 1955، في وقت كانت تجري على الصعيد الوطني، وتحتد معركة أول نوفمبر، التي أعلنها الشعب الجزائري، ليعلن في وجه العالم وعيه بأنه تحديدا شعب، وتأكيد على أن هوية هذا الشعب، تظل تلك التي تنبثق من كتلة تقاليدته الإسلامية....". (1)

وتضيف ردود المبحوثين فيما يخص هذا الخلاف الذي نشأ بين الطلبة، الذين أضافوا حرف (M) والمعارضين له، من كون أن رفض فكرة اللاتكيين والشيوعيين، بالنسبة لبلعيد عبد السلام كان: " المطلب الأساسي والأول للعناصر الوطنية، التي تضمن إستمرارية الأمة الجزائرية، وركزنا على الطابع العربي الإسلامي الذي اعتبره الشيوعيون، عنصرا دينيا يستثني الطلبة الفرنسيين والجزائريين والاندماجيين....".

بينما صالح بن القبي فيؤكد، أن الصراع بينهما يرجع لكون الإتحاد، أراد الحفاظ على الهوية الإسلامية، وذلك لأن السلطات الإستعمارية قادت حملة شرسة ضد المقومات الشخصية، التي تميز الجزائر خاصة الإسلام....". أما الإبراهيمي فيؤكد أن هذه الفكرة وجدت " تجاوبا كبيرا عند الأغلبية من طلبتنا...وأذكر أن نقاشا دار بيننا، وبين الطلبة الشيوعيين والمتغربين كأقلية، والذين أرادوا حذف هذا الإنتساب إلى الإسلام، بينما كنا نرى

1- بلعيد عبد السلام، نفس المرجع، ص 21.

أن إبقاءها هو تعبير عن الإنتماء للجذور العربية الإسلامية، واعتزاز بمقومات شخصيتنا الوطنية، ورغبة منا في بناء مشروع حضاري، يرسخ لإستمراريتنا واستقلالنا وتميزنا عن الدخيل...؛ وراء الرفض الدائر حول تسمية المسلمين، إلا أن الإتحاد إستقطب عددا كبيرا من أنصار (M)، كما جلبت له " متاعب وصراعات الرافضين الإنتساب لصفة المسلمين، والمدافعين عن التوجه اللائكي خاصة طلبة تولوز وباريس، الذين باءت جهودهم بالفشل، ولم يستطيعوا إلغاء الكلمة بل احتفظ بها الطلبة كمرجعية..، رغم الخلاف الذي أحدثته الكلمة....".

ويظهر من خلال شهادة المبحوثين، أنهم عملوا بجهد كبير حتى يقنعوا الطلبة الجزائريين، كي ينضوا تحت لواء L'UGEMA في الجامعات الفرنسية والجزائرية، وكان لعمل الإتصال والإقناع دورا مهما لشرح المشروع الحضاري، المتعلق بالتمسك برمزية " الميم".

إن هذا الحرف قد خلق معركة بين أطراف عديدة، وقد جنح الأعضاء إلى جمعهم بأي شكل، وتوحيدهم من أجل هدف جامع؛ وهذا بالفعل ما سعى إليه الإتحاد عبر عقد المؤتمرات والندوات، كالندوة التحضيرية أيام 4، 5، 6، و7 أبريل 1955 بباريس، وغيرها من المؤتمرات الأخرى.

والتي أفرزت فيها بعد معارضة شديدة لهاته التسمية (Musulman)، وبدل ذلك عن الرفض التام لوجود الإتحاد باعتباره حامل لواء الضدية، ومعارض لطرح " مورييس طوريس " حول الأمة الجزائرية في طور التكوين...، حسب غالبية المبحوثين.

لقد خلقت كلمة مسلمين منذ تأسيس L'UGEMA ، صراعا على أشده بين تيارات مختلفة خاصة UNEAP، حيث أن هذا الأخير كان معاديا ومقاطعا لظهور هذا الحرف، الذي يميز الطلبة الجزائريين عن الآخرين، والميم أو (M) كهوية تعاكس الوجود الفرنسي، باعتبار هذا التنظيم سليلا للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يريد دمج كل الجزائريين بما فيهم الطلبة الفرنسيين و الأوروبيين، المتجنسين بالجنسية الجزائرية، كاليهود مثلا في الجزائر تحت لوائه.

إلا أن هذا المخطط وجد مقاومة ومعارضة، من قبل الإتحاد وقياداته من قبل ، لقد فرض UGEMA: "حرف (M) المسلمين في شعار الإتحاد، وكان الهدف من هذا الصراع، هو محاولة عزل الطلبة الجزائريين الشيوعيين....".⁽¹⁾

وبذلك حسم الصراع بين الطلبة الجزائريين، مع تعهد الإتحاد بنزع حرف (M) متى حسمت قضية الجزائر بعد الإستقلال، وهذا ما تؤكد الوثائق التاريخية، وكذا شهادة المبحوثين الأعضاء الفاعلين في الإتحاد.

وهو انتصار كما يبدو لـ UGEMA 'L، وبذلك خلق تميزه وملاحقته، بسبب هذه التسمية من قبل السلطات الإستعمارية.

وفي سنة 1963 تغيرت التسمية بعد الوعد الذي قطعه L'UGEMA يتحول في ظل الجزائر المستقلة نحو UNEA دون الميم أو (M)، وفسح المجال ليضم كل الطلبة الجزائريين، باختلاف قناعاتهم السياسية والثقافية والأيدولوجية، وانتصرت قضية UGEMA 'L في رفع هذا التحدي في وجه الإستعمار، بتدويله للتمييز والخصوصية، كلما ذكر الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

وقفة وجب أن نقوم بها، والمتمثلة في بعض الأمور التاريخية الصراعية، ومنها نجد سعدي الذي لم يكن بعيدا، عن هرم السلطة الجزائرية منذ الاستقلال، وعلى دراية بخبايا الحكم، ولكنه يمثل الأقلية من الطلبة الذين ظلوا على ولائهم للمرجعية التاريخية، لكنه لام زميله أحد المؤسسين البارزين في الإتحاد، ومن المدافعين على هويتهم العربية الإسلامية، حيث يقول في هذا الشأن: "... المناضل الكبير عبد السلام بلعيد تهاون، عندما كان أهم الوزراء حول مسألة اللغة العربية، وكان ذلك سببا في تسمين عناصر حزب فرنسا⁽²⁾، الذي تحول اسمه إلى اللوبي الفرنكفوني، بإدارة الدولة الجزائرية وعندما عين مرة رئيسا للحكومة، تأمر هؤلاء عليه، لأنه استمر ذا نفس وطني، فوضعهم الإندماجيون الجدد لكن بعد فوات الأوان....".⁽³⁾

1- عبد الله حمادي، نفس المرجع، ص 29.

2- استند بالمناضل بلعيد عبد السلام وعين رئيسا للحكومة عليهم يجدون الدعم لديه ، لكن الرجل كان على دراية بخبايا السلطة ، وخطب فيهم قبل إقالته قائلا لهم : إنني أعر فكم وأنتم طلبة وأعرف انتماءاتكم والدوائر التي كنتم تنتسبون إليها.. "، وقصد بذلك حزب فرنسا.

3- سعدي عثمان ، قصة إتحاد M مع لغة القرآن ، جريدة الشروق، 17 نوفمبر 2005.

ويرى رضا مالك أن حرف الميم كان حاجزا، في وجه الإعترافات خلال الفترة الإستعمارية، لكن من جهة يقول أن جزائر الإستقلال، أصبحت في غنى عن حرف الميم، باعتبارها أمة مسلمة وأن نيل الإستقلال، يعني بالضرورة إعادة تأهيل الهوية، وأن الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كان في مقدوره بعد أن ترسخت هذه الفكرة، أن يتحول إلى الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، وهي نفس الأفكار التي وجدناها عند معظم مؤسسي الإتحاد، وذكر لنا صالح بن القبي أن الجزائر مسلمة، ولا تحتاج الإبقاء على هذا الحرف بعد الاستقلال. (1)

وكان نفس الرأي حتى لأحد المحسوبين على التيار الإسلامي، وهو أحمد طالب الإبراهيمي، الذي أشار إلى أنه عند تأسيس الإتحاد في سنة 1955، كان الإتفاق قائما على أن يحذف حرف "الميم" مباشرة بعد تحقيق الإستقلال. (2)

بل ذهب رضا مالك إلى أبعد من ذلك وعبر، عن أن الحركة الإسلامية لم ترق بعد إلى حكم الدولة وبناء الأمة، وهذا الشعور لم يكن بعيدا عن نضال اليسار الجزائري، وقد عبر عن ذلك عمار أوزقان، أن مصير كلمة إسلام بالنسبة لبعض الطلبة بعد الإستقلال، هو نفس مصير النساء المسلمات الذي تحوّل فيما بعد، إلى النساء الجزائريات أي بمعنى التخلص النهائي من المرجعية الدينية (3).

ولا يمكن تحليل هذه الظاهرة اجتماعيا دون أن نربطها بسياقها التاريخي، فالتخلي عن حرف الميم المشهور، بعد الاستقلال كان بدعم وبإيعاز، من الطبقة الحاكمة آنذاك أيضا، ففي بداية عام 1963، بدأت جملة من الاعتقادات حيال عدد من قادة الثورة، وظهرت جماعة تلمسان المشكلة، من جيش الحدود لمآزة الرئيس أحمد بن بلة، وكان على الكثير من قادة الثورة ومنهم فرحات عباس الذي دخل الجزائر، أن يحسم علاقته مع هذه الجماعة، لكنه ظل يأسا منها وحينها كتب يقول: "الجمهورية الجزائرية تتصرف كامرأة زانية، تزوجت الإسلام علنا، لكنها تتام خفية في سرير ستاليني..." (4)، نفس الإحساس يحمله محي الدين عميمور على السلطة ومسئوليتها، في محاربة وتهميش اللغة العربية، حيث يقول في هذا

1- مقابلة مع المبحوث صالح بن القبي بتاريخ 2011/08/28 بمقر سكنه بالجزائر العاصمة.

2- مقابلة مع السيد أحمد طالب الإبراهيمي بتاريخ 2011 / 06 / 12 ، بمقر سكنه بحيدرة بالعاصمة .

3- أوزقان عمار، الجهاد الأفضل، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1962، ص 152.

4- حميد عبد القادر، " الذكرى العاشرة لوفاة فرحات عباس "، جريدة الخير، 24 ديسمبر 1995.

الشان : "... سيقود ذلك إلى اعتبار رجال الضاد بمثابة الأقارب الفقراء، كما سيصل التضييل إلى درجة محاولة محو دورهم نهائيا...".⁽¹⁾

1- عميمور محي الدين ، أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى، ط4 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2005 ص 131.

الإستنتاج العام:

إن وقوفنا على موضوع مقومات المشروع الوطني، الذي قاده الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، إلى جانب الحركات الوطنية الأخرى وتحديدًا جبهة التحرير الوطني، يكشف عن حقيقة هذا التنظيم، الذي كان له الدور الفاعل في تاريخ الجزائر المعاصر، عبر الدور الريادي والنضالي، ورفعته لتلك المطالب التي جعلته مستهدفًا من قبل المستعمر، من كونه يحاول افتكاك مطالب عملت فرنسا على طمسها ومحوها، وبالتالي حاول ليّ وكسر ما حاولت فرنسا إرسائه عقودًا من الزمن .

ومن خلال هذه الدراسة حاولنا تفكيك ما ورد من تصريحات المبحوثين، في تتبعنا لسيرة حياتهم الحافلة بالنضال والمقاومة، مع محاولتنا قياس هذه التصريحات مع ما خلف من دراسات وأبحاث، ومع ما خلفه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، عبر المؤتمرات التي عقدها وكذا، تنديداته ضدّ السياسة الإستعمارية المنكّلة بالشعب الجزائري، بالإضافة إلى الرسائل والبرامج المدرجة، في إطار المشروع الوطني المناهض للإستعمار الفرنسي الغاصب، والمحفوظة في أرشيف الثورة الوطنية، كشاهد على مرحلة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر، وتحتاج إلى حفر وتنقيب تاريخي لفهم علاقة التنظيم الطلابي أو النخبة الجزائرية، مهما تعدّدت مشاربها ومطالبها بالكفاح الوطني ضدّ الإستعمار الفرنسي.

إن المشروع الوطني الذي حمل لواءه ثلثة من الجزائريين، ومنهم الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، تضمّن مجموعة من المقومات الأساسية، أردنا التعرف على أهمّها، والتي كان لها تأثير أثناء الثورة ومنها ما بقيت إرصاصاته متواصلة، إلى ما بعد الإستقلال كالمسألة اللّغوية .

- لقد تبين من خلال الدراسة، أنّ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كان فرعًا مهمًا من فروع الحركة الوطنية، التي التحمت بالثورة باختلاف توجهات مناضليها وأعضائها من نخبة الطلبة، حمل مشروعًا وطنيًا انطلق من انشغالات الطلبة ذاتهم،

وانشغالات وطنهم الذي كان يروح، تحت نير عبودية أشرس استعمار عرفه التاريخ، نظرا للممارسات التي اعتمدها خاصة، على المستوى الثقافي والإجتماعي والإقتصادي .

- كما تبين أن الاحتلال الكولونيالي الفرنسي منذ غزوه الجزائر، عمل على التدمير الإقتصادي وتمكين سياسة الإستيطان بالقوة العسكرية، لكنه تدارك فيما بعد أن تدمير البنية الثقافية للمجتمع الجزائري هي الأساس، وذلك بتعويضها بالمشروع الإستعماري الذي رأته، شرطا أساسيا لتمكين استقرارها في الجزائر.

- كما ظهر لنا أن الإدارة الفرنسية الاستعمارية استعملت المدرسة، كوسيلة لإنجاح مشروعها الإستطاني، من خلال البرامج والمشاريع التي وظفتها لذلك، ودمج فئة من أبناء الأهالي، بهدف الإستفادة مما تقدمه المدرسة الرسمية، وتكوين شرخ في مقوم المفاهيم بين الشباب الجزائري، وبناء عقلية جديدة الذي سيتعاطى مفعولها، مع النمط الجديد للحركة الكولونيالية.

- محو البنية الثقافية للجزائر والمكوّنة من اللغة العربية الدين الإسلامي، ومقوم العادات والتقاليد والتراث التاريخي المتنوع.

- بروز الوعي الطلابي جاء في وقت مبكر من عمر الحركة الوطنية السياسية في الجزائر، بل ظهر حتى قبل الإعلان عن نشأة الأحزاب، وهذا يعني أن الطلبة الجزائريين رفضوا واقعهم المزري، والذي تميز بالميز العنصري، والذي شعروا به على مستويات مختلفة من التعليم، وبصفة خاصة الجامعي منه، فبرغم ما اكتسبوه من حقوق، أوصلتهم لمستويات رفيعة من التعليم، وميّزتهم عن باقي شرائح المجتمع، فإن ذلك لم يمنع من أنه تولدت لديهم قناعات جديدة، وتجارب هامة جعلتهم يبحثون عن البدائل، وتدرّجت من كونها مطالب بيداغوجية اجتماعية خالصة، إلى الخوض في مسائل ثقافية حساسة في وقتها، كقضية اللغة العربية وإحياء التاريخ الوطني والتمسك بالديانة الإسلامية، وهي من المطالب والمصطلحات التي كانت ممنوعة على الجزائريين وقتها التلطف بها.

- تأسيس التنظيم الطلابي في الجزائر تزامن، مع بروز كثير من المتغيرات على الساحة الجزائرية، بمعنى أن الطالب الجزائري والمتقف عموما، سواء التابع للمدرسة الفرنسية أو

المدارس الحرة، لم يكن بعيدا عن كثير من التحولات التي عرفتھا الجزائر، بل كان طرفا صنيعا لأحداثھا.

- فرض الوضع الإستثنائي في الجزائر المستعمرة، رافدين أساسيين لمرجعيات التكوين الطلابي، فالنمط الأول حافظ على مرجعيات التكوين، المبنية على التراث التاريخي لمسار تطور الجزائر عبد التاريخ، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية وتكون المجتمع الجزائري الإسلامي، وفق فضاء الحضارة العربية الإسلامية، برزت هذه الملامح من خلال دور، الزوايا والكتاتيب ومعاهد ومؤسسات التعليم.

- أما النمط الثاني من الطلبة الجزائريين، فقد فصل تعليمه من المدرسة الفرنسية الرسمية، التي تفتنت في وضع البرامج التعليمية المبنية، على اللغة الفرنسية والدين المسيحي، والتاريخ الفرنسي وتمجيد الحضارة الغربية، ونبذ كل ما هو عربي إسلامي، وبذلك برزت شريحة طلابية جزائرية، مدمجة ومغرّبة ومسلوبة ورافضة لذاتها وهويتها.

- رسمت التنظيمات الطلابية معالمها ونشاطاتها بالأحزاب والجمعيات السياسية، ناضلت ضمن مبادئ وأهداف التيارات السياسية، إذ برزت ودادية التلاميذ للطلبة المسلمين الجزائريين، وكانت قريبة جدا من فيدرالية المنتخبين، كما منّنت جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين علاقاتها، مع نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب، في حين ناضل الطلبة الذين درسوا بالجامعات العربية والإسلامية، مع مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أما طلبة اليسار فلقد عبّروا هم بدورهم، عن ارتباطهم أيضا بالحزب الشيوعي الجزائري، فالطلبة عاشوا وعاشوا كل الأحداث والأزمات، التي عرفتھا الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

- كانت جمعية طلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس، أداة للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لطلبة المغرب العربي، وقد عملت على تأصيل ذلك عن طريق،

المسامرات والمحاضرات والدعاية والإعلام، وإحياء المناسبات والأعياد الخاصة،

وخاصة وأن الطلبة المسلمين كانوا عرضة للإستقطاب، من طرف مختلف

التنظيمات والتيارات النشطة بباريس.

- بفضل انضواء مجموعة من الطلبة الجزائريين في صفوف الجمعية، واحتكاكهم بطلبة تونس والمغرب الأقصى والطلبة العرب، فقد تسارع نمو ونضج الوعي الوطني لديهم، في فترة كانت فيها التنظيمات الطلابية في الجزائر، ما زالت على علاقتها بفرنسا تحلم بالمساواة وإصلاح الأوضاع.

- نلاحظ أن الحركات الطلابية تعدّ بمثابة، مدارس خاصة لتكوين المؤطرين الشباب، الذين كانوا دوما على ارتباط وثيق بما يجري بالداخل، وكانوا من المساهمين في بناء المسار السياسي للجزائر، منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، وخير مثال على ذلك المسار السياسي لفرحات عباس، وتطوره إيجابيا تجاه القضية الوطنية، فمع نهاية الحرب العالمية الثانية كان طالبا في الصيدلة، ثم كوّن تنظيمًا طلابيا وترأسه، ثم أسّس حزبا سياسيا وأصبح زعيما له وهو أحباب البيان والحرية، ثم أصبح أول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958.

- إن الطبقة الطلابية التي خرجت في عشرينيات القرن العشرين، كانت مثقلة بتبعات تسعة عقود، من أسر الهوية وتغييبها بالجهل والتدجيل، ولذا كانت بها آثار لأنساق إيديولوجية مصنوعة على عين الإستعمار، غير أنها لم تكن مؤثرة في المجرى العام للطلبة، التي برزت مسيرتهم بخطى حذرة، مكثفة بالهوامش المتاحة في إنتعاش، مختلف الأجهزة العضوية الأساسية في المجتمع، وكان الاهتمام بالذاكرة أو الهوية وإعادة بعثها، لاستعادة شبكة العلاقات الاجتماعية، وفق المنظور الحضاري الوطني، وكانت الخطى تسير في الممرّات، التي لا يتمكّن الإحتلال من التنبه إليها؛ وبدا التفاعل الطلابي يتعامل مع الإحتلال بالتدرج المريح، ورفع مستوى الحراك والمطالب بدرجات محسوبة، تؤدي دورها المرهلي، وتجنّب ردود الفعل القاسية، فأسس الطلبة سنة 1920 ، تنظيمًا طلابيا تحت اسم "ودادية الطلبة

لمسلمين الجزائريين"، وتحول فيما بعد إلى جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا الجزائريين"، وشارك بعض أعضائه في تكوين "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وتمكن من التمتع في مركز التأثير المجتمعي.

- إن الإعلان عن ميلاد الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955، كانت ضربة قاسية للمشككين في الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، وهي شفرة موجهة لدعاة الاندماج في الكيان الفرنسي، وكذا التمسك بالقيم الإسلامية والدين الحنيف، وسدّ الطريق أمام أولئك الطلبة الممسوخين الذين، فضلوا تطبيق تعاليم الصليب وتكروا لمبادئ وقيم الإسلام، كما أن ميلاد الإتحاد يعكس مدى الوعي الوطني الذي بلغه الطلبة، والذي آل بهم نحو الائتلاف وجمع الشمل في مرحلة صعبة، من حياة الجزائر والثورة التحريرية في عامها الثاني، وهي في أمس الحاجة إلى هذا النوع من التضامن الطلابي، وما هو إلا تكملة لمشروع وطني ذي مرجعية أيديولوجية، وهو أن الإسلام هو الديانة الرسمية للجزائريين، وهو جنسية الجزائريين حيث أفصح هذا المشروع عن المبادئ والقيم، التي رسمها الطلبة في برنامج إتحادهم المؤسس، وكشف أيضا عن برنامج عمله القريب والبعيد، وكل ذلك تدعيما للثورة التحريرية.

فتضامن شريحة المثقفين ورجال الفكر، والنخب الوطنية في الثورة، لم تكن عسكرية محضة، بل كانت ثورة شاملة أرادت حركية التغيير، ورفض لكل ما هو فرنسي، ومن ثم فهي تحتاج إلى جهود الجميع من دعم وإمداد عسكري، وإرشاد سياسي وإعلامي ومخابراتي، وإلى الطبيب والجراح والصيدلي والمربي والفدائي والدبلوماسي، وكل هذه الإختصاصات خاضها الطلبة.

وكان الطلبة في مسارهم النضالي السياسي والمسلّح، على ارتباط بمكاتب جبهة التحرير الوطني (التنسيق المحكم بين إتحاد الطلبة والثورة)، تكملة المشروع الوطني هل أجهض في مؤتمر الجزائر سنة 1962؟ هل يعدّ مؤامرة جديدة ضد الثوابت الوطنية؟ وبرز فئة من الطلبة الإنتهازيين الذين، ركبوا موجة الثورة لغرض تحقيق أغراضهم الأيديولوجية، بعد أن اندسوا مع صفوف هياكل الثورة، وعبر أجهزتها المدنية والعسكرية، وتولوا مسؤوليات حساسة لا لخدمة الثورة ببعدها الثقافي الحضاري، بل لجني ثمار الإستقلال وتحريف

المكتسبات، التي رصدتها الحركة الوطنية السياسية، وتبني النهج الإشتراكي الذي خطت له قمة مؤتمر طرابلس، وطبقه النظام الجديد بعد الإستقلال مباشرة، وبالمقابل فضل الكثير من طلبة المعاهد والجامعات الإسلامية والعربية، تحمّل مسؤوليات ثقيلة وحمل السلاح ومجابهة العدو مباشرة، ولم يفضلوا العمل في الظل، ومنهم من استشهد، و بعضهم أعدم لمواقفه وخياراته الوطنية، وهناك من الطلبة من فجر الثورة وكان من رعيها الأول، رفقة العربي بن مهيدي وديدوش مراد و مصطفى بن بوععيد، وتحدى كل أنواع المجازفة والمخاطرة، من الإعتقال والسجن والتعذيب، إلى الرجوع إلى الجبل وحمل السلاح مرة أخرى، و إلى مواجهة العدو دونما تردد، وبكل صلابة وشجاعة لا مثيل لهما، ودونما التنازل عن قيمه الوطنية، لكن هكذا الثورة كالقطة تأكل أولادها، فبعد الحصول على الإستقلال، وجد هذا الرعيل من الطلبة وخصوصا المعزبين منهم، أنفسهم على حافة الطريق، وفي خانة التهميش، لا لشيء سوى لأن القرار السياسي كان بيد كل من له السبق، في العمل الإداري أثناء الوجود الإستعماري، وتوليه المناصب الحساسة في هرم الدولة الناشئة، وقد أنجرّ عن ذلك آثار سلبية على مسار استمرارية التواصل الطلابي، والحفاظ على الشرعية التاريخية للنضال الثوري، وتجسّد ذلك في المؤتمر الخامس الذي احتضنته الإقامة الجامعية، لحي بن عكنون خلال صيف 1963، حيث ختم أشغاله بحذف كلمة "مسلم" من التنظيم الطلابي، بعد عودة طلبة اليسار، وتواطؤ السلطة، واتفقا الطرفين على إنهاء ما سمي بمعركة الميم، واعتماد الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بدلا من الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، لا لشيء سوى لأنه كان سيحمل بين طياته، مشروعا وطنيا حضاريا سيكتمل إلى حين!

وعلى العموم وبناءا على الدراسة الميدانية التي قمنا بها، فقد توصلنا للنتائج التالية والمتعلقة، بالمقومات التي طرحناها في فرضيات الدراسة، والتي يمكننا إبرازها على شكل المحاور التالية :

1. المحور الأول : النضال السياسي

فيما يتعلق بالفرضية الأولى التي منطلقها " يمكن اعتبار النضال السياسي مقوما أساسيا لتوضيح المشروع الوطني، من طرف الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين"، توصلنا إلى ما يلي:

✓ أن هناك أحداثا معينة أدت إلى ظهور الإتحاد وتأسيسه، ومنها الوضع المشحون الذي كانت تمر به الجزائر، وتحديدًا خيار النضال المسلح، الذي كان الحل الأهم لمقاومة المستعمر.

✓ كما أن الهيمنة والتمييز المتبع على الطلبة الجزائريين، الذين درسوا في الجامعة الفرنسية في فرنسا والجزائر، كان الدافع الأساسي في مراجعة حساباتهم، حول هذا الإغتراب والتهميش الذي خلقتهم فرنسا، لهدف معين يخدم أيديولوجيتها الإستعمارية، التي أصبحت الفئات الطلابية المثقفة واعية بها، وبضرورة تغيير الوضع وتبني الخيار النضالي، لتحقيق مطالب تخدمهم وتخدم شعبهم.

✓ إن الجو الذي عايشه الطلبة في السابق وتحديدًا، الإنتماء لحركات وتنظيمات وطنية أخرى أدى، إلى الإلتفاف حول حركة جديدة صارت، جزءا من جبهة التحرير فيما بعد، بمساهمتهما الفعلية في المقاومة بالعمل الميداني إعلاميا وثقافيا وتعبئة، وفي المجال الطبي والصيدلة وحمل السلاح وغيره .

✓ إن تكتل الطلبة في الإتحاد كان لهدف أساسي، تمثل في النضالي السياسي الذي ساهم في دحض الأهداف الإستعمارية المضادة، بالالتفاف حول إتحاد يجمعهم باختلاف مشاربهم، حول قضية ومشروع واحد، هو الجزائر ذات السيادة الوطنية.

✓ يظهر أن أهم هدف نضالي كان يلمّ شمل الطلبة الجزائريين، وعدم تهميشهم وعزلهم وذلك بتوحيد صفوفهم، و تجنيد أكبر عدد من الطلبة، في صفوف الإتحاد والتعبئة من أجل المشاركة في الثورة، والعمل على إحياء مقومات الشخصية الوطنية، التي حاول المستعمر الفرنسي استلابها و نفيها وطمسها.

✓ تبين لنا أن غالبية الأعضاء المنضوين تحت لواء الإتحاد، كانت لهم مشاركة فعلية في الثورة وتحديد العمل في صفوف الجبهة، والعمل على استدراج مختلف التشكيلات الوطنية، وتعبئة و تجنيد وإحاق الطلبة الجزائريين، بالإتحاد وبجبهة التحرير الوطني، وإعداد الإطارات والفنيين والمكونين، للمساهمة في الثورة، والإتصال بالطلبة والمتقنين كل واحد يقوم بمهامه ودوره النضالي، والمشاركة في الثورة والحرب ضد المستعمر كهدف نضالي أساسي.

✓ إن المطلب النضالي السياسي الأساسي في الإتحاد، كان بتحقيق الإستقلال التام و استرجاع الهوية والوحدة الوطنية الجزائرية، التي تجسدت في مطالب جبهة التحرير الوطني، وهنا تتمظهر المشاركة الفعلية لأعضاء الإتحاد، في الثورة والعمل الميداني المباشر، إلى أن اعتبر الإتحاد وحدة قتالية مدعّمة للثورة.

✓ إن هذه الخطوة النضالية المتمثلة في المشاركة الفعلية، لأعضاء الإتحاد في الثورة والعمل الميداني المباشر، عرضتهم للضغط والملاحقة والسجن والتعذيب والإغتيالات، حيث اعتبر الإتحاد منظمة سرية تعمل، لصالح جبهة التحرير الوطني، وتمس استقرار فرنسا وأمنها.

✓ إعتبرت هذه الوقفة من الطلبة الجزائريين والمنتمين للإتحاد، ضربة موجّهة للمستعمر، من كون تعليم الطلبة في الجامعات الفرنسية بالجزائر وفرنسا، لم يقف عائقا أمام انضمامهم للإتحاد في البداية ثم للثورة فيما بعد.

✓ تتجلى كذلك المشاركة الفعلية للإتحاد بمختلف الإتجاهات، في النضال السياسي من خلال المؤتمرات المتوالية التي عقدها، حيث يظهر من خلال مطالبهم، أنهم كانوا حاملي مشعل الكفاح التحريري، والدفاع عن قضية بلدهم وعرض وضعية ومعاناة شعبهم، وتحقيق مطلب استقلاله واسترجاع سيادته.

✓ و تكشف الرسائل و التنديدات التي وجهها الإتحاد إلى السلطات الإستعمارية، مدى وعيه وتبنيه للقضية الوطنية، حيث يظهر أن الكفاح بهذه الوسائل، كان جزءا من الوسائل النضالية التي لجأ إليها الإتحاد.

✓ كما أن الإقدام على الإضراب التاريخي في 19 ماي 1956 ، كان له صدى كبيرا لدى الطلبة، بمختلف تشكيلاتهم وتوجهاتهم، وقد دام أكثر من عام ونصف، وكان وسيلة من وسائل النضال السياسي الذي لجأ إليه الإتحاد، وتبين أن الإضراب كان بمثابة الإعلان الرسمي للانضمام إلى الثورة، وشكّل إضراب نخبة الطلبة، دعما وتعبئة ثورية قوية لرجال جبهة التحرير الوطني .

✓ كما يظهر من المشاركة الفعلية للإتحاد، أنه أسهم إلى حد كبير في إعطاء الثورة صبغتها النظامية، التي جعلت العالم يعترف بها ويدولها في محافله الدولية، نتيجة العلاقة الجدلية التي جمعت الإتحاد بجبهة التحرير الوطني، وهذا ما عرضة لأنواع القمع والاضطهاد وعرقلة النشاط السياسي، من قبل المستعمر بتهمة الإخلال بالأمن العام.

✓ يتمظهر النضال السياسي كذلك، من خلال لائحة المطالب السياسية التي آمن بها الإتحاد، والتي تحملها الخطب والنداءات التي ردها المؤسسون، والأعضاء الفاعلون في الإتحاد، والمحوّلة إلى أرض الميدان مواجهة لفرنسا، التي تبين للإتحاد فيما بعد، أن خيار العمل المسلح لا بدّ منه لنيل كل المطالب، وتحديدًا مطلب السيادة والإستقلال بعد النيل من العدو الغاصب .

وعليه يتبين لنا أن مقوم النضال السياسي، كان أهم مطلب تبناه وقاده الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

ومن هنا تحققت الفرضية الأولى القائلة، أن النضال السياسي اعتبر مقوما أساسيا لتوضيح المشروع الوطني، من طرف الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

2،المحور الثاني: مقوم اللغة العربية:

إنطلقت الفرضية الثانية من " اعتبار اللغة العربية مقوما أساسيا لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، كحركة طلابية وطنية "، وفي قراءة للمعطيات التاريخية، أثناء التواجد الإستعماري الفرنسي يتبين أن :

✓ اللغة الفرنسية في الجزائر لم تكن في العهد الإستعماري الفرنسي، وسيلة للتثقيف أو زيادة المعرفة، بل كانت من الوسائل التهديمية، التي لجأت إليها فرنسا لمحو الشخصية الجزائرية، إن فرنسا استهدفت إحداث تغيير في الثقافة الجزائرية، بحيث تلائم نمط الحياة الفرنسية بفرنسة الجزائر، وذلك بفرض اللغة الفرنسية على مجالات الحياة كافة، في ذلك المجتمع الذي عاش اغترابا واستلابا في ارضه وثقافته .

✓ حاولت فرنسا عبر السياسة التعليمية، تشجيع تلقين الفرنسية على حساب العربية، التي قلّصت مساحتها واعتبرتها لغة عامية، لا ترقى لمستوى اللغة الفرنسية، والتي لم ينجح المستعمر في انتزاعها منه، لوجود مؤسسات كانت قائمة بالدور، وحملت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على اللغة، والدين، والشخصية الوطنية، كالزوايا والمساجد.

✓ يظهر جليا أن إشكالية اللغة العربية أصل الخصوصية والبقاء والتميز، تكشف معاناة المجتمع الجزائري من الاغتراب، الذي فرضته السياسة الفرنسية، وهذه الإشكالية نادت بها مختلف التشكيلات، المتصلة بالحركة الوطنية في الجزائر، من الأمير خالد إلى نجم شمال إفريقيا، وجمعية العلماء المسلمين وغيرها من الحركات، التي سطرت قضية الإختلاف بين الثقافتين، وضرورة تعلم اللغة العربية، والإعتراف بها كلغة رسمية مثلها مثل الفرنسية.

✓ إنّ الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كجزء من الحركة الوطنية، نادي في برامجهم في محاور عديدة، وأهمها العمل على إعطاء اللغة العربية، مكانتها ووضعها في إطارها الطبيعي، وإعادة الاعتبار لها وتدريسها لكل الجزائريين، باعتبار اللغة مقوما أساسيا ومحركا للثقافة الجزائرية ، التي حاول الإستعمار طمسها واضطهادها، وهذا المقوم كان جزءا من الأسباب الداعية لتأسيس الإتحاد.

✓ نستكشف رفع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، مطلب ومقوم اللغة العربية في مختلف ندائاته وخطاباته ومؤتمراته، وكذا توصياته، لأن اللغة كما ورد في نداءات الإتحاد، تعدّ مصدر قوة ووجود المجتمعات، وعلى أساسها يحكم على استمرارها وبقائها.

✓ يشار بشكل عام للغة العربية، في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كمقوم يرتبط بالتراث القومي والشخصية العربية، ذات الإمتداد التاريخي العميق، والذي لا يمكن طمس معالمه ومكوناته بإحلال لغة أخرى، ليس لها نفس الإمتداد التاريخي كالذي تمثله اللغة العربية .

✓ كما يركز الحديث في المؤتمرات والنداءات، كالتي كان يعقدها الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، على مجال المشاكل التي يعانها الطلبة الجزائريين، مثل مشكلة توجيه الطلبة وتخصّصهم الدراسي، ومشكل التمييز الذي كان يلّمسه الطلبة الجزائريين، مع أقرانهم الفرنسيين.

✓ كما يركز اهتمام الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، حول الإشارة إلى ما قام به الإستعمار من جهود، للقضاء على الثقافة القومية، قصد إحلال الثقافة واللغة الفرنسية محلها من الناحية النظرية على الأقل، والحقيقة أن المستعمر عمد لسياسة التجهيل، ليرز فكرة تفوقه العنصري، وهذه الفكرة ناهضها الطلبة والإتحاد معا.

✓ تؤكد المؤتمرات تعلّق الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بالثقافة العربية الإسلامية وبوحدة الثقافة العربية الإسلامية والعالم العربي، ولا مجال لمحاربة اللغة العربية، والتي وجدت معارضة من أطراف عديدة، لكن الإتحاد تمسك بهذا المطلب والمفهوم وأدرجه، في لائحة المطالب الأساسية التي لا يمكن إسقاطها من اللوائح؛ لأنها تسهم في فهم الشعب، وإيصال معاناته بلسانه ولسان غيره، وتؤكد أن الجزائر أبدا لن تكون فرنسية ثقافة ولسانا .

✓ تبين النتائج أن الإتحاد لم يركز على اللغة العربية، بالشكل الذي تم التركيز فيه على النضال السياسي، وتجسيده على أرض الواقع، وقد كانت الشعارات والنداءات تطالب بضرورة إدراج اللغة العربية، ضمن قضايا الشخصية الوطنية الغير مطبّقة على الواقع، ولم تبين الطريقة التي يبرز فيها هذا المقوم، وذلك أن القضية الجزائرية مرت

بوتيرة سريعة من التطورات على الساحة السياسية العسكرية، وهذا ما لم يتحقق بالفعل بعد الاستقلال .

✓ أن اللغة العربية لم تلق مكانتها نتيجة الصراعات الدائرة، بين من يحملون الثقافة العربية (المعربون) ، ومن يحملون الثقافة الفرنسية (المفرنسون) أو الفرانكفونيون، فالعديد من القطاعات احتلها الفرنكولائيكو- علمانيين، ويعود الأمر لكون أن الإدارة كانت كلها مفرنسة، ولم يفكر أو يتم التحضير لإحلال اللغة العربية مكانها، وبالتالي فإن النداءات التي رفعها الإتحاد ، كانت عبارة عن شعارات، حاولت جزائر الإستقلال استدراكها بعد عقد من الزمن، بسياسة التعريب مما خلق مرة أخرى إشكالية اللغة بعد الإستقلال .

ومنه يظهر أن الفرضية القائلة، أن اللغة العربية تعتبر مقوما أساسيا لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كحركة وطنية، كانت عبارة عن شعارات ومطالب، لم تجد مكانتها قبل الإستقلال، وحتى بعد الاستقلال، وبالتالي اللغة العربية، لم تكن مقوما أساسيا مجسداً على أرض الواقع .

3. المحور الثالث : مقوم الدين الإسلامي

إقترحت الفرضية الثالثة: " اعتبار الدين الاسلامي مقوماً أساسيا لتكملة المشروع الوطني، الذي تبناه الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كحركة طلابية "؛ وبناءا عليه توصلنا إلى النتائج التالية :

✓ يبدو من استظهار تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر، أن هناك تشكيلات متعددة في الحركة الوطنية، حاولت مواجهة السياسة الإستعمارية، عبر إحيائها لبعض المظاهر المتعلقة بالشخصية الوطنية، حيث ظهرت على الساحة الجزائرية، ثلاث قوى أساسية حاملة لواء الهوية الوطنية العربية الإسلامية، مثل ما قامت به جمعية العلماء المسلمين، و حركة نجم شمال إفريقيا وبعده حزب الشعب الجزائري، ثم جبهة التحرير الوطني... .

✓ توصلنا من خلال شهادات المبحوثين أن الطلبة المسلمين، كانوا يلاقون صعوبة كبيرة في الاتصال بالطلبة المسيحيين، حيث أن المسيحيين كانوا يفضلون التعامل

مع الطالب الجزائري، الغير متدين أو الملحد والبعيد عن الممارسة الدينية، وهذا دليل على أن هؤلاء الطلبة يريدون التأثير، على بعض الطلبة للتخلي عن الدين الإسلامي، وعن الثقافة والهوية الوطنية.

✓ إن الطلبة العلمانيين والشيوعيين متأثرين بقضايا الأمة ومطالبها، المتعلقة بالتراث الإسلامي، وهذا لأن التنشئة السابقة لديها تأثير، على الفرد وإن تلقوا تكويننا علميا مخالفا، وأهم المؤسسات التي ساهمت في حفظ الهوية، نذكر نظام الزوايا و العائلة، وهذا ما حدث مع الطلبة الذين، درسوا في المدارس العربية، حيث أنهم تلقوا تكويننا دينيا وتربويا سابقا .

✓ يؤكد أعضاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بحثهم عن التميز وروح المواجهة بالإسلام، لأنه سيضم كل الطلبة الجزائريين في إطار أمة جزائرية واحدة، دينها الإسلام وهم بذلك سيضربون بيد من حديد الأيديولوجية الفرنسية، التي حاولت طمس الروح الثقافية، ومختلف المقومات التي يتميز بها الجزائريون، ويتمسكون بشكل أدهش الإستعمار ذاته، وهو الذي لم يفلح طيلة عقود من الزمن من تنصير الجزائر، لكن إحساس الجزائريين بمشكل الهوية كان قائما، خاصة الفئة المثقفة الواعية بالمشاكل، التي يبرز في إطارها المجتمع الجزائري.

✓ بين أغلب الأعضاء الفاعلين في مطالبهم، أن الإسلام دين الجزائريين وهو رمز تميزهم وهويتهم، التي لم تمحها المؤامرات والمخططات الإستعمارية، ومن هذه الزاوية مثل الإسلام، بالنسبة للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، مسألة هوية، فأدمجوا صفة المسلمين على الإتحاد، كميزة وهوية ضدّ السياسة الفرنسية الطامسة للشخصية الجزائرية.

✓ تبين أن كلمة مسلمين في الإتحاد عنت الجانب الأيديولوجي والسياسي، أكثر منه المعنى الديني التعبدية الممارساتي، تبناه مجموعة من الطلبة الجزائريين المؤسسين لـ L'UGEMA ، كصفة تميزهم عن الطلبة المسيحيين والشيوعيين، أو اللائكيين والإندماجيين، الذين أرادوا فصل التوجه الأيديولوجي، المتعلق بالانتماء إلى الإسلام، عن لوائح المطالب الذي يستثني، الطلبة الفرنسيين الجزائريين والإندماجيين .

✓ أكد المبحوثون وكذا الدراسات المتعلقة بالإتحاد، أن هذه الكلمة (مسلمين)، قد خلقت أزمة أو صراعا ومعركة سجالية كبيرة، بين الطلبة الجزائريين خاصة ذوي التوجه اللائكي والشيوعي، وقد امتد الصراع لما بعد الإستقلال حتى التخلص التام من الكلمة.

✓ وتبين أن الكلمة فيما بعد وجدت تجاوبا كبيرا، عند الأغلبية من الطلبة باختلاف توجهاتهم، لأن في ذلك تعبير عن الإنتماء للجذور العربية الإسلامية، واعتزاز بمقومات الشخصية الوطنية، ورغبة في بناء مشروع حضاري يرسى لاستقلال الجزائر.

✓ إلا أن الاتفاق والإجماع أفرز شرطا أساسيا بين الطلبة الجزائريين، وتمثل في ضرورة حذف الميم (مسلمين) من الإتحاد ، بعد نيل الجزائر استقلالها، وهذا ما تمّ بالفعل حيث تخلص الإتحاد عن هذا الكلمة المميزة، ليحمل تسمية الإتحاد العام للطلبة الجزائريين، المنشغل بأوضاع وظروف الطلبة الجزائريين في جزائر الإستقلال.

ومن خلال النتائج المحصل عليها ، يظهر أن الرمز الذي أضافه الإتحاد، والمتمثل في كلمة مسلمين، عدّ مطلبا أساسيا جاهر به الاتحاد ضد المستعمر الفرنسي، الذي سلبه هويته وذاته، تغيرت التسمية بعد الوعد الذي قطعه L'UGEMA ، ليتحول في ظل الجزائر المستقلة نحو L'UNEA دون (M)، وفسح المجال ليضم كل الطلبة الجزائريين، باختلاف قناعاتهم السياسية والثقافية والأيدولوجية، انتصرت قضية L'UGEMA فيرفع هذا التحدي، في وجه الاستعمار بتدويله للتمييز والخصوصية، كلما ذكر الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كحركة وطنية، خلقت التميّز بمطالبها ونشاطاتها، في ظل الإستعمار والتطورات التي شهدتها الساحة السياسية، في الجزائر المستعمرة وخارج الجزائر في دول أخرى .

الخاتمة

الخاتمة:

يحتل التاريخ في الدراسات السوسولوجية أهمية كبيرة، لكونه يعرّفنا بماضي المجتمعات وبأهم المحطات والأحداث التاريخية، التي مرّت عليها الإنسانية بشكل عام، عبر هذه التوصيفة تظهر أهمية دراسة تاريخ الجزائر، وتحديدًا المعاصر منه؛ فالجزائر المستقلة مرّ على استقلالها من نير وعبودية الاستعمار الفرنسي ما يقارب الخمسين سنة، تشكّل من خلالها المجتمع الجزائري، الذي لا يزال يشكي ويتألم إلى يومنا هذا، من إرهابات وانعكاسات مئة واثنان وثلاثين سنة، دخلها المستعمر بسياسة تدميرية لكل ما هو موجود على أرضها، إلى اعتماد سياسة الطمس والتهجير، وهدر النفوس ونفي الهوية الشخصية لهذا المجتمع، الممتد إلى مجتمعات أخرى شكلت هويته وذاته، والتي عمل الإستعمار على انتزاعها منه، من أجل احلال وبثّ سموم ثقافته الدخيلة، مكان ثقافته الأصيلة والمتكونة من ثلوث متكامل، على رأسه الأمازيغية ولبّه الإسلام ولسان حاله العربية.

ورغم أن السياسة الإستعمارية كان ظاهرها ناجحًا، بإحكام القبضة على الجزائريين، الذين تذكر الشهادات والدراسات أنهم عاشوا ويلات الإستعمار، بتحويلهم إلى جهلة فكريا وثقافيا، وتحويلهم إلى أدنى مرتبة من الحيوانية، من خلال قوانينه الجائرة، التي منعت عنه كل منابعه الثقافية وشجعت فيه الأفكار الخرافية والتجهيلية، وسلبت منه الأرض والعرض، وتحويل أبناء الجزائر الذين ادمجوا في المدارس الفرنسية، إلى قوة مساهمة وداعمة للمستعمر، تعيش إغترابا ثقافيا وفي خدمته وطاعته العمياء، ضد أبناء جلدتهم خاصة المتكونين تكوينا ثقافيا فرنسيا، إلا أن ما أفرزه الوضع في المجتمع الجزائري، أثبت زيف الطرح الإستعماري الداعي، إلى الإندماج التام في ثقافته، والإنسلاخ التام من الهوية الجزائرية .

إن هذه السياسة كانت مكشوفة للجزائريين، لذلك كانوا حذرين ومتحصنين بثقافتهم، التي حفظتها المؤسسات التقليدية والتنشئة الأسرية، المتمسكة بالتراث العربي والإسلامي، ويظهر هذا التوجه الحافظ لهذه الهوية، عبر الحركات والتنظيمات الإجتماعية، باختلاف مشاربها والتي كانت العنصر الدافع لخروج المستعمر .

وبتناول هذه التنظيمات والحركات والجمعيات الكثيرة العدد، تظهر على الواجحة حركات شبابية مثقفة، وداعمة للتيار المناهض للإستعمار وتواجهه في الجزائر، والمتمثلة في الحركة الطلابية الجامعية والمتكونة في الجامعات الفرنسية، ودون أن ننسى المتكونين في الجامعات العربية، فكليهما خدم القضية الوطنية، وساهم في تغيير تاريخ الجزائر المعاصر .

إن تفكيكنا للأحداث التاريخية المتعلقة بتلك المرحلة من باب الإهتمام، قادنا إلى دخول أحد الإتحادات الطلابية، التي حملت أسماء ثقيلة وبارزة ، قبل الثورة الجزائرية وأثنائها وبعد الإستقلال، وحتى في بناء الدولة الجزائرية الحديثة .

لم يكن هذا موضوع البحث بل إن مجال الإهتمام، انصب حول الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كتنظيم جمع مختلف أطراف المجتمع الجزائري، ذوي التكوين الجامعي بتعدد مناهله، لقد ظهر هذا الاتحاد، في عزّ أزمة المجتمع المكبل بقيود المستعمر، ووعي هؤلاء المثقفين بوضعية مجتمعهم، وكان اتجاههم يكشف روح الإنتماء لهذا المجتمع المغلوب على أمره.

إن طرحنا للموضوع بشقيه النظري والميداني، عكس بوضوح هذه العلاقة التي جسدها في نداءاته وسلسلة تنديداته المناهضة، التي عرّضت عناصره للملاحقة والمتابعة والتكيل والحجب، ولم يقف الإتحاد عند هذه الخطوات، بل شارك فعليا في ثورة التحرير، وكان عنصرا هاما من العناصر القتالية، التي دعمت جبهة التحرير وأمدته، بعناصر لوجيستكية حيرت المستعمر ذاته، الذي اعتقد أنه كوّن نخبة تحت ولائه وطاعته، واستدمج فيه فكر الشيوعيين المنادي بفكرة الجزائر أمة في طور التكوين .

لم تجد هذه الفكرة صدى لدى الإتحاد الذي منذ تأسيسه، ومحاولته لمّ شمل الطلبة الجزائريين، وعقده المؤتمرات والندوات واللقاءات العلنية والسرية، بعد الملاحقة والتوقيف الذي طال عناصره، وهو يسطّر للعديد من المقومات والمبادئ، المكرّسة للمشروع الوطني والتي كانت في غالبيتها مناهضة للسياسة الإمبريالية .

وأهم المواقف الجريئة التي اتخذها الإتحاد من الإستعمار، تمثل في الكفاح إلى جانب الشعب الجزائري، وهذا بالفعل ما تمّ تحقيقه عبر النضال المستميت، والمشاركة الفعلية في ميدان التحرير للمنضوين في إطار الإتحاد .

بالإضافة إلى لمّ شمل الطلبة الجزائريين وتوحيد صفوفهم، وذلك بتجنيد أكبر عدد من الطلبة في صفوفه، والعمل على إحياء مقومات الشخصية الوطنية، وتحديد إعطاء اللغة العربية مكانتها والحفاظ على التراث الإسلامي، لأنه سر وجود المجتمع الجزائري ولن يتم ذلك كما فهم أعضاء الإتحاد وغالبية الجزائريين، إلا بتخليص البلاد من براثن الإحتلال الغاشم ، والمشاركة في الحياة السياسية للبلاد والمشاركة الفعالة في تجسيد ذلك، وعدم العزلة والتزام الحياد وعيش الهامش، فما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، ومن هنا ظهر أن الإتحاد قد سطرّ العديد من المقومات، الصانعة للمشروع الوطني في إطار كلي هادف، أعطى للجزائر حريتها التي لم تكن لتتألقها، لولا أسلوب المقاومة الذي تبنته الحركات والتنظيمات، باختلاف مشاربها والتي انصهرت ضمن، جبهة و جيش التحرير الوطني كظهير مقاومة، صارت له قوة قتالية بتضافر جهود كل الجزائريين، ومن ضمنها الإتحاد الطلابي الذي لا يستهان بدوره، في المقاومة السلمية والمسلحة معا.

وهكذا طويت صفحة مشرقة من تاريخ النضال الطلابي الذي تبناه الإتحاد، والذي فصل نهائيا في مشكلة الهوية العربية الإسلامية، منذ المؤتمر التأسيسي للإتحاد سنة 1955، وإن كان ظاهرها مجرد شعارات تبحث عن التميز والانفصال، إلى غاية مؤتمر صائفة 1963 الذي عقده الإتحاد، برجوعه إلى المطلب الأساسي الذي رفعه الإتحاد في ظل جزائر الإستقلال، لتتواصل نشاطات الإتحاد بتسمية ألغت صفة المسلمين، لأنه يملك هوية أرجعت الجزائر إلى مسارها الصحيح، في اطار وجودها ضمن المجتمع الدولي، وأصبح عمل الطلبة جزءا لا يتجزأ، من عمل الشباب المثقف الواعي في الجامعة الجزائرية.

وأخيرا لا نزع أن هذه الدراسة، قد استوفت كل الشروط المنهجية و المعرفية المأمولة، وفككت الإشكالية مما يجعلها تكشف عما بها من أفكار ومفاهيم، تترجم حقيقة المرجو من هذا العمل المتواضع.

و لكن يشفع لنا، أننا انطلقنا من فرضيا لا من مسلمات، ومن قول الممكن لا من تسليم بالمطلق، فحملتنا الرغبة في استقصاء دروب الحقيقة الممكنة، للبحث عن وجود خلفية لفكر سوسيولوجي عام، أو أفكار معرفية، فيها مناحي دالة، على أن الحركة الطلابية الجزائرية، والتي اصطلحنا على تسميتها الحركة الطلابية الوطنية، تسندها أفكار، وإن تأثرت في مواطن ومواقع عديدة، بأفكار متنوعة ومختلفة، من حيث الفعل، على وجود فكر لهذه الحركة أو عدمه، تحتاج منا إلى بحث وتقصي وبرهنة؛ وسنظل نعتقد، أنه مهما كانت النتائج المتوصل إليها، فإن طبيعة المعرفة، تحتم علينا إعادة النظر فيما ذهبنا إليه، ونظرا لوجود مراجع قليلة فيما نعلم، تناولنا هذا الموضوع الذي عنيناه بالإهتمام والصرامة العلمية المطلوبة، فقد اضطررنا إلى تتبع الأفكار، التي يعتقد أنها قد أسست للحركة الطلابية، ووجهت مسارها لدى مختلف الإتجاهات السياسية، أو التيارات التي عرفها تاريخ الجزائر الإجتماعي، خاصة بعد سنة 1927، أي منذ ظهور بوادر الحركة الوطنية.

وقد جارينا أنفسنا أحيانا للإهتمام أكثر بالجانب التاريخي، حتى أنه ليخيّل للمتتبع، أننا بصدد البحث في التاريخ، رغبة منا في استنباط الأفكار ذات المنحى السوسيولوجي، من بين حركة المسيرة التاريخية لهذا التيار أو ذلك، ولهذا الشخص الحامل حدس فكرة أو غيره، ضمن مشروع معين، فما بالنّا بالمشروع الوطني، الذي حمل السيادة الوطنية للأمة الجزائرية، ذات الإمتداد التاريخي الأمازيغي العربي الإسلامي، لا أمة في طور التكوين، حسب منظري المدرسة الكولونيالية الفرنسية، ومن يدورون في فلکها، من بعض الشيوعيين الجزائريين.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر:

I - باللغة العربية:

1. القرآن الكريم:

- (1) سورة آل عمران ، الآية 169 و170.
- (2) سورة آل عمران ، الآية 19.
- (3) سورة الحجر ، الآية 09.

2. مراجع خاصة بالمنهجية:

- (4) أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، ترجمة صحراوي بوزيد، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.
- (5) جلبي علي عبد الرازق والسيد عبد العاطي السيد و بيومي محمد أحمد ، ومحمد جابر سامية، البحث العلمي الإجتماعي ولغته ومدخله ومناهجه وطرائقه، دار المعرفة الجامعية، 2003.
- (6) ملحم حسن، التفكير العلمي والمنهجية، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993.

3. مراجع خاصة بعلم الاجتماع:

- (7) السيد عبد العاطي السيد، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، الإسكندرية ، مصر، 1989.
- (8) السويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسبولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، جويلية ، 1990.

- (9) السويدي محمد، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر و الدار التونسية للنشر، تونس ، 1991.
- (10) أوزقان عمار، الجهاد الأفضل ، دار الطليعة، بيروت ، ط 1، 1962 .
- (11) بلحسن عمار، إنتيليجانسيا أم مثقفون في الجزائر؟، منشورات دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1 ، 1986 .
- (12) بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة، الجزائر، ط2 ، 1998 .
- (13) بيومي محمد أحمد، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، مصر، 2002.
- (14) توران إيفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطب والدين (1880-1830) ، ترجمة: عبد الكريم أوزعلة، دار القصة للنشر الجزائر، 2005.
- (15) جابي ناصر، الجزائر: من الحركة العمالية إلى الحركة الاجتماعية، المعهد الوطني للعمل، الجزائر، 2001.
- (16) جابي ناصر، الجزائر: الدولة والنخب" دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية" ، منشورات الشهاب، باتنة ، 2008.
- (17) جلبي علي عبد الرزاق، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، الإسكندرية، 1996.
- (18) جلبي علي عبد الرزاق، والسيد عبد العاطي، وأحمد محمد، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة الإسكندرية ، 2005.
- (19) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، ط2 ، 1991.
- (20) علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، بدون تاريخ.

(21) علي الكنز وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة، مركز البحوث العربية بالقاهرة، ومنتدى العالم الثالث بداركار، 1997.

(22) غرامشي أنطونيو، القضايا المادية التاريخية، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1971.

(23) ولد خليفة محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، " دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعلامة العالمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

(24) وليد الزيدي، السياسة الفرانكفونية والوطن العربي، دار أسامة، عمان، ط1، 2010.

4. مراجع حول الثورة التحريرية:

(25) أبو القاسم سعد الله، هموم حضارية، دار الأمة، الجزائر، 1993.

(26) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.

(27) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، ط3، 1983.

(28) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج3، ط2، 1986.

(29) الإبراهيمي أحمد طالب، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1996.

(30) الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري " الجزء الأول، أحلام ومحن " (1932-1965)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.

(31) أحمد زايد، الزبير عروس، النخب الإجتماعية، حالة الجزائر ومصر، الدار العربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2005.

- (32) الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- (33) الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري الجزائري بتونس (1900-1962م)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1963.
- (34) الجابري محمد الصالح، المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- (35) الجنيدي خليفة، من وحي الثورة الجزائرية، دار الثقافة بيروت لبنان، ط1، 1963.
- (36) الكنز علي، حول الأزمة، دار بوشان للنشر، دون مكان نشر، 1993.
- (37) الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- (38) بخوش الصادق، الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية - مقارنة في دراسة الخلفية، ط1، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- (39) مزياني مدني لويزة، مذكرات امرأة عاشت الثورة، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 1996.
- (40) بن القبي صالح، الدبلوماسية الجزائرية بين أمس واليوم ومحاضرات أخرى، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 2002.
- (41) عميمور محي الدين، نظرة في مرآة عاكسة، على عتبة الألفية الثالثة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، 2001.
- (42) بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ط5، 1986.
- (43) بوعزيز يحي، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه (1912-1948)، الجزائر ديوان لمطبوعات الجامعية، 1991.

- 44) بوفلجة غياث، التربية والتكوين بالجزائر، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، 2002.
- 45) بوقصة كمال، مصادر الوطنية الجزائرية-الى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، "، ترجمة: د.ميشيل سطوف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005.
- 46) تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1981.
- 47) جوليان شارل أندري، أفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، ط 3، 1976.
- 48) حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عيد، صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
- 49) حربي محمد، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كمال قصير، لبنان مؤسسة الإتحاد العربية، ط 1، 1983.
- 50) حمروش عبد المالك، التربية والشخصية العربية الإسلامية بين عقريّة ثورة التحرير وضلال الثورة المضادة، مطابع عمار قرني، دون سنة.
- 51) سعدي عثمان، التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكفونية، دار الأمة، ط 1، 1993.
- 52) سفاري آلان، ثورة الجزائر، ترجمة: نخلة كلاس، مطابع ادارة الشؤون العامة، 1961.
- 53) سلامة عبد الرحمان، التعريب في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 54) صاري جيلالي وقداش محفوظ، المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحية والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

- (55) عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها: ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، 2010.
- (56) عباس فرحات، تشرح حرب، ترجمة: أحمد منور، مطبعة تلمسان، 2010.
- (57) عباس محمد، رواد الوطنية، مطبعة دحلب، الجزائر، الكتاب الثاني، 1992.
- (58) عباس محمد، الإندماجيون الجدد، دار دحلب، الجزائر، ج 3، ط 3، 1993.
- (59) قديد محمد، الرد الوافي على مذكرة كافي، دار هومة للنشر، الجزائر، ط 1، 2001.
- (60) قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1930-1945، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- (61) (،)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1993.
- (62) فرنسيس جانسون وكوليت، الجزائر الثائرة، ترجمة: محمد علوي شريف خليل وهنري يوسف سردار، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، 1957.
- (63) محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، منشورات ألفا، الجزائر، 2006.
- (64) مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)، ترجمة: أحمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
- (65) نايت بلقاسم مولود قاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، دار البعث، قسنطينة، ط 1، 1984.
- (66) هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، د. م. ج، الجزائر، ط 1، 1995.

(67) ولد خليفة محمد العربي، الإحتلال الاستيطالي للجزائر مقارنة للتاريخ الإجتماعي والثقافي، " نحو تجديد الخطاب وإشراك الشباب "، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2008.

5. مراجع حول الطلبة:

(68) برفيالي غي، النخبة الفرنكفونية 1880-1962، ترجمة: حاج مسعود أكلي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

(69) بوعزيز يحي، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير "1954-1962"، أعمال الملتقى الوطني الثالث لتاريخ الثورة ، قصر الأمم، الجزائر، من 8 إلى 10 ماي 1984، الجزء الثاني.

(70) حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 " مشارب ثقافية وأيديولوجية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، 1995.

(71) صعب حسن، ثورة الطلاب في العالم، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1986.

(72) عبد السلام بلعيد، الإتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين 1953-2005، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، 2011.

(73) عبد اللاوي حسين، مساهمة الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية في الحركة الوطنية قبل 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني

للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007 .

(74) هلالّ عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان الثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، لافوميك، 1986.

6. القواميس والمعاجم:

- (75) البستاني بطرس، محيط المحيط، قاموس مطّول اللغة العربية، مكتبة لبنان
لناشرون، 1987.
- (76) بدوي أحمد زكي، معجم المصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، دار الكتاب
المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1987.
- (77) بودون ريمون وبرويكو فرانسوا، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة: سليم
حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1986.
- (78) مرتاض عبد الملك، المعجم الموسوعي المصطلحات الثورة الجزائرية 1954-
1962، د. م . ج، الجزائر، ط1 ، 1983.

8. المقالات المنشورة في الدوريات:

- (79) بلعيد رابح، " أصول المؤامرة على العربية والإسلام "، الحلقة الثانية، جريدة السفير، 28 جويلية 2002.
- (80) جغلول عبد القادر، "المتقفون الجزائريون المعاصرون 1880-1930"، جريدة الخير، 4 أوت 1999.
- (81) حسن السعيد، " نشأة الاتحاد لعام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في معركة التحرير " مجلة الأصالة "، عدد 22، أكتوبر، نوفمبر 1974.
- (82) خان الأمين، "رسالة نوفمبر النصر أو الإستشهاد"، مجلة أول نوفمبر، العددان 157-158، 1997.
- (83) طالب عبد الرحيم، " القوى الإجتماعية في الحركة الوطنية الجزائرية"، مجلة الثقافة والثورة، وزارة التعليم العالي، 1983.
- (84) مالك رضا، "الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المغزى من حرف الميم في هذه التسمية"، جريدة الخير، 5 جويلية 2005.
- (85) نور عبد القادر، "توضيح حول إضراب 19 ماي 1956"، مجلة الوحدة، عدد 466، 30 ماي 1990.
- (86) مهري عبد الحميد، "أحداث مهدت للفاتح نوفمبر 1954"، مجلة المجاهد، عدد 1526، 3 نوفمبر 1989.

9. الرسائل الجامعية:

- (87) عقيب محمد السعيد، الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ومساهمته في الثورة 1962/1955، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2000.

88) عواريب لخضر، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1955، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007.

89) مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006.

90) بوبكر كريمة، دور النخبة المثقفة أثناء الاستعمار وبعده في الجزائر، ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر، 2006.

10. مقالات مختلفة من مواقع الشبكة الإلكترونية العالمية " الإنترنت ":

91) الإدريسي لطفى: أنطونيو غرامشي

الرابط: <http://pagead2gougles.indication.Com> .

91) المالكي محمد: رهانات القمة الفرنكفونية الثانية عشرة.

الرابط: <http://wwwalarab.com>

92) المدني توفيق: المجتمع المدني والدولة والسياسة في الوطن العربية.

الرابط <http://mailto:aru@.net.sy>

93) الكلاخني يوسف: قراءة في ثورة 8 ماي 1968 الطلابية، السياق، التمثلات والتأثيرات.

الرابط: <http://at.mideast.youth.com>

94) جوبية عبد الكامل: المشروع الثقافي الإستعماري و ثورة نوفمبر

الرابط: www.HOSTBLED.com

11. نشریات وجرائد:

- (95) الأمة ، العدد 41، 10 سبتمبر 1935.
- (96) الأمة ، العدد 101، 08 سبتمبر 1936.
- (97) البصائر، العدد 32، 28 أوت 1936.
- (98) مجلة الشاب الجزائري ، العددان 14 و 15 أوت سبتمبر 1960.
- (99) المجاهد ، العدد 12، 15 نوفمبر 1957.
- (100) المجاهد ، العدد 17، 01 فيفري 1958.
- 100 المجاهد، العدد 10، 25 فيفري 1958.
- (100) المجاهد ، العدد 23، 07 ماي 1958.
- (101) المجاهد ، العدد 33، 08، ديسمبر 1958.
- (102) ج.ط.ش.إ.م، نشرة 1928-1929، المطبعة التونسية تونس 1929.
- (103) ج.ط.ش.إ.م، نشرة 1929-1930، المطبعة المصرية المغرب الأقصى 1938.
- (104) ج.ط.ش.إ.م، نشرة 1931-1932، مطبعة الإتحاد تونس 1932.
- (105) ج.ط.ش.إ.م، نشرة 1932-1933، مطبعة الإتحاد التونسي 1933.
- (106) ج.ط.ش.إ.م، نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتونس 1931، المطبعة الأهلية تونس 1931.
- (107) ج.ط.ش.إ.م، نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا، مطبعة الإتحاد تونس 1932.
- (108) ج.ط.ش.إ.م، نشرة أعمال المؤتمر الثالث لطلبة شمال إفريقيا ، مطبعة الإتحاد تونس 1934.
- (109) ج.ط.ش.إ.م، نشرة أعمال المؤتمر الرابع 1934، المطبعة التونسية تونس، 1934.
- (110) ج.ط.ش.إ.م، نشرة المؤتمر الخامس 1935، د. م . ط 1935.

- 111) سلسلة من الأرشيف الوطني التونسي: A.N.T:
السلسلة E، العلبة 544، الملف 27.
السلسلة SG2/SG، العلبة 24، الملف 31.
السلسلة H.M.N، العلبة 26 الملف 07.
112) ملفات من مركز التوثيق القومي (التونسي):
ملف أ. 4-44، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين.
ملف ب. 3-33، نجم شمال إفريقيا .
ملف ج. 3-35، مؤتمر بروكسل للشعوب المضطهدة.

المراجع بالفرنسية:

1-sur le sujet :

- 101) Abrous (Mansour), **Contribution à L'hisotire Du Mouvement Etudiant Algérien « 1962-1982 »**, l'harmattan, 2002.
- 102) Bouguessa (Kamel), **Aux sources du nationalisme algérien « les pionniers du populisme Révolutionnaire En Marche »**, Editions casbah, Alger, 2000.
- 103) Charfa (Ibrahimi), **l'intellechel Et La Révolution Algérienne**, Edition Houma, Alger, 2001.
- 104) Clement (Moore Henry), **UGEMA (Union Générale des Etudiants Musulmans Algériennes 1955-1962) témoignages**, édition casbah, 2010
- 105) Colonna (Fanny), **les instituteurs Algériens « 1883-1939 »**, OPU, Alger 1975.
- 106) Collot (Claude) – Henry (Jean Robert), **Le Mouvement National Algerien**, 2^{ème} Edition, Office des Publications Universitaires.
- 107) Harbi (Mohamed), **L'Algérie En Perspective – La Guerre d'Algérie 1954-2004 , fin de l'amnésie – Institution – Acteurs**, Edition Casbah , Alger , 2004.
- 108) Harbi (Mohamed), **FLN Mirage Et Réalité**, Casbah édition, Alger, 2004.
- 109) Duvaux (Capitaine), **La Mentalité Indigène En Algérie, Bulletin De la Société De Géographie De Province D'Oran**, 1903.
- 110) Hellal (Amar), **Le mouvement Reformiste Algérien**, les hommes et l'histoire 1837/1957, edition OPU, 2000 .
- 111) Ibrahimi (Taleb Khaoula), **les Algériens Et Leur (s) Langue (s)-Eléments Pour Une Approche Sociolinguistiques De La Société Algérienne**, Algérie , Editions el Hikma, 1997 .
- 112) Keddache (Mahfoud), **Histoire Du Natonalisme Algérien**, Edition SNED, Alger.

- 113) Keneneche (Mohamed) – Keddache (Mahfoud) , **Le Parti Du Peuple Algérien (1937- 1939)**,O .P. U ,Alger .
- 114) Merad (Ali) **Le reformisme Musulman En Algérien 1925/1940**, Ed Paris, 1967.
- 115) Memmi (Albert), **Portrait Du Colonisé Précédé Du Portrait De Colonisateur**, Paris, Buchet châtel correa, 1957.
- 116) Moufouk, (Houari) , **ParcoursD'un Etudiant Algérien De l'UGEMA à l'UNEA**, edition Bouchenne , 1999.
- 117) Pervillé (Guy) , **les étudiants algériens de l'université française 1880-1962**, Edition Du Centre De la Recherche Scientifique,Paris,1984 .
- 118) Sari (Djalali) , **L'émergence De L'intelligentsia Algérienne « 1850 – 1950**», edition ANEP, 2006.
- 119) Stora (Benjamin) et Daoud (zakeya) , **Farhat Abbas : Une Autre Algérie**, Editions casbah, Alger, 1995.
- 120) Benjamin (Stora) , **Algérie – Histoire Contemporaine 1830-1988**, Editions Casbah, Alger,2004

2-Théorie :

- 121) Ansart (Pierre) et Autres, **le Robert, Seuil-Dictionnaire de Sociologie** , Edition les presses de mame ,France, octobre 1999
- 122) Busino (Giovani) , **Elite et Elitisme** ,Editions casbah, Alger, 1998.

3-Revues :

- 123) Bouguessa (Kamel), **« Contribution à L'étude De L'élite Algérienne : les Intellectuels Algériens »**, Revue Algérienne de sciences juridiques économiques et politiques de la faculté de droit d'Alger, n° 1, année 1987.
- 124) Colonna (fanny), **le Système D'enseignement De l'Algérie Coloniale** in archives européennes de sociologie, T 13, Paris, 1972.
- 125) Desparmet (J), **Naissance D'une Histoire Nationale De L'algerien** AF, Juillet 1933 .
- 126) Desparmet(J), **le 2^{ème} Congrès Des Etudiants Musulmans Nord Africains En Metropole Durant La Période Coloniale**, revue Africaine n72, Octobre 1932 .

4-Les thèses :

- 127) Mesbah (Mohamed chafik) , **Idéologie Politique Et Mouvement National En Algérie- Les Projets Partisans Au Projet De Renaissance Nationale 1936-1954**, thèse de doctorat d'état, université d'Alger institut des sciences politiques et de l'information département de sciences politiques, le promoteur : Dr Mahiou Ahmed, 2 Juillet 1981.

5-revues et journaux

- 128) **Annuaire De L'AEMAN** 1928, 1929
- 129) **Alger Etudiants** du 02/02/1924
- 130) **Alger Etudiants** du 29/03/1924
- 131) **Alger Etudiants** du 28/02/1925.
- 132) **Alger Etudiants** du 12/05/1930.
- 133) **Le Peuple**, 9 Août 1963
- 134) **Le Peuple**, 17 Août 1963
- 135) **Alger Républicain**, 10 Août 1963
- 136) **Alger Républicain**, 14 Août 1963
- 137) **Alger Républicain**, 16 Août 1963
- 138) **Alger Républicain**, 17 Août 1963

6-Archives :

139)Boite /01 – Dossier / 12 :

Déclaration du comité directeur de L'UGEMA, 25 Mais 1956.

140)Boite % 4-2 Dossier / 2

Déclaration du comité directeur de L'UGEMA 13/12/1956

Déclaration du comité de soutien des étudiants algériens 13/12/1956

141)Boite / 05 Dossier / 10

Rapport de règlement intérieur de L'UGEMA.

142)Boite /75 Dossier / 13

Rapport d'activité du Ministère des affaires culturelles (1960-1962).

143)Boite / 300 Dossier / III

Rapport des activités de L'UGEMA 27/09/1959

**144)Statut de l'Amical des Etudiants musulmans De l'Afrique Du Nord,
N° : CK 82378.**

**145)Le Président De l'Amical Des étudiants Musulmans De l'Afrique Du
Nord à Monsieur Le Préfet d'Alger, N° : AK 32906.**

الملاحق

الملحق رقم (1)

جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص: ثقافي

دليل المقابلة

موضوع الدراسة: الحركة الطلابية الجزائرية خلال الفترة (1927 – 1962)

الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين نموذجا

دراسة لعينة من الأعضاء الفاعلين في الإتحاد

إعداد الطالبة : هنده قديد إشراف: الأستاذ الدكتور: حسين عبد اللاوي

يندرج هذا العمل ضمن مشروع بحث علمي، لتحضير شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تحت إشراف الدكتور حسين عبد اللاوي. والغرض من هذه الدراسة السوسولوجية العلمية، معرفة دور الحركة الطلابية الجزائرية، ومساهمتها في الحركة الوطنية و ثورة التحرير، وترسيخ مقومات الشخصية الوطنية، التي حملها الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. وتحقيقا للغرض، ندعو شخصكم الموقر قبولكم إجرائنا مقابلة مع سيادتكم ، كما سنكون جد متشرفين وممتنين لكم، لو قبلتم الرد على أسئلتنا وبالطريقة التي تتاسبكم، هذا ونضمن لحضرتكم بأن شخصكم مشورا، ونؤكد لكم مرة أخرى أن البيانات المحصل عليها من قبلكم، ستجمع كجزء من مشروع بحث جامعي لا غير، وفي الأخير اسمحوا لنا مسبقا، أن نعبر لكم عن خالص شكرنا للمساعدة، التي نتمناها من قبلكم، كما نرجو، سيدي، سيدتي، تقبل أسمى عبارات التقدير والشكر والإمتنان.

دليل المقابلة:

المحور الأول : بيانات عامة حول المبحوث

تاريخ المقابلة:...

مكان المقابلة:...

مدة المقابلة :...

1- اسم المبحوث

2- تاريخ ومكان الميلاد .

3- الأصول الإجتماعية للمبحوث .

4- الوضعية الإجتماعية والإقتصادية للمبحوث .

5- المسار الدراسي .

6- المسار النضالي قبل الثورة (النشاط السياسي) .

7- المسار الثوري (النضال في الجبهة) .

8- التدرج الوظيفي بعد الاستقلال .

المحور الثاني: النضال السياسي في L'U.G.E.M.A

9- ما هي أسباب تأسيس الإتحاد؟

10- ما هي أهم المطالب النضالية للإتحاد؟

11- كيف دخل الإتحاد مباشرة معترك المشاكل السياسية للبلاد ؟

12- هل كان لسياسة التنديد المتبّعة في الإتحاد دورا في وقف الهمجية الإستعمارية؟

13- هل كان خيار الالتحاق بالثورة من قبلكم خيارا ضروريا، وتحديدا بعد تعرض

أعضاء من الإتحاد للهجمة....(عمارة رشيد ...مثلا) ؟

14- هل كان للإتحاد دورا في استقطاب عدد من الطلبة للثورة ؟

15- أذكر أهم المؤتمرات التي عقدها الإتحاد ؟

16- هل إجراء الإضراب كان له صدها في تلك الفترة ؟

17- كيف كان تصرف المستعمر مع نضالكم ونضال الإتحاد (الثوري)؟

المحور الثالث: اللغة العربية (مقوم أساسي لتكملة المشروع الوطني)

18- كيف أدرجت اللغة العربية، كمقوم من مقومات المشروع الوطني في الإتحاد؟

19- كيف تعرّف اللغة العربية من وجهة نضالك في الإتحاد؟

20- هل كانت اللغة العربية مطلبا أساسيا في الإتحاد؟ ولماذا؟

- 21- هل لقيت معارضة؟ ومن طرف من ؟
- 22- كيف وافق الأهالي على تلقي الثقافة الفرنسية ؟
- 23- متى أعطي للغة العربية حقها، عبر المؤتمرات التي عقدها الإتحاد؟
- 24- كيف وضع الإتحاد مطلب اللغة العربية في مشروعه الوطني؟
- 25- هل نجح في تحقيق هذا المطلب قبل وبعد الاستقلال؟ وكيف تم ذلك؟ (كيف جسد؟) .

المحور الرابع: مقوم الدين الإسلامي " الميم " أو (M)

- 26- كيف صيغ مقوم الدين الإسلامي في مشروع الإتحاد ؟
- 27- لماذا تم إدراجه في الفترة التأسيسية للإتحاد ؟ (وليس قبل)
- 28- هل خلق مشاكل بين الطلبة الجزائريين آنذاك ؟ (التسمية)
- 29- من هم أكثر المعارضين لحرف الـ (M) في الإتحاد؟ وهل جلب مشاكل وصراعات في الإتحاد ذاته ؟
- 30- كيف تعامل الإتحاد مع الوضع ؟
- 31- لماذا لم يحتفظ بـ " الميم " أو (M) بعد الإستقلال ؟